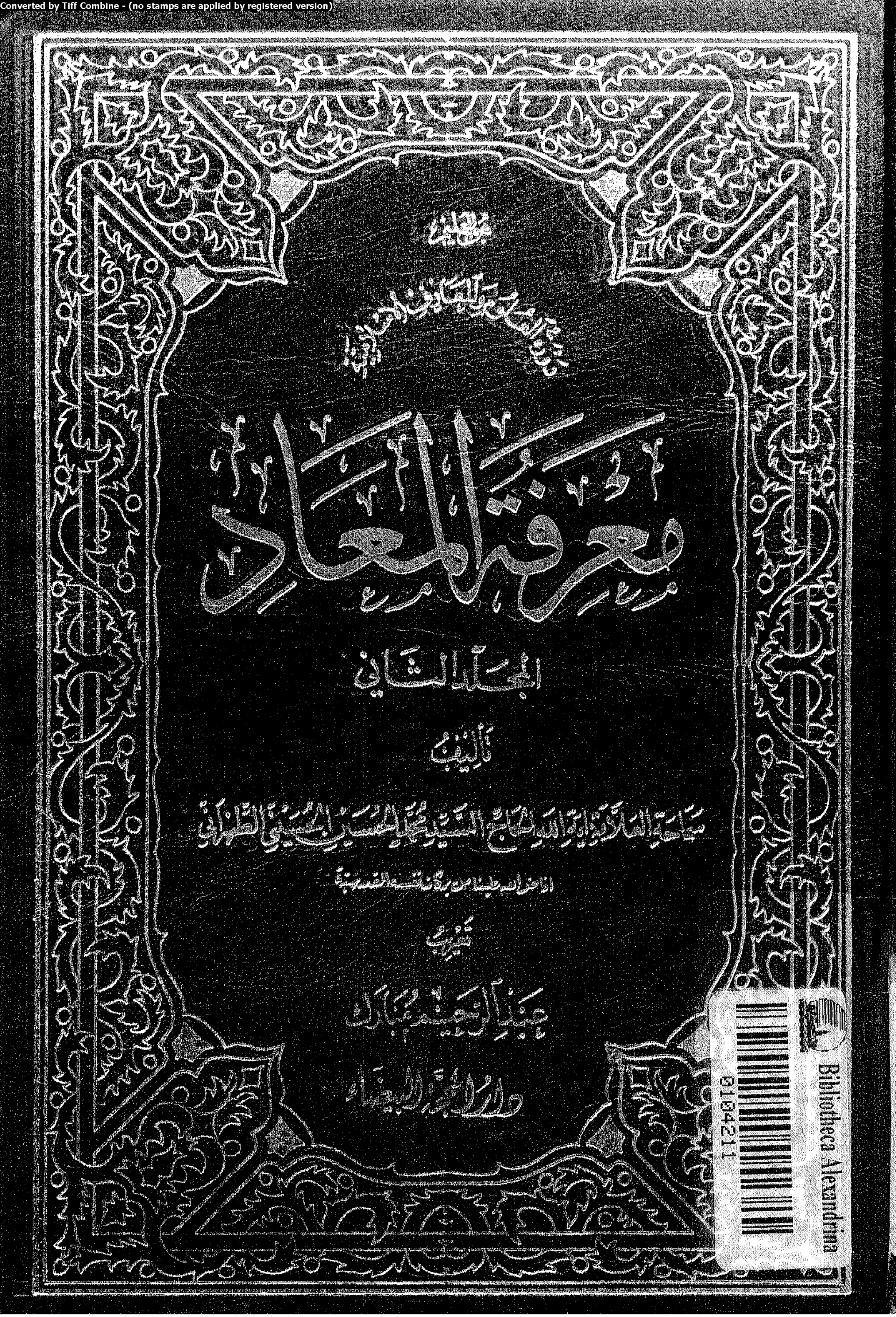

معرفة المعاد
المجلد الثاني
تأليف
سماحة العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية
تعريب
عبد الرحيم مبارك
دار المحجة البيضاء
Bibliotheca Alexandrina
0104211







بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المعاد

الحسينيّ الطهرانيّ ، السيد محمّد الحسين ، ١٣٤٥ ـ ١٤١٦ هـ .
معرفة المعاد / لمؤلفه السيد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ . ـ بيروت:
دارالمحجّة البيضاء ، ١٤١٦ ـ هـ .
١٠ ج . ٢٣٠ ص . ـ (دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة ؛ ٣)
الطبعة الأُولى : ١٤١٦ ـ هـ .

العنوان .

٢٩٧/٤٤ BP٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسهٔ ترجمه و نشر (دورهٔ علوم و معارف اسلام)

از تأليفات

علامهٔ آية الله حاج سيد محمد حسين حسينى طهرانى

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة (٣)

معرفة المعاد

المجلّد الثاني

المؤلف : سماحة العلّامة الرّاحل آية الله الحاجّ السيد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ
تعريب : عبدالرحيم مبارك
الطبعة الأُولى : ١٤١٦ هجريّة
عدد النسخ : ٢٠٠٠
الناشر : دارالمحجّة البيضاء

هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٣

معرفة المعاد

المجلد الثاني

تأليف

سماحة العلّامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

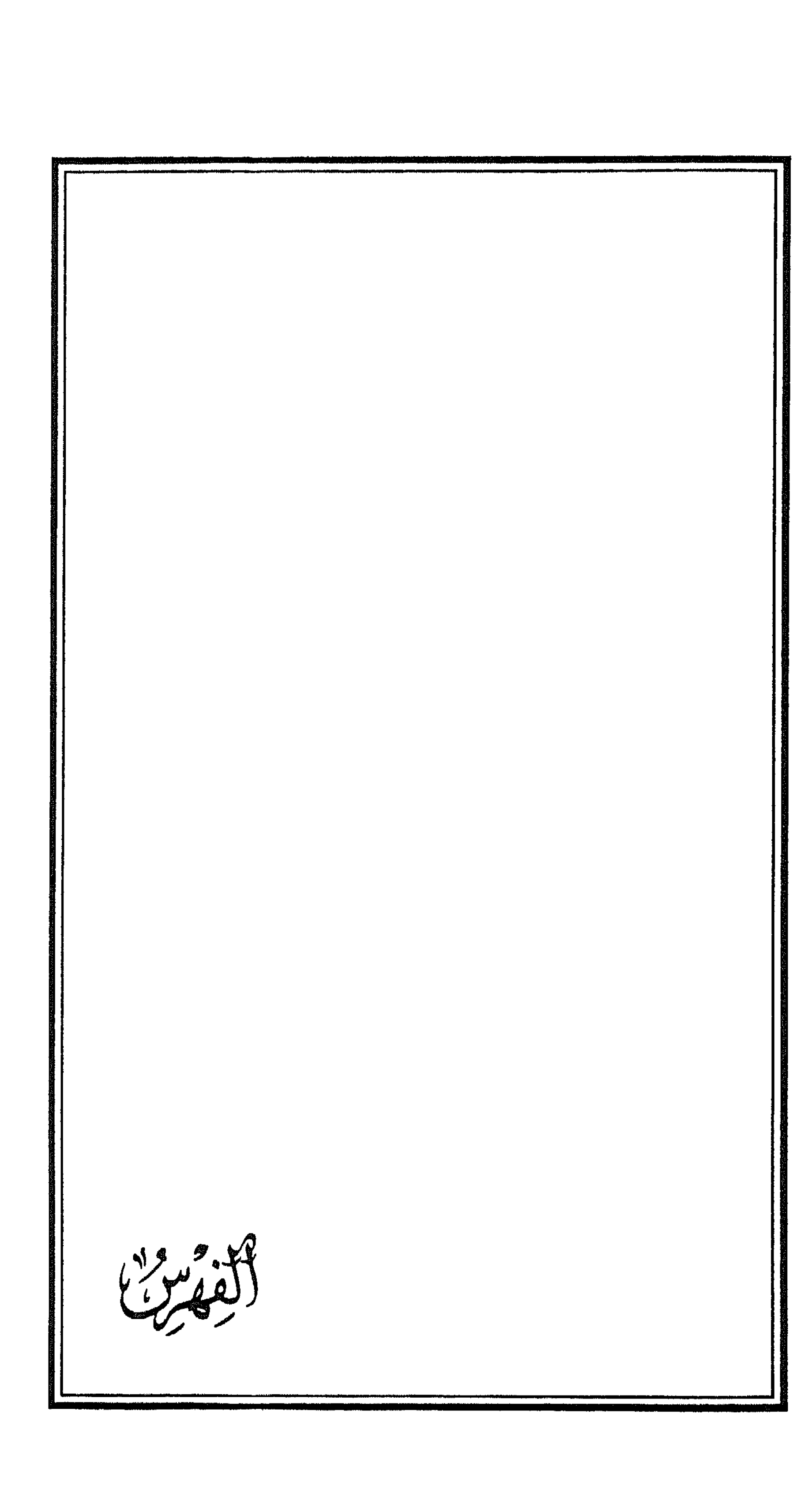
عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الطبعة الاولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩


الفهرس



فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة المعاد

المجلّد الثاني

المطالب	الصفحة

المجلس الثامن :

النجاة في الإيمان بالله طوعاً و اتّباع أحكام الدين تعبّداً

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٣٢

يشمل المطالب التالية :

الإيمان بالله طوعاً و اختياراً هو الذي ينفع الإنسان	٥
لا فائدة من الإيمان عند معاينة سكرات الموت و ارتفاع حُجب الغيب	٧
تعاليم الأنبياء و الأحكام الإلهيّة ينبغي قبولها تعبّداً لا بالدليل و الفلسفة	٩
مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا	١١
قصّة قارون و غروره بالعلم ؛ و عدم جدوى توبة فرعـون عند الغرق	١٣
عدم جدوى توبة المتمرّدين عند نزول العذاب	١٥
كيفيّة قبض أرواح الظالمين و استثناء المستضعفين	١٧
المراد بالمستضعف	١٩
إرسال الحقّ تعالى ريحانتين باسم المُسخية و المُنسية لقبض روح المؤمن	٢١
الروايات الوارده في كيفيّة قبض روح المؤمن	٢٣
تأمّل الخالق تعالى في قبض روح العبد المؤمن	٢٥

المطالب	الصفحة
حضور الأرواح المقدّسة لرسول الله و الأئمّة الطاهرين عند المحتضر	٢٧
اشتياق سيّد الشهداء و أصحابه للموت من أجل إعلاء كلمة الحقّ	٢٩
اشتياق سيّد الشهداء للقاء الله و رسوله ، و خطبته للدعوة إلى لقاء الله	٣١

المجلس التاسع :

ليس على أولياء الله خوف و لاحزن و لاسكرات موت

الصفحة ٣٥ إلى الصفحة ٧١

يشمل المطالب التالية :

معنى الولاية و آثارها	٣٧
كيفيّة تجلّي صفات الله تعالى في أوليائه	٣٩
كلام الخواجه نصيرالدين الطوسيّ في «شرح الإشارات» في صفات العرفاء	٤١
لا سلطان للشيطان على أولياء الله	٤٣
معنى الزهد في تعبير القرآن الكريم	٤٥
البشرى لأولياء الله هي غير البشرى للآخرين	٤٧
قصّة غزوة حمراء الأسد و المنّ بالولاية	٤٩
درجة الولاية و مقامها ملازم لمقام التوحيد	٥١
خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام في خصائص و صفات أولياء الله	٥٣
كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في شأن أخ له في الله	٥٥
معيّة أتباع أولياء الله لهم	٥٩
إتّباع أولياء الله يستلزم اللحوق بهم	٦١
حضور الأئمّة عند احتضار أولياء الله واصطحابهم لهم إلى الجنة	٦٥
معيّة أصحاب سيّدالشهداء عليه‌السلام له و قصّة جون العبدالحبشي الأسود	٦٧
لحوق فضّة و سلمان بأهل البيت عليهم السلام	٦٩

المطالب	الصفحة
كيفيّة تجلّي صفات الله في أوليائه	٧١

المجلس العاشر :

إلحاق المؤمنين بأولياء الله و المنكرين بأولياء الشيطان

الصفحة ٧٥ إلى الصفحة ١٠١

يشمل المطالب التالية :

لحوق الحسنات و السيّئات عند التجرّد و الموت بأصلهما	٧٧
انفصال الحسنات عن السيّئات عند التجرّد و الموت و لحوق كلّ منها بأصله	٧٩
إحتجاج الإمام الباقر على إبراهيم الليثيّ في لحوق المؤمنين و المنكرين بأُصولهم	٨١
ظهور الشيطان محكّ فصل الحسنات عن السيّئات	٨٣
المؤمنون في الامتحان كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف	٨٧
قول أميرالمؤمنين عليه السلام للحارث الهمدانيّ : إنّ دين الله لا يُعرف بالرجال	٩١
كلام أميرالمؤمنين للحارث الهمدانيّ في درجاته و مقاماته عليه السلام	٩٣
أشعار السيّد الحِميَري في قول أميرالمؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني	٩٧
أحوال السيّد الحِميريّ عند موته	٩٩
قصّة موت السيّد الحِميريّ و إرسال الصّادق عليه السلام كفناً له بيد غلامه	١٠١

المجلس الحادي عشر :

مميّزات عالم الطبع و عالم المثال و عالم القيامة

الصفحة ١٠٥ إلى الصفحة ١٣٠

يشمل المطالب التالية :

خصائص عالم البرزخ	١٠٧
نسبة سعة عالم البرزخ إلى الدنيا ، و سعة عالم القيامة إلى البرزخ	١٠٩

المطالب	الصفحة
التعبير عن عالم البرزخ بعالم القبر	١١٣
العوالم الثلاثة للإنسان : البدن والذّهن و النّفس	١١٥
اندكاك العوالم الثلاثة لرسول الله في الذّات الأحديّة	١١٧
كلام المرحوم الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ في العوالم الثلاثة	١١٩
ذُعر الحيوانات و فرارها من عذاب قبر الكفّار و الظالمين	١٢١
قصّة آية الله الأنصاريّ و جنازة الحاكم الظالم ؛ و قصّة جنازة الرجل العربيّ	١٢٥
حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا	١٢٧
قصّة بُرير بن خضير الهمدانيّ و عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصاريّ	١٢٩

المجلس الثاني عشر :

مميّزات عالم الطبع و عالم البرزخ و عالم القيامة

الصفحة ١٣٣ إلى الصفحة ١٥٤

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحة
أفعال الإنسان في الدنيا تحصل بواسطة الصورة المثاليّة	١٣٥
الصورة المثاليّة متّحدة ببدن الإنسان	١٣٧
دلالة الآيات القرآنيّة على الحياة البرزخيّة	١٣٩
الورود في البرزخ يحصل بعد العبور من الدنيا مباشرةً	١٤١
كلمات النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله على الحياة البرزخيّة	١٤٣
تشييع رسول الله لسعد بن معاذ ، وكلامه مع أُمّ سعد	١٤٥
مكاشفة للمرحوم النراقيّ وكلامه مع ميّت دُفن حديثاً في وادي السلام	١٤٧
مائدة عالم الملكوت التي هبطت في محراب مريم سلام الله عليها	١٥١
المائدة السماوية التي نزلت على الزهراء سلام الله عليها	١٥٣

المطالب	الصفحة

المجلس الثالث عشر:

مفترق طريقي السعادة و الشقاء يصبح فيالبرزخ طريقاً واحداً

الصفحة ١٥٧ إلى الصفحة ١٨٣

يشمل المطالب التالية:

الآيات التي قرنت الجزاء بالزمان مختصّة بعالم البرزخ	١٥٩
في عالم البرزخ مثالٌ من الجنة و الجحيم الموجودين في عالم القيامة	١٦١
يُفتح في عالم البرزخ بابٌ إلى الجنّة أو بابٌ إلى جهنّم	١٦٣
سؤال الملائكة في البرزخ لباطن الإنسان	١٦٥
لا إمكان هناك للكذب في عالم البرزخ	١٦٧
عدم إمكان عودة النفوس البرزخيّة إلى عالم الدنيا	١٦٩
لو رُدّ الكافر إلى الدنيا ، لعاد لما نُهي عنه	١٧١
إحساس الحيوانات بعنف قبض روح الظالمين	١٧٣
لا وجود للتفكير المصلحيّ و المنافع الشخصيّة في البرزخ	١٧٥
مواعظ المرحوم آية الله القاضي للمرحوم الآمليّ	١٧٧
رحلة فاطمة بنت أسد و تشييع رسول الله لها و تكفينه لها بأحد ثيابه	١٧٩
صدقات رسول الله إلى فاطمة بنت أسد و خديجة بنت خويلد	١٨١
الأخبار الغيبيّة لفاطمة الزهراء سلام الله عليها ، و الذين صلّوا عليها	١٨٣

المجلس الرابع عشر:

تجلّي الإنسان و أعماله في عالم البرزخ في صورتهما الملكوتيّة

الصفحة ١٨٧ إلى الصفحة ٢١٦

يشمل المطالب التالية:

تجلّي الإنسان في البرزخ في صورة ملكوتيّة	١٨٩

المطالب	الصفحة
ارتباط الملكوت مع أشكال الموجودات و صورها	۱۹۱
مقطع من القصيدة المشهورة للميرفندرسكي في اتّحاد العالم العلويّ و السفليّ	۱۹۳
عالم الطبع نزول لعالم الملكوت	۱۹۵
إراءة الباقر و الصادق عليهما السلام لأبي بصير الصور الملكوتيّة للحجّاج	۱۹۷
مشاهدة رسول الله الصور الملكوتيّة لأفراد الأُمّة ليلة المعراج	۱۹۹
الروايات الواردة في ظهور الأعمال في صورها الملكوتيّة فيالبرزخ والقيامة	۲۰۱
نفقة الملائكة في أبنية الجنّة تسبيح المؤمن و تكبيره و تحميده و تهليله	۲۰۳
المؤمن هو الكلمة الطيّبة و الشجرة التي تؤتي أُكُلهاكلّ حين بإذن ربّها	۲۰۵
روح المؤمن هي الكَلِمُ الطيّب ، و العمل الصالح هوالذي يرفعه	۲۰۷
إنّ الله لايهدي الظالمين في نهجهم إلى عالم النور و السرور	۲۰۹
قدوم شمعون وصيّ موسى إلى صفّين في صورته البرزخيّة	۲۱۱
خطبة أميرالمؤمنين في مسجد الكوفة في الأُسبوع الذياستُشهد فيه	۲۱۳
شهادة مسلم بن عوسجة و بطولته في أرض كربلاء	۲۱۵
فهرس التأليفات	۲۱۹

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجلس الثامن

النجاة في الإيمان بالله طوعاً واتباع أحكام الدين تعبداً



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثامن من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لا حول و لا قوة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

و صلّى ٱللهُ على محمّد و آله ٱلطّاهرين

و لعنةُ ٱللّه على أعدائهم أجمعين من ٱلآن إلى قيام يوم الدين

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ .[1]

يتفرّد الإنسان من بين جميع الموجودات التي خلقها الله تبارك وتعالى العلويّة منها و السفليّة ، من طائفة الملائكة المقرّبين و سائر موجودات عالم الطبع والمادّة التي أوجدها مثل الحيوانات ؛ بامتلاكه خاصّيّة و ميزة تختصّ به ، و هي خضوعه لغرائز متباينة و صفات متضادّة ، وبامتلاكه الاختيار و العقل الذي يمكّنه من انتهاج أيّ سبيلٍ و منحىً يشاء ، وبناءً على هذا الأساس فقد خضع الإنسان للتكليف من قبل الله تعالى .[2]

١ـ الآية ١٥٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢ـ انّ طائفة الجنّ بالرغم من خضوعهم للتكليف و امتلاكهم للاختيار و إمكان العصيان ، إلّا أنّ وجودهم ضعيف جدّاً قياساً إلى وجود الإنسان ، و يمكن اعتبارهم في ⇦

إنّ الملائكة السماويين الذين أوجدهم الباري و منح كلّاً منهم قدرةً وعلماً و وظيفةً خاصّة ، لا يمكنهم تخطّي حدود الوظائف المسندة إليهم ، ولذلك فلا يوجد فيهم أيّ مجال للرقيّ و الكمال ، و هذا الأمر ينطبق على سائر الموجودات الأخرى سوى الإنسان .

أمّا الإنسان فإنّه مكلّف بتكاليف ، و يمتلك إرادة و اختياراً ، و قابليّة و استعداداً ، و لذا يستطيع عند ما يخضع لتربية صحيحة أن يتأدّب بالأدب الحقيقيّ و أن يطوي مقام الكمال . و عدم انصياعه لتلك التربية سيؤدّي إلى هدر ذلك الاستعداد و إضاعة تلك الجوهرة ، و بقائه متحجّراً في النقصان ، متسمّراً لا يستطيع حراكاً .

إنّ أصل وجود الإنسان يكمن في قابليّة الحركة نحو السعادة أو الوقوف و التهالك بين أنقاض الشقاء ، و على هذا الأساس ، فإنّ الجنّة أو النار التي خلقها الله سبحانه و تعالى إنّما هي للإنسان الذي يمتلك الإرادة والإختيار ، و الذي يتمكّن من تحويل استعداداته إلى مرحلة الفعلية من أجل الوصول إلى كماله ، أو أن يُضيعها و يُفسدها باختياره و يُغرقها في مستنقع الشهوات والأوهام ، لتصبح مُنتنةً عفنةً .

الإيمان طوعاً و اختياراً هو الذي ينفع الإنسان

مادام الإنسان يمتلك ناصية الاختيار فإنّ باب التوبة مشرع أمامه ، فإنّ إيمانه سيكون مؤثّراً و أعماله له صحيحةً مقبولة ، أمّا حين يُغلِق سبيل الاختيار فسيجد الإنسان نفسه مضطرّاً مُجبراً على اختيار سبيلٍ و منحىً

⇐ الحقيقة تابعين للإنسان و خاضعين له .

معيّن ، فإنّ التكليف سيسقط ءانذاك و الإيمان الذي سيحصل لديه لن يُثمر شيئاً ، و لن يكون له دور و لا أثر إيجابيّ في تكميل النفس و ترقّيها .

إنّ الإنسان يمتلك طيلة أيّام حياته الاختيار في أن يؤمن أو لا يؤمن ، و في أن يعمل صالحاً أو لا يعمل ، و أن يرتقي درجات معيّنة و يخطو نحو الفعلية الحسنة و الجنّة ، أو أن يحبس نفسه في دركات الجهل و يوقفها على الغرائز و الصفات البهيميّة فيبقى مخلّداً في جهنّم . ولكن في ساعة عمره الأخيرة ، حين يغرق في سَكَرات الموت ، حيث تُعدّ تلك الساعة هي الساعة الأخيرة من ساعات الدنيا و الأُولى من ساعات الآخرة ، و في تلك اللحظة ترفع الحجب عن عينيه فيرى الحقائق جليّة ببصيرته الملكوتيّة ، فإنّ الاختيار سيُسلب منه آنذاك ، و لن ينفعه إيمانه بالله و برسله و بيوم الجزاء ، ولن يضيره ذلك شيئاً ، لأنّ إيمانه عندئذٍ اضطراريّ و خارج عن الاختيار ،كما أنّ توبته غير مقبولة .

يقول سبحانه في الآية الشريفة التي تُليت في مطلع الحديث ، و هي الآية ١٥٨ من سورة الأنعام ، السورة السادسة من القرآن الكريم :

لماذا لا يؤمن الناس و لا يعملون الصالحات بالرغم من أنّهم يمتلكون الاختيار و الإرادة الآن ؟ أينتظرون مجيء ملائكةِ السماء ليؤمنوا ؟ أو ينتظرون أن يأتي ربّك ، أو يظهر لهم بعض آيات غضبه وقهره كي يؤمنوا ؟

فحين تأتي بعض آيات عذاب الله و غضبه من عالم الغيب ، لن ينفع الإيمان عندئذٍ أولئك الذين لم يؤمنوا من قبل أو يكتسبوا في إيمانهم خيراً ، لأنّ إيمانهم ذلك سيكون إيماناً صوريّاً و اضطراريّاً ، و سيكون إيماناً بعد تصرّم الدنيا و فقدان الاختيار ، و إيماناً بعد تلف البدن و تحطّم الغرائز و فقدان الإرادة .

بلى ، إنّ هؤلاء القوم لا يؤمنون حتّى يروا شيئاً من عالَم الغيب ، بَيدَ أنّ إيمانهم هذا لا فائدة له وقت المشاهدة . **قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** .

إنّكم لم تؤمنوا و لم تعملوا صالحاً ، فانتظروا حتّى تروا أشياء من عالم الغيب ، و سننتظر نحن أيضاً ذلك الوقت الذي سترون فيه أشياء من عالم الغيب ، لنراكم و أنتم تدركون عدم جدوى إيمانكم ذلك و عجزه عن الأخذ بأيديكم إلى النجاة و السلامة .

لقد بيّن الله سبحانه في أواخر سورة غافر (المؤمن) سيرة الأُمم السابقة التي أعرضت عن دعوة أنبيائها و المرسلين إليها ، فكلّما أبلغهم الأنبياء رسالات ربّهم و وصفوا لهم سبيله و دعوهم إلى الأعمال الحسنة ردّوا عليهم بقولهم : إنّ كلامكم هذا لا ينفعنا بشيء ، فنحن نريد أن نرى شيئاً ما عياناً لنؤمن به و يجب أن يكون شيئاً غيبيّاً يُرى بالعين ، يجب أن نرى العذاب مثلاً ، و أن نرى المَلَك ، و يجب أن نرى الله تعالى ، وإلّا فإنّنا لن نؤمن أبداً، إذ سيتنافى مع إيماننا بشيء لا نراه وإقامة عقائدنا على أساس أقوال نبيّ من الأنبياء .

و مهما أثبت الأنبياء لتلكم الأُمم بالمنطق و البرهان أنّ الأمر ليس كما تتصوّرون لم يذّعنوا ، و مهما قالوا لهم : إنّ الله عَزَّ شأنه قد منحكم الوجدان و الفطرة ، و منّ عليكم بالعقل و التفكير ، فزِنوا أقوالنا و دعوتنا بهذه الموازين التي منحكم الله إيّاها و شخّصوا بأنفسكم صحّة كلامنا ؛ فإنّهم لم يُعيروا لكلام أنبيائهم آذاناً صاغية ، حتّى جاءهم عذاب الله و هم في كفرهم و إنكارهم ، فأبادهم و أنهى وجودهم .

لقد كانت تلك الأُمم تؤذي الأنبياء و تخرجهم من ديارهم . و تعذّبهم و تقتلهم و تنشرهم وسط الأشجار بالمناشير ، و تجعلهم يفرّون هائمين في البراري والجبال ، و تُلحق بهم أنواع الأذى ، و لم تكن تلك الأُمم مستعدّة

أبداً للتسليم أمام أمر الحقّ ، و لا للتأمّل و التفكير في أقوال الأنبياء وعرضها على منطق العقل و ميزانه .

وكان الأنبياء يدعون ربّهم أن : اللّهم سئمنا هؤلاء الطُغاة والمتمرّدين و عيل صبرنا منهم ، فأنزِل بهم اللّهم أمرك و قضاءك . فكان الله يُنزل عذابه آنذاك على هيئة الريح العاتية و الطوفان و المرض والموت والزلازل الشديدة و الخسف و انشقاق الأرض و الغرق و المسخ و سائر أنواع العذاب المذكورة في القرآن الكريم .

على أنّ العذاب رُفع عن أُمّة نبيّنا من بين جميع الأُمم ، فصارت ببركة وجوده المقدّس مصونة من العذاب السماويّ و الأرضيّ . فقد ورد في الآية ٣٣ من سورة الأنفال :

وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

فلقد كان الأنبياء في حال مواجهة و صراع و جدال دائم مع أُممهم ، وكانوا يدعونهم إلى عالم الغيب و الحقّ ، بينما كانت أُممهم تعتمد على المال والثروة والقدرة وعلى غرورهم بعلومهم وباطلهم، وكانوا يعوّلون على هذه الأمور ويمتنعون عن التسليم والانقياد للحقّ .

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ .[1]

لقد كانوا يمتلكون الإرادة و الاختيار ، وكان الأنبياء عليهم السلام

١ـ الآيات ٨٣ إلى ٨٥، من السورة ٤٠ : غافر .

يذهبون إليهم فينصحونهم برفيق القول و ليّنه و يعظونهم ، إلّا أنّهم لم يُصغوا إليهم أبداً ، وكانوا يُعوّلون على علمهم ، وكما وصفهم القرآن : **فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ** ، وكانوا يخاطبون الأنبياء : إنّ كلامكم لاينفع شيئاً ، فأنتم تقولون إنّكم تخبرون عن الغيب و عن الله ، فأين هو عالم الغيب يا ترى ؟ و من هو الله ؟ إنّنا نمتلك علماً و منهجاً ، و قد درسنا في الجامعة و تخصّصنا في فنون و فروع معيّنة ، و لقد فجّرنا الذرّة ، و تفحّصنا جميع الأمراض و اكتشفنا حقيقة الميكروب ، و لقد توصّلنا إلى حلّ المعادلات من الدرجة الثالثة ، فنحن نُعوّل على قدراتنا و علومنا التي نمتلكها . و هكذا فقد كان أُولئك مغرورين بعلومهم هذه التي يمتلكونها ، فرحين جذلين بها لدرجة أنهم لا يتصورون وراءها شيئاً ، ولم يكن غرورهم واستكبارهم ليسمح لهم أن يُدركوا أنّ هناك عِلماً أرقى و أسمى و هو عِلم الأنبياء .

تعاليم الأنبياء والأحكام الإلهيّة ينبغي قبولها تعبّداً لا بالدليل و الفلسفة

إنّ هؤلاء المساكين لايدركون أنّ علومهم قياساً للعلوم الحضوريّة و الشهوديّة للأنبياء عليهم السلام ليست إلّا قطرة في مقابل البحر ، بل ينبغي عدّ تلك العلوم أمام علوم الأنبياء كالصفر مقابل العدد غير المتناهي . لذا يجب التسليم أمام الحقّ ، و يجب التسليم أمام علوم النبيّ و السير في مقام العبوديّة و نهجه .

إنّ هذه العلوم التي يعتمد عليها البشر هي العلوم الظاهريّة و الطبيعيّة و المادّيّة التي اكتسبها بحواسّ العين و الأُذن و عن طريق قابليّاته الذهنيّة و الفكريّة ؛ لكنّ العلوم التي جاء بها الأنبياء من عالم الغيب و السرّ فهي

علوم مجرّدة و لها السيطرة و الغلبة على العلوم الطبيعيّة ،كما أنّ الأفعال التي يقوم بها الأنبياء لا يمكن قياسها إلى أفعال الآخرين .

لذا يجب على البشر أن يكون خاضعاً و خاشعاً أمام الأنبياء ، لا أن يتساءل : ما هي فلسفة هذه الآية من القرآن الكريم ؟ إن علمتُ ذلك قبلتُها و إلّا رفضتُها . فهذا المنطق خاطئ و غير صحيح .

لأنّك إذا فهمتَ فلسفتَها فقبلتَها فإنّك لم تقبل الآية ، و لم تقبل كلام رسول الله ، بل قبلتَ فهمك أنت ، وكنت معتمداً على نفسك معوّلاً عليها ، و لم تكن إذ ذاك قد استمددت القوّة من سرّ النبيّ و قلبه ،كما لم تكن قد صافح أنفاسك أريج فاحَ من عطر العلوم الباطنيّة .

أمّا من يتّبع النبيّ و يؤمن بأنّه رجل إلٰهي يرتبط قلبه بالعالم العلويّ ، و أنّ كلّ ما يلفظه صدق يمثّل عين الحقيقة و الواقع ، فهم ذلك منه أم لم يفهمه ، فإنّ مثل هذا الشخص سيتقدّم في مسيرته مستلهماً القوّة من باطن النبيّ .

و هكذا فإنّ أساس تعاليم الدين يقوم على التعبّد ، حتّى لو أدرك الإنسان فلسفة تلك المطالب و حكمتها ، لكنّه لو كان قبلها من الأنبياء بعنوان التعبّد لكان ذلك أفضل له و أمثل .

و أساساً فإنّ مدرسة الأنبياء و منهجهم يقومان على النزوع إلى الحقائق ، و الإستفاضة من عالم الباطن و الغيب ، و الدعوة إلى الحقائق و الواقعيات ، و على أساس الخروج من الذّات و النفس و الإرتباط بالله و الحقّ .

و لو تقرّر أن يقايس الإنسان جميع علوم الأنبياء بعلومه و فكره و ذوقه ، فيقبل منها ما يعجبه و يرفض ما يعجبه ، فيا للويل عندئذٍ !

لكل فردٍ من أفراد البشر ذوقٌ وأسلوبٌ وفكرٌ وطريقة عمل وعلى هذا

ينبغي أن يكون هناك بعددهم وعدد أفكارهم فلسفات مختلفة في متناول أيديهم تتفق وفهم كلٍّ منهم، وهو أمر محال. وإجمالاً فإنّ جميع أولئك الذين أرادوا قياس التعاليم الإلهيّة بفكرهم ووزنها بعلمهم قد بقوا مخلّدين في عالم الغرور والإستكبار، واحترقوا في جهنّم العاجلة بنار آرائهم الباطلة.

أمّا الذين اعترفوا بنورانيّة تعاليم الأنبياء و سلّموا إليهم و صاروا من أتباعهم المخلصين المقتفين لآثارهم، فقد انكشفت الحقائق لهم فأدركوا أسرار الأحكام و فلسفتها و حكمتها من مبدأ العالم.

و للمرحوم صدر المتألّهين كلام شيّق في أنّ الأحكام الشرعيّة تعبّديّة ينبغي قبولها بلا مناقشة و بلا إدراك لفلسفتها و أسبابها، يقول في مقدّمة «الأسفار»:

«وَ إنّي لَأستَغفرُ الله كثيراً ممّا ضيّعتُ شطراً مِن عمري في تَتَبّعِ آراء المتفلسفةِ و المُجادلين من أهل الكلام و تدقيقاتهم و تعلّم جَربزتهم في القول و تفنّنهم في البحث حتى تبيّنَ لي آخرَ الأمر بنورِ الإيمان و تأييد اللهِ المنّانِ أنَّ قياسَهم عقيمٌ و صراطَهم غيرُ مستقيمٍ، فألقينا زمامَ أمرنا إليه وإلى رسولِه النذيرِ المنذر، فكلّ ما بَلَغنا منه آمنّا به و صدّقناه و لم نحتلْ أن نخيّلَ له وَجهاً عقليّاً و مَسلكاً بحثيّاً، بل اقتدينا بهداه و انتهينا بنهيه، امتثالاً لقوله تعالى: **مَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا**.[1] حتّى فتح الله على قلبنا ما فتح، فأفلح ببركة متابعتة و أنجح.»[2]

و كذلك قال العلاّمة الطباطبائي مدّ ظلّه[3] في المجلّد الثامن من تفسير

١ـ الآية ٧، من السورة ٥٩: الحشر.

٢ـ الأسفار، الطبعة الحجريّة، ج ١، ص ٤؛ والطبعة الحروفيّة، ج ١، ص ١١ و ١٢.

٣ـ الكتاب مؤلّف زمنَ حياة العلاّمة (ره)، و قد آثرنا المحافظة على تعبير المؤلّف.

«الميزان» ، ص ٢٤ ، ذيل الآية الشريفة من سورة الأعراف : **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَ خَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ** :[1]

«و بالجملة هو سبحانه الله الذي منه يبتدئ كلّ شيء ، و إليه يرجع كلّ شيء ، فإذا خلق شيئاً و حكم عليه بالفضل كان له الفضل و الشرف واقعاً و بحسب الوجود الخارجيّ ، و إذا خلق شيئاً ثانياً وأمره بالخضوع للأوّل كان وجوده ناقصاً مفضولاً بالنسبة إلى ذلك الأوّل ، فإنّ المفروض أنّ أمره إمّا نفس التكوين الحقّ أو ينتهي إلى التكوين ، فقوله الحقّ و الواجب في امتثال أمره أن يُمتثل لأنّه أمره ، لا لأنّه مشتمل على مصلحة أو جهة من جهات الخير و النفع حتى يعزل عن ربوبيّته و مولويّته و يعود زمام الأمر و التأثير إلى المصالح و الجهات ، و هي التي تنتهي إلى خلقه و جعله كسائر الأشياء من غير فرق.»

و إجمالاً فقد كانت الأُمم السابقة تقول لأنبيائها كهذا القول (قول إبليس) : إنّنا نمتلك علماً و فكراً نعتمد عليه و نفرح به ، فما حاجتنا لكم ؟

و كانوا يسخرون بما جاء به الأنبياء عليهم السلام و يتصوّرون اتّباع الآراء و الأفكار المرتبطة بعالم الغيب و التي كان يأتي بها أُولئك الأنبياء أمراً صبيانيّاً و جهلاً .

وَ حَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ . لقد أحاطت بهم تلك التهديدات و الوعيد الذي طالما سخروا به ، و شملتهم نتيجة أعمالهم و صاروا مورد سخط الله و عذابه .

لقد جاءهم عذاب الله فخاطبهم سبحانه أن تعالوا و ارفعوا عنكم هذا العذاب بعلمكم و غروركم القوميّ و خلّصوا أنفسكم منه ! و أنّى لكم

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الخلاص ، فقد غشيكم العذاب و أخذ بتلابيبكم ، تلك الريح المسخّرة من قبل الله تعالى و المأمورة بإهلاك قوم عاد الذين أنكروا على نبيّهم هود على نبيّنا و آله و عليه الصلاة و السلام ما جاءهم به من عندالله سبحانه .

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ .[1]

و أنّى لهؤلاء الناس أن يحذروا بعلمهم من تلك الريح المسمومة المهلكة التي تعصف متتابعة فتبيد مَن تصيبُه ؟ تلك الريح المسخّرة من قِبَلِ الله على قوم عاد لوحدهم دون غيرهم . وكيف يمكنهم المواجهة ؟ وما نفعهم التحفّظ على أنفسهم و حفظها ؟

و لقدكان قارون من قوم موسى على نبيّنا و آله و عليه الصّلاة و السلام ، فمنّ الله عليه بالأموال و الذخائر ممّا تَنوء بحمل مفاتح كنوزه العصبة و الجماعة القوّية ، بيد أنّه ظلم قومه ، و أعرض صفحاً عمّن نصحه منهم بالابتعاد عن الغرور و العُجب ، و بالإحسان إلى الناس و الرفق بهم ، و بأن لا يفسد في الأرض ؛ و أشاح بوجهه عمّن وعظه بالإنفاق على الضعفاء و اليتامى و المساكين و الرفق بهم ، وكان ردّه عليهم أن :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ .[2]

و لم يكن في علمه أنّ علماً و قدرةً كهذين لا يزنان عندالله جناح بعوضة ، و لم يَدْرِ في خلده أنّ الله مُهلك المستكبرين :

أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ .[3]

١ـ الآيتان ٧ و ٨ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة .

٢ـ الآية ٧٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٣ـ نفس الآية السابقة .

حتّى وصل في تكبّره و بَطَره و نعمته و قدرته إلى حيث صار قومه يحسدونه و يغبطونه ، و إلى حيث صار عامّة الناس يحسدون جاهه و جلاله و مقامه و عظمته ، ثمّ نزل عليه عذاب الله فجأة فخُسف به و بثروته وقصره جميعاً ، فلم يستطع أحد أن ينصره أو يستخرجه من الأرض التي ابتلعته ، لا علمهُ و لا قدرتُه و لا أعوانه و لا أنصاره .

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَ بِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ .[1]

و لقد عمّه الهلاك و الشقاء حتّى صار الذين يحسدونه بالأمس يقولون الحمد لله إنّنا لم نكن مكان قارون .

و لقد تحرّك فرعون خلف موسى و أتباعه و لاحقهم ، و قال إنّ النيل قد انشقّ لموسى و أُمّته فعبر هو و أتباعه ، و سينشقّ أيضاً لي و لجيشي كي أعبره أنا الآخر فأبيد موسى و قومه . و لم يعلم أنّ الماء كان مسخّراً مأموراً بالانشقاق لموسى و أتباعه لا لفرعون و جيشه . فقد كانت مأموريّة الماء و وظيفته أن ينعقد عليهم و ينطبق ، و هكذا ابتلعه الماء هو و جُنده فأُغرقوا أجمعين .

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ . حين كان العذاب و البأس و الشدّة تنصبّ من قِبَلِ الله تعالى فتُغلق عليهم سبيل الفرار ، و حين كان الأمر يصبح مقضيّاً لاخيار فيه ، ليس فيه اختيار لفعل الشيء أو تركه ، و لاللطاعة أو المعصية ، و لا للكفر أو الإيمان ؛ فإنّهم كانوا يرون أنفسهم مضطرّين للقبول فيقولون : **ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ .**

لقد كفرنا بما كنّا نعتقد فيه مقابل الله ، كفرنا بقوّتنا و عِلمِنا و قدرتنا ،

١ـ الآية ٨١ ، من السورة ٢٨ : القصص .

و جعلناها جميعاً تحت أقدامنا ، بيد أنّ هذا الإيمان إيمان لا طائل وراءه .

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا .

فلم يكن هناك مفرّ آنذاك من الإيمان ، و لم يكن هناك من ملجأ غيره ، و حين تُغلق في وجه الإنسان جميع السُبل فيجد نفسه مضطرّاً بائساً ، فإنّ ذلك الإيمان الاضطراريّ لن يسوقه إلى الجنّة ، و لن يجعله مؤمناً ،كما لن يجعل قواه الوجوديّة معتدلة متّزنة ، أو يُدخله في المدينة الفاضلة ثم ينزل به عذاب الله جزاءً وفاقاً لعمله فيصيبه بالهلاك و البوار .

سُنَّتَ ٱللهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ .

إنّ اختيار الإنسان سيُسلب منه في آخر ساعات حياته ،كما أنّه سيفقد إرادته ، و آنذاك سيزاح الستار جانباً و لن ينفع الإنسان إيمانه النابع من البؤس و الهلاك .

حينما ترفع الحجب و يرى الإنسان عاقبة أعماله ، فذاك وقت الفعليّة و موعد انتهاء مرحلة الاستعداد و القابليّة ، تلك هي لحظة ابتداء الظهور و العلن و انتهاء مرحلة الخفاء و الكتمان .

سيرى الإنسان في تلك اللحظة أعماله مجسّمة أمام ناظريه ، فيلحظ الجنايات التي اقترفها ، و الجرائم التي ارتكبها ، و القبائح التي بدرت منه ، و سيرى العصيان و التمرّد و المواجهات التي قام بها مقابل النبيّ ، و سينظر المظالم و الاعتداءات التي اجترحها فأعقبت له الانغماس في الظلمات و الغرق في الطوامير ، و كلّفته اجتياز العقبات و المتاهات و عبور المنعطفات الموحشة الوخيمة ، آنذاك سيجد ملائكة الغضب مستعدّين متأهّبين لقبض روحه بأشقّ الوسائل ، ثمّ يسوقونه معهم إلى أسوأ الأماكن غريباً وحيداً عاجزاً .

آنذاك سيرى الإنسان المجرم المختار ـ الذي لم ينتفع بكلّ ماقيل له

في الدنيا ـ نفسَه في يد قدرة الخالق و في قبضةِ قهرٍ و ظهورِ مقامِ الجلال ، و سيقول : لقد آمنتُ ، آمنتُ بالله و أشهد أن لا شريك له و لا عديل ، بيده المُلك و هو على كلّ شيء قدير . فينهال الملائكة المحشودون المراقبون على رأسه بدبابيس الحديد قائلين له :

أجنايةٌ هناك و إيمانٌ هنا ؟! أخيانة هناك و إيمانٌ هنا؟! أكفرٌ و شركٌ و زندقةٌ هناك و إيمانٌ هنا؟! هيهات ، إنّك لم تؤمن حين امتلكتَ الوسائل ، و الأثاث و الأسباب ، و حين امتلكت البدن و العلم و القدرة و سلامة المزاج و الأمان و فراغ البال ، أفتريد الآن أن تؤمن بعد أن تعطّلت الوسائل و صار البدن كالخشب المسنّد اليابس ، و بعد أن حلّ النسيان مكان العلم ، و تبدّلت القوّة عجزاً ، و بعد أن داهمتك الأمراض من كلّ صوب فرأيتَ نفسك أمام الغضب و القهر وجهاً لوجه ؟!

لا فائدة من هذا الإيمان ، و لن يحلّ لك من أمرك ما أشكل ، و لن يضيرك نفعاً أو تأثيراً في رفع العذاب أو الخلاص من العواقب الوخيمة لسوء فِعالك .

تا ز دستت میرسد کاری بکن

پیش از آن کز تو نیاید هیچ کار[1]

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ .[2]

١ـ يقول : فَلْتُقْدِمْ مادَامَ بإمكانكَ أن تفعلَ شيئاً ، قبلَ أن تقصر يداك عن فعلِ أيّ شيء .

٢ـ الآية ١٥٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

حين لاحق فرعون و جنده موسى و من معه ليستأصلوهم بسيف الحقد، وصل موسى إلى شاطئ النيل، و لم يكن له مفرّ يلجأ إليه من جند فرعون المحدقين به من كلّ صوب و حَدب إلّا أن يتقدّم إلى الأمام، أي إلى نهر النيل، فانشقّ له الماء بأمر الله عن طريق يَبَس تحيطه الأمواج العالية من جانبيه، فألقى موسى و أتباعه بأنفسهم في النيل فسلكوا فيه، و آنذاك وصل فرعون و جنده و شاهدوا ـ و ياللعجب ـ موسى و قومه يعبرون وسط النهر، فقالوا: لا عجبَ في الأمر، فسنعبر كما عبروا فندركهم، و ما أن اقتحموا النهر حتى انطبق الماء عليهم.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَ أَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ. [1]

فوضع جبرئيل شيئاً من حمأ البحر في فمه و قال:

ءَآلْـٰنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ. [2]

فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ. [3]

اليوم سنخطف نفسك و ننتزعها و نصطحبها إلى حيث محلّ فعلية أعمالك التي سبقتْ منك و إلى حيث عاقبتها، كي ترى بعينك ما سيحلّ بك، لكنّنا سنخرج بدنك من الماء فنلقيه إلى الساحل، فيأتي الناس ويشاهدوا بدنك المتعفّن كيف اكتنفته الذلّة و الحقارة، فلا يقولنّ أحدٌ إنّ فرعون التحق برجال الغيب في وسط اليمّ أو إنّه عرج إلى السماء.

١ـ الآية ٩٠، من السورة ١٠: يونس.

٢ـ الآية ٩١، من السورة ١٠: يونس.

٣ـ الآية ٩٢، من السورة ١٠: يونس.

كيفيّة قبض أرواح الظالمين و استثناء المستضعفين

يقول الله سبحانه في قرآنه الكريم في الآية ٩٧ من سورة النّساء في كيفيّة قبض أرواح الظالمين :

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيها فَأُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَآءَتْ مَصِيراً .

يقول ملائكة قبض الأرواح لأُولئك الذين ظلموا أنفسهم حين يقبضون أرواحهم : فيم كنتم ؟ فيُجيبون :كنّا مستضعفين في الأرض ، يتسلّط علينا طغاة زماننا ، و لم نكن نمتلك اختياراً و إرادة لنسعى لكسب المعارف الإلهيّة و العلوم الحقّة ، و لنحصل على العلوم الحقيقيّة لنكفّ بذلك عن ظلمنا لأنفسنا و للآخرين .

فيردّ عليهم ملائكة قبض الأرواح : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا من أماكنكم التي كنتم فيها تحت سيطرة الظالمين و تعذيبهم ، و تسكنوا في أماكن و منازل بعيدة عن تسلّط أُولئك الطغاة ، فتُشغلوا أنفسكم باكتساب المعارف الإلـهيّة و بالعبادة و السير في المدارج والمعارج الروحيّة لأنفسكم ؟ لِمَ لَمْ تخرجوا من دياركم و تهاجروا إلى حيث يمكنكم حفظ دينكم ؟ ولأنّهم لن يحروا جواباً ، ولأنّهم سيُحكمون بمنطق الملائكة ، فإنّ مأواهم سيكون جهنّم ، و ساءت منزلاً ومصيراً .

إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَـٰٓئِكَ عَسَىٰ ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً .[1]

١ـ الآيتان ٩٨ و ٩٩ ، من السورة ٤ : النساء .

إلّا المستضعفين الذين يفتقدون قوّة الإدراك حقيقة . فلا يهتدون سبيلاً ، أو لا يمكنهم الخروج و التمرّد على سيطرة الأب و الأُمّ ، و لا يمتلكون قدرة الخروج على تعليم الأُستاذ أو على مخالفة سلوك الجوّ السائد و القوى الحاكمة ، أو أُولئك النساء و الأطفال الذين يخضعون لسيطرة الأزواج و المربّين الذين يعلّمونهم ما أرادوا و يوجّهونهم حيث شاءوا ، فلا عقل و لا دراية لهم يمكنهم بها التمييز بين السقيم و الصحيح والتخلّص من التقليد الخاطيء ، لأنّ هؤلاء لا يدركون مسألة احتمال خطأ المنهج الذي ينهجونه ليكونوا في صدد إصلاحه و تقويمه .

المراد بالمستضعف في منطق القرآن و عُرفه

هؤلاء الأفراد يُدعون في المنطق القرآني بالمستضعفين ، و عسى أن يعفو الله سبحانه عنهم و يتجاوز عن ذنوبهم إن لم تخالف العقل و لم تكن من قبيل الظلم و الاعتداء و الجرائم بحقّ الآخرين أو خيانتهم .

و هؤلاء المستضعفون هم أُولئك الذين لم يمتلكوا بأنفسهم القدرة على تشخيص دين الحقّ ، و الذين لم يفيدوا شيئاً و لم ينتفعوا من مطالعة الكتب الحقّة ، كما أنّهم لم يلتقوا بالعلماء الربّانيّين و الزهّاد الحقيقيّين ذوي الضمير الصافي اليقظ الذين تخطّوا حيقيقةً هوى أنفسهم ، ليحرّكهم نهج أُولئكم و سلوكهم ، و لتهزّهم أرواحهم المتعالية فيضعوا أقدامهم على الصراط المستقيم و يفوزوا بالمقصود الأصيل .

أمّا أُولئك الذين يمتلكون القابليّة و الاستعداد لمعرفة الصراط المستقيم ولقاء العالم الربّاني و المربّي الإلٰهي ، و القدرة على المطالعة والتدبّر في القرآن الكريم و السنّة النبويّة و منهج الأئمّة الطاهرين ، والذين

يمتلكون إمكانية الخروج على لجام الطاعة و العبوديّة لطواغيت زمان و ظالميه ، و على كسر طوق التقليد الأعمى ، و على الالتحاق بمقام العِـ الحقيقي ، و التبعيّة و التقليد لعالِمٍ و معلّمٍ إلهيّ ، إلّا أَنّ غرورهم و غفلت و نوازعهم الشهويّة و الماديّة أبعدتهم عن عالم المعنى و سلكت بهم لذل سبيلَ الضلال .

فليسوا من المستضعفين ، بل هم من الظالمين و من أهل جهنّم و سيؤاخذون و يعاقبون على عقائدهم الباطلة و صفاتهم الرذيلة و أعماله الظالمة غير المقبولة ، و لن يقبل ملائكة قبضِ الأرواح لهم عذراً مه حاولوا جعل أنفسهم في مصاف المستضعفين ، و سيسوقونهم إلى جهن زُمرا .

ثمّ يقول سبحانه بعد هذه الآيات ، أي في الآية ١٠٠ من هذه السورة **وَ مَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً وَ مَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَ رَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَ كَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** .

فلا يقولَنّ أحد إنّني لا أستطيع الهجرة لأنّني ولدت هناك و ترعرعتُ ، و لأنّ هناك قومي و عشيرتي و أصدقائي و عملي و منزلي و حديقتي و تجارتي و زراعتي و زوجتي و أولادي و سائر شؤوني ، لذا فإنّ إقامتي هناك حيث تُرتكب المنكرات و الفحشاء و حيث يطغى الإعلامُ السيّء و تطبّق الأحكام الظالمة و الجائرة أمرٌ له حكم الضرورة ، و عليه فإنّ الأمر خارج من عُهدتي و لستُ مسؤولاً عن عدم تطبيق الأحكام الإلهيّة .

و هذا المنطق خاطئ ، لأنّ الإنسان الملتزم و الحامل للمسؤوليّة ، و الواعي و النبيه الذي يرى سعادته في الكمال الروحي و في الارتقاء إلى أعلى درجات الإنسانيّة يجب أن يتحمّل المشاكل والصعاب التي تعترضه أوّل

الطريق بعزمه الراسخ و إرادته التي لا تتزعزع ، و أن يختار لنفسه مكاناً مناسباً يضمن إمكان السير الروحي و اقتناء الكمال المعنوي و حفظ و حراسة نفسه و متعلّقيه و أولاده من الفساد و الضياع ، و أن لا يُعنى بموانع و صوارف الخوف و الهلع التي قد تصرفه عن غايته .

و إذا ما تحقّق في داخله عزمٌ كهذا فإنّ الله سبحانه سيهديه إلى أمكنة تناسبه و سيُخرجه من حيرته . و لو افترضنا أنّه لن يصل إلى هدفه فإنّه سيكفيه أنّه خرج من بيته مهاجراً إلى الله ، وأنّه قد تخطّى نفسه وصار في المسير و الحركة و البحث و السعي في سبيل التعلّم ، و صُهر في بوتقة شوق و محبّة الوصول ، هذه المطالب يبيّنها ملائكة قبض الأرواح للأفراد الظالمين ، ثمّ إنّهم يسوقونهم ولكن بأيّ وضع و كيفيّة و هيئة ؟

ورد في رواية في «عيون أخبار الرضا» عن تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام يروي فيها الإمام عن آبائه عن الصادق عليه السلام أنّ قبض أرواح الكفّار هو :

كَلَسْعِ الأفاعِي وَلَدْغِ الْعَقَارِبِ أوْ أَشَدَّ . قِيلَ : فَإنَّ قَوْماً يَقُولُونَ : إنّه أَشَدُّ مِنْ نَشْرٍ بِالْمَنَاشِيرِ وَ قَرْضٍ بِالْمَقَارِيضِ ، وَ رَضْخٍ بِالأحْجَارِ ، وَ تَدْوِيرِ قُطْبِ الأرْحِيَةِ عَلَىٰ الأحْدَاقِ ، قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ عَلَىٰ بَعْضِ الْكَافِرِينَ وَالْفَاجِرِينَ أَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَايِنُ[1] تِلكَ الشَّدائِدِ . فَذَلِكُمُ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا إلّا مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَإنّه أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنيا .[2]

١ـ أوردها في نسخة «بحار الأنوار» بلفظ «يُعاني» .

٢ـ «العيون» ، الطبعة الحجريّة ، ص ١٧٨ ؛ و يروي الصدوق ص ١٧٨ عن محمّد بن القاسم المفسّر المعروف بأبي الحسن الجرجانيّ قال : حدّثنا أحمد بن الحسن الحسينيّ ، عن الحسن بن علي ، [عن أبيه عن الجواد] عن أبيه الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت . قال : للمؤمن كأطيب ريحٍ يشمّه فينعس ⇐

بلى إنّ هذا القسم من أنواع العذاب في سكرات الموت مُختصّ بالظالمين و الحكّام الجائرين و الكفّار من ذوي القلوب المتحجّرة القاسية و البعيدين عن الإنصاف و العدالة .

أمّا المؤمنون الذين اعتقدوا بالله و سلّموا لأمره و عمروا لأنفسهم عالَم الوجدان و الآخرة ، و لم يتخطّوا دائرة الإنصاف قدماً واحداً ، و لم يتعدّوا على حقوق الآخرين . و الذين سعوا و جاهدوا لإعلاء كلمة الحقّ و التوحيد المقدّسة ما وسعهم ، فصاروا في زمرة أولياء الله و محبّيه ، و في مصاف المنزّهين و المخلصين ، فإنّ قبض أرواحهم سهلٌ يسير لاحدّ ليُسره و سهولته .

يروي الشيخ الطوسيّ في كتاب «الأمالي» عن الشيخ المفيد ، عن عمرو بن محمّد الصيرفيّ ، عن محمّد بن همام ، عن الفزاريّ ، عن سعيد بن عمر ، عن الحسن بن ضوء ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

قالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ العابِدينَ عليه السلام : قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ : مَا مِنْ شَيءٍ أَتَرَدَّدُ عَنْهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤمِنِ يَكْرَهُ الْمَوتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، فَإذَا حَضَرَهُ أَجَلُهُ الَّذِي لاَ يُؤَخَّرُ فِيه بَعَثْتُ إلَيْهِ بِرَيْحَانَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ تُسَمَّىٰ إحْدَاهُمَا الْمُسْخِيَةَ وَالأُخْرَىٰ الْمُنْسِيَةَ ؛ فَأمَّا الْمُسْخِيَةُ فَتُسْخِيهِ عَنْ مَالِهِ ، وَ أَمَّا الْمُنْسِيَةُ فَتُنْسِيه أَمْرَ الدُّنْيَا[1].

و يروى متن هذه الرواية في كتاب «الكافي» و «معاني الأخبار» بسنديهما المتّصل عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه

⇐لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّه عنه ، و للكافر كلسع الأفاعي .

١ـ «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ١٥٢ . أمّا في نفس «أمالي الطوسيّ» ، طبع النجف ١٣٨٤ هجريّة ، المجلّد الثاني ، ص ٢٩ فقد وردت الرواية بهذا اللفظ : ما من شيءٍ أتردّد فيه مثل تردّدي عند قبض روح المؤمن ...

و آله :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه و آله : لَوْ أَنَّ مُؤمِنًا أَقْسَمَ عَلَىٰ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ أَن لَا يُمِيتَهُ مَا أَماتَهُ أَبَداً ، وَلَـٰكِنْ إِذَا حَضَرَ أَجَلُهُ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رِيْحَيْنِ إِلَيْهِ.[1]

أمّا المراد بالتردّد و التأخير في هذه الرواية فهو تردّد الله في مراتب الأسماء الجزئيّة ، و إلّا فإنّ التردّد في ذاته المقدّسة جلّ و عزّ ليس معقولاً ، كما أنّ التردّد في الأسماء الجزئيّة هو الإبطاء في مقام العمل و في مقام التغيير إلى الفعليّة . و بإجمال فإنّ هذا المؤمن لا يرغب في الرحيل عن الدنيا ، و الله سبحانه لا يرغب أن يقبض روحه بلا رضاه و خلافاً لرغبته و اختياره .

يقول سبحانه : إذا حضر أجل المؤمن بعثتُ إليه بيد ملك الموت ريحانتين ، تسمّى إحداهما المسخية ، مشتقّة من مادّة «السخاء» ، و حين يمسكها المؤمن في يده يعبق عطرها في أنفه فيُسكره فيسخو عن جميع ماله ، و يخلو وجوده من أيّ علاقة بالمال ؛ و الأُخرى المُنسية ، مشتقة من مادة «النسيان» ، و حين يُعطاها المؤمن فإنّ أريج عطرها يُنسيه كلّ ما عدا الله من الأُمور الدنيويّة ، كالزوجة و الولد و العشيرة و الأعوان و الأنصار و الخدم و الحشم و الاعتبار و الجاه و غير ذلك .

هاتان الريحانتان تعبقان و تتضوّعان برائحة الله ، فيسكرُ من يعبق عطرُ حرمِ الله في مشامه و يدهش فلا يُقيم وزناً في كيانه و وجوده لأيّ شيء في مقابل جمال الحضرة الأحديّة ، فيفدي كلّ ذلك فداء قدم

١ـ «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ؛ و «معاني الأخبار» ، الطبعة الحيدريّة ، ص ١٤٢ .

المحبوب .

اگر زکوی تـو بـوئی بـمن رسـاند بـاد

بمژده جان گرامی به باد خـواهـم داد[1]

و قد وردت رواية «الكافي» و «معاني الأخبار» بلفظ **ريحيْن** بدل **ريحانتيْن** ؛ أي أنّ هناك نسيمين يهبّان من الجنّة ، و أيّ نسيمين ؟ نيسمان منعشان مُبهجان يبعثان النشاط ، ينمحي كلّ شيء بـوجودهما و هـبوبهما على مشام الروح .

هـمای اوج سـعادت بـه دام مـا اُفـتد

اگـر تـراگـذری بـر مـقام مـا افـتد

حـباب وار بـرانـدازم از نشـاط کـلاه

اگر ز روی تو عکسی به جام ما افـتد

شبی که ماه مـراد از افـق شـود طـالع

بـود کـه پـرتو نـوری بـه بـام مـا افـتد

ز خاک کوی تو هر دم که دم زند حافظ

نسـیم گـلشن جـان در شـام مـا افـتد[2]

١ـ يقول : «إذا هبّت عَلَيّ الصَّبا بنسائم معطّرة من حَيِّك ، فسأهبها ـ لبشـارتها بك ـ روحي الغالية» .

٢ـ يقول : «لو مرّ خيالك علينا فإنّ طائر اليُمن و السعادة سيسقط أسير حبائلنا .

و لو انعكس خيالك في كأسنا لقذفتُ من الجذل قبّعتي في الهواء كما تتصاعد الفقاعة .

و الليلة التي يطلع فيها قمر المراد من الأُفق ، هي الليلة التي سيُشرق شعاع نوره على شرفة دارنا .

و كلّ آن تحدّث فيه حافظ عن تراب حَيِّك ، عبقت نسائم الحياة و عبير رياضها في مشامّنا» .

هذا و قد روى البرقيّ في كتابه «المحاسن» هذه الرواية الشريفة بسندين آخرين باختلاف يسير في المتن . الأوّل عن ابن فضّال عن ابن فضيل ، عن أبي حمزة الثماليّ :

قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السّلام يَقولُ : قَالَ اللهُ تَبَارِكَ و تعالى : مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنِ الْمُؤمِنِ فَإِنِّي أُحِبُّ لِقَاءَهُ وَ يَكْرَهُ الْمَوتَ فَأَزْوِيهِ عَنْهُ ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَاكْتَفَيْتُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِي وَ لَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ إيمانه أُنْسَاً لاَ يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَىٰ أَحَدٍ .[1]

و الثاني عن ابن فضّال ، عن أبي جميلة ، عن محمّد بن علي الحلبيّ قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام :**

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَىٰ : لِيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنِّي مُسْتَذِلُّ عَبْدِيَ الْـمُؤمِنِ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ كَتَرَدُّدِي فِي مَوْتِ الْمُؤْمِنِ ، إِنِّي لَأُحِبُّ لِقاءَهُ وَ يَكْرَهُ المَوْتَ ، فَأَصْرِفُهُ عَنْهُ ، وَ إِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَجْعَلُ لَهُ مِنْ إِيمانِهِ أُنْسَاً لَا يَسْتَوْحِشُ فِيهِ إِلَىٰ أَحَدٍ .[2]

و هذه الرواية تشابه في مفادها و مضمونها الرواية السابقة ، إلّا أنّ في مطلعها عبارة :

«**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : لِيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنِّي مُسْتَذِلُّ عَبْدِيَ الْمُؤمِنِ**» ويقول في الجملة قبل الأخيرة : «**وَ إِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ**» .

و هذه الرواية في غاية الأهميّة من جهة سندها و متنها ، فـهي أوّلاً

١ـ «محاسن البرقيّ» ، كتاب «الصفوة و النور و الرحمة من المحاسن» ، باب الانفراد ، في طبعة رنگين ج ١ ص ١٥٩ و ١٦٠ .

٢ـ نفس المصدر السابق .

ـ من جهة السند ـ قد رويت بأسانيد مختلفة عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و عن زين العابدين و جعفر الصادق عليهما السّلام في مثل «المحاسن» و «الكافي» و «معاني الأخبار» .

و ثانياً : فهي من جهة متنها و قوّة دلالتها على جلالة مقام المؤمن و منزلته ؛ تلك الدلالة التي صِيغت بأحلى لحن و أرقّ عبارة ؛ حاكية عن المعاني الدقيقة و الأسرار الخفيّة ، فعبارة «**لِيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنِّي**» لها دلالة على أنّ إهانة المؤمن هي إهانة لله ، تلك الإهانة التي لا تُغتفر و التي تُعدّ من أكبر الذنوب ، لأنّها إعلان الحرب مع الله . سبحانه ، و تدلّ عبارة «**وَ إِنَّهُ لَيَدْعُونِي فِي الْأَمْرِ**» على أنّ دعاء المؤمن لا يُرَدّ أبداً ، و أنّ له مقاماً عندالله تبارك و تعالى بحيث أنّه مهما أراد من ربّه و في أيّ حال و تحت أيّ شرائط و بأيّ كيفيّة و مقدار ، فإنّ المعبود سبحانه يمنّ عليه بما طلبه أو بأفضل منه .

كما أنّ عبارة «**مَا تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ**» من العبارات البديعة و التعبيرات الظريفة التي لم تنقل عن الله عزّ وجلّ في غير هذا المورد ، و يصعب تصوّر الحدّ الذي يظهر فيه مقام لطف الله بالمؤمن و رحمته له ، و أنّ تردّد الله و تفقّده لحال المؤمن يماثل تماماً حال العاشق الذي يتفقّد على الدوام حال المعشوق و لا يرضى أن يلحقه أدنى أذى ،كما يسعى في الوقت نفسه أن لا يصيبه أيسر انزعاج ، فيجد نفسه متردّداً بين هذين الأمرين فهو يبحث عن منفذ و طريق للحلّ .

إنّ المؤمن الذي يخوض على الدوام مُعتركَ المناجاة و التضرّع و الابتهال في مسير لقاء الله عزّ وجلّ ، و الذي وضع أقدامه ضمن دائرة المحبّة وا لعشق ، فرضيَ بآثار العشق الشديد و الوله و الهيام والتحيّر عن كلّ شيء غير زيارة حبيبه و لقائه ، و الذي صارت له علاقة خاصّة تربطه

بخالقه في مرحلة الخلوة و الصفاء ، قد صار محبوباً عزيزاً عند الله سبحانه حتّى عَشِقه اللهُ فصار يعامله وفق أدقّ أسرار المحبّة و خفاياها .

و ما أقرب هذه العبارة للحديث القدسيّ الآخر القائل :

أَنَا جَلِيسُ مَنْ جَالَسَنِي ، أَنَا ذَاكِرُ مَنْ ذَكَرَنِي ، أَنَا غَافِرُ مَنِ اسْتَغْفَرَنِي ، أَنَا مُطِيعُ مَنْ أَطَاعَنِي .[1]

ستاره‌ای بدرخشید و ماه مجلس شد
دل رمیدهٔ ما را أنیس و مؤنس شد
نگار من که بمکتب نرفت و خط ننوشت
به غمزه مسئله آموز صد مدرّس شد
طرب سرای محبّت کنون شود معمور
که طاق ابروی یار مَنَش مهندس شد
بصدر مصطبه‌ام می‌نشاند اکنون دوست
گدای شهر نگه کن که میر مجلس شد[2]

١ـ «أسرار الصلوة» للحاج الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ ، الطبعة الحجريّة ، ص ١٠ ؛ والطبعة بالحروف ص ١٩ . ولكن يبدو في الظاهر أنّ ذلك المرحوم قد نقل هذا الحديث على لسان المَلَك الداعي .كما أنّ المرحوم قد ذكر هذا الحديث في كتابه «المراقبات أو أعمال السنَة» ، ص ٣٦ في مراقبات شهر رجب . و أورد السيّد ابن طاووس في «الإقبال» أصل الحديث ،كما أورده ذلك المرحوم في أعمال شهر رجب ص ٦٢٨ إلّا أنّه لم يذكر عبارة «أنا ذاكر من ذكرني» . و أصل الحديث طبقاً لرواية الإقبال هو : من كتب العبادات عن النبيّ صلوات الله عليه و آله قال : «إنّ الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكاً يقال له الداعي ، فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كلّ ليلة منه إلى الصباح : طوبى للذاكرين طوبى للطائعين ، ويقول الله تعالى : أنا جليس من جالسني ومطيع من أطاعني وغافر من استغفرني.»

٢ـ يقول : «تألّق نجم الحبيب وتوهّج فصار شمع مجلسنا و أنيس قلبي النافر الجفول . لقد صار حبيبي الذي ما يمّم قطّ صوب مدرسة و ما خطّ حرفاً ـ معلّماً بغنجه الفاتن ⇐

و تدلّ عبارة «رَيْحَانَتَيْن أو رِيْحَيْن : المُسْخِيَة و المُـنْسِيَة» عـلى أنّ هناك نسيمَيْن يهبّان عليه من جذبات الجمال و الجلال فيُدخلانه مباشرة في جزائر الرحمة و الأُنس الخالدة ؛ فالمُسخية هي جذبة الجمال التي لايـبقى عند المؤمن بطلوعها أثرٌ لأيّ شيء ، فتتلاشـى بظهور تلك الجذبة علائق جميع أمواله و ثروته التي كان يعوّل عليها .

أمّا المُنسية فهي جذبة الجلال التي لايبقى عند ظهورها قدر وقـيمة للدنيا و آثارها من التعلّق القلبي و الارتباط بشؤون الحياة .

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلإكْرَامِ .[1]

و قد صرّح المرحوم المولى صدرا في كتاب «الأسفار» أنّ المراد من الإكرام في هذه الآية الشريفة مقام الجمال الذي هو عِدْل الجلال ، و يشمل العطاء و الرحمة .[2]

حضور الأرواح المقدّسة لجميع الأئمّة و لرسول الله و الصدّيقة الزهراء لدى المؤمن عند سكرات الموت

روي عن «تفسير فرات بن إبراهيم» ، عن أبي القاسم العلويّ ، معنعناً

⇦ لمائة مدرّس .

و غدا فناء طرب المحبّة معموراً حين صار محراب حاجب الحبيب مهندساً له .

لقد صار الحبيب يُجلسني الآن في صدر المنصّة ، فانظر كيف استحال شحّاذ المدينة أمير المجلس!» .

١ـ الآية ٧٨ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

٢ـ «الأسفار» ، الطبعة الحجريّة ، ج ٣ ، ص ٢٤ و ٢٥ . و عبارته : «الصفة إمّا إيجابيّة ثبوتيّة و إمّا سلبيّة تقديسيّة ، و قد عبّر الكتاب عن هاتين بقوله : تبارك اسم ربّك ذي الجلال و الإكرام...» .

عن أبي بصير قال : قُلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : جُعلتُ فداك يُستكره المؤمنُ على خروجِ نفسه ؟

قال : لا واللهِ .

قال : قلتُ : وكيفَ ذاك ؟

قال : إنّ المؤمنَ إذا حضرتْه الوفاةُ حضرَ رسولُ الله صلّى الله عليه و آله و أهلُ بيته : أميرالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب و فاطمة و الحسنُ و الحسينُ و جميعُ الأئمّةِ عليهم الصلاة و السلام ـ ولكنْ أَكِنُّوا[1] عن اسمِ فاطمة ـ و يحضره جبرئيل و ميكائيلُ و إسرافيلُ و عزرائيلُ عليهم السلام .

قالَ : فيقولُ أميرُالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : يا رسولَ الله إنّه كانَ ممّنْ يحبّنا و يتولّانا فأحِبَّهْ . قال : فيقولُ رسولُ الله صلّى الله عليه و آله :

يا جبرئيل إنّه ممّنْ كانَ يحبُّ علياً و ذرّيّتَهُ فأحبّهُ ، و قالَ جبرئيلُ لميكائيل و إسرافيل عليهم السلامّ مثلَ ذلك . ثمّ يقولون جميعاً لملكِ الموتِ : إنّه ممّن كانَ يحبّ محمّداً و آله و يتولّى عليّاً و ذرّيّتَهُ فارفقْ به .

قال : فيقولُ مَلَكُ الموتِ : والّذي اختاركم وكَرّمكم و اصطفى محمّداً صلّى الله عليه و آله بالنبوّةِ و خَصّهُ بالرّسالةِ لأَنَا أَرفقُ بِهِ من والدٍ رفيقٍ ، وأشفقُ عليه من أخٍ شفيقٍ . ثمّ قامَ إليه ملكُ الموتِ فيقول : يا عبدَالله أخذتَ فكاك رقبتكَ ؟ أَخَذْتَ رَهْنَ أَمانِكَ ؟

فيقولُ : نَعَم . فيقولُ ملكُ الموتِ : فبماذا ؟ فيقول : بحبّي محمّداً و آله ، و بولايتي علي بن أبي طالب و ذرّيّته .

١ـ «أَكِنُّوا عن اسم فاطمة عليها السلام» ، أي لا تصرّحوا باسمها لئلّا يصير سبباً لإنكار الضعفاء من الناس بسبب حضورها عند أجنبيّ .

فيقول : أمّا ماكنتَ تحذرُ فقد آمنك اللهُ منه ، و أمّا ماكنتَ تَرجو فقد أتاكَ اللهُ به . افتحْ عينيكَ فانظرْ إلى ما عندك .

قال : فيفتح عينيه فينظرُ إليهم واحداً واحداً ، و يُفتحُ له بابٌ إلى الجنّةِ فينظر إليها . فيقولُ له : هذا ما أعَدَّ اللهُ لكَ ، و هؤلاءِ رفقاؤك ، أفَتحبّ اللحاقَ بهم أو الرجوعَ إلى الدنيا ؟ قال : فقال أبوعبد الله عليه السلام : أمَا رَأيتَ شُخوصَهُ وَ رَفْعَ حاجبيْه إلى فوق مِن قوله :

لَا حاجةَ لي إلى الدُّنيا و لا الرجوع إليها . و يناديه منادٍ من بطنانِ العرش يسمعه و يسمع من بحضرته : «**يَـٰٓأَيَّـتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ**»[1] **إلىٰ مُحَمَّدٍ وَ وَصِيِّهِ وَالأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ** «**ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً**»[2] **بِالْوِلاَيَةِ** ، «**مَّرْضِيَّةً**»[3] **بِالثَّوَابِ** ، «**فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى**»[4] **مَعَ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ** «**وَٱدْخُلِى جَنَّتِى**»[5] **غَيْرَ مَشُوبَةٍ** .[6]

هناك في تلك الجنّة نورٌ محض ، و حريّة محضة ، و راحة محضة خالصة لايشوبها شيء ؛ أمّا في الدنيا فإنّ أيّ راحة للإنسان مشوبة بنوع من الأذى و التكدير ، السلامةُ مشوبة بالمرض ، و الراحة مخلوطة بالمتاعب ، والنور مشوب بالظُّلْمَة ، و الأمان ممزوج بالقلق ، و الطمأنينة توأم مع الاضطراب و التشويش . لكنّ جميع هذه الجهات التي تسبب تنغيص العيش منتفية في الجنّة ، و ليس هناك إلّا الراحة الخالصة و النور المحض . لذلك فإنّ الإنسان لن يرضى بالعودة إلى الدنيا ، و لن يقبل باستبدال تلك

١ـ الآية ٢٧ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٢ و ٣ ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٤ـ الآية ٢٩ ، من السورة : ٨٩ : الفجر .

٥ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٦ـ «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ١٦٢ و ١٦٣ .

الراحة و فراغ البال و الأُنس و الأُلفة بالعليّين بالمنغّصات و بالمعاشرة مع أهل السجّين . قال أصحاب سيّد الشهداء عليه و عليهم السّلام : «لن نرجع عمّا عقدنا عليه العزم» . وكان الإمام صلوات الله عليه قد قال لهم :

أَلَا و انِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ ، فَانطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ ، هَذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً .[1]

فقال كلّ واحد من أهله الهاشميّين و أصحابه شيئاً في جوابه و أظهروا الخجل [من عجزهم أن يقدّموا غير أرواحهم فداءً له] ، و نهض من جملتهم زهير بن القين فقال : **وَاللهِ لَوَدَدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرتُ ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّىٰ أُقْتَل هٰكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ وَ عَنْ أَنْفُسِ هَؤلاءِ الْفِتْيَانِ مَنْ أَهْلِ بَيْتِكَ .**[2]

و لقد كانوا يتسابقون يوم عاشوراء في الحرب دفاعاً عن سبط النبيّ ، فقد صارت الحياة لديهم مرّة كالعلقم ، و صارت أبدانهم تضيق بأرواحهم الكبيرة ، وكان بعضهم يتوسّل كي يُسمح له بالبراز إلى الحرب .

مقتل عابس بن شبيب الشاكريّ يوم عاشوراء

يقول الطبريّ في تأريخه :

فَوَقَفَ عَابِسٌ أَمَامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السَّلامُ وَ قَالَ : مَا أَمْسَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَ لَا بَعِيدٌ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْك . وَ لَوْ قَدِرْتُ أَنْ أَدْفَعَ الضَّيْمَ عَنْكَ بِشَيءٍ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي لَفَعَلْتُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَشْهَدُ أَنِّي عَلىٰ

١ـ «الإرشاد» للمفيد ، الطبعة الحجريّة سنة ١٢٨٥ ، ص ٢٥٠ .

٢ـ «الإرشاد» للمفيد ، الطبعة الحجريّة سنة ١٢٨٥ ، ص ٢٥١ .

هُداكَ وَ هُدَىٰ أَبِيكَ ، وَ مَشَىٰ نَحْوَ الْقَومِ مُصلِتاً سَيْفَهُ وَ بِهِ ضَرْبَةٌ عَلَىٰ جَبِينِهِ فَنادَىٰ : أَلَا رَجُلَ ! فَأَحْجَمُوا عَنْهُ لِأَنـَّهُمْ عَرَفُوهُ أَشْجَعَ النَّاسِ . فَصَاحَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ : إرْضَخُوهُ بِالْحِجَارَةِ ! فَرُمِيَ بِهَا . فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ أَلْقَىٰ دِرْعَهُ وَمِغْفَرَهُ وَ شَدَّ عَلَىٰ النَّاسِ وَ أنـّه لَيَطْرُدُ .[1] أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ ، ثُمَّ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَقُتِلَ ، فَتَنَازَعَ ذَوو عِدَّةٍ فِي رَأسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : هَذا لَمْ يَقْتُلْهُ وَاحِدٌ . وَ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ .[2]

و كان الوجود المقدّس لسيّد الشهداء عاشقاً للموت ! فلقد قال في خطبة أوردها في مكّة المكرّمة لمّا عزم على الخروج إلى الكوفة :

وَ مَا أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ![3]

و حين اعترض الحرّ بن يزيد الرياحيّ و جيشُهُ الحسينَ عليه السلام فمنعوه عن متابعة المسير ، حتّى أنـّهم منعوه عن العدول و الانحراف في مسيره ؛

فَقَامَ الْحُسَيْنُ خَطِيباً فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللهَ وَ أَثْنىٰ عَلَيْهِ وَ ذَكَرَ جَدَّهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

إنّه قَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَونَ ؛ وَ إنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَ تَنَكَّرَتْ وَ أَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاسْتَمَرَّتْ جَذَّاءَ ،[4] وَ لَمْ تَبْقَ مِنْهَا إلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإنَاءِ ، وَ خَسِيسُ عَيشٍ كَالْمَرْعَىٰ الْوَبِيلِ ؛ أَلَا تَرَوْنَ إلَىٰ الْحَقِّ لاَ يُعْمَلُ بِهِ ، وَ إلَىٰ الْبَاطِلِ لاَ يُتَنَاهىٰ عَنْهُ ؛ لِيَرْغَبِ الْمُؤمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ مُحِقّاً ،[5] فَإنِّي لَا أَرَىٰ

١ـ ضبط في بعض النسخ بلفظ «يَكْرُدُ» و هو أيضاً بمعنى «يَطْرُدُ» .

٢ـ «تاريخ الطبريّ» ، طبع مصر ١٣٨٥ هـ ، ص ٣٣٨ و ٣٣٩ .

٣ـ «اللهوف» للسيّد ابن طاووس ، ص ٥٣ .

٤ـ و روي حذّاء ، أي مُسرعة .

٥ـ عدّ البعض «ليرغب» فعل أمر ، و اعتبروه مجزوماً إلّا أنـّه كُسِرَ لالتقاء ساكنين ، ⇦

الْمَوتَ إلَّا سَعَادَةً وَالْحَيوٰةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إلَّا بَرَماً .[1]

⇦ فيكون المعنى على ذلك : على المؤمن ـ و الحال هذه ـ أن يرغب في لقاء ربّه محقّاً .

١ ـ «اللهوف» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٦٩ .

المجلس التاسع

ليس على أولياء الله خوف ولا حزن ولا سكرات موت



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لا حول و لا قوّة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

و صلَّى ٱللهُ على محمّد و آله ٱلطَّاهرين

و لعنة ٱللَّه على أعدائهم أجمعين من ٱلآن إلى قيام يوم الدين

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ .

هذه الآيات الكريمة هي الآيات ٦٢ ـ ٦٤ من سورة يونس ، السورة العاشرة من القرآن الكريم ، و هي آيات ينبغي التوقّف عندها و التأمّل فيها .

«أولياء» جمع وليّ ؛ **وَلى ، يَلِي ، وِلاَيَةً وَ وَلاَيَةً** . و الولاية بمعنى امتلاك المشيئة و الإرادة و الاختيار ، و لازمها الهيمنة و التصرّف في جميع الشؤون بحيث لايبقى للشخص الخاضع للولاية أيّ مشيئة و إرادة واختيار .

و **وَلِيّ** على وزن فعيل بمعنى **والِي** ، و هو أيضاً بمعنى **مُوَلّى عَلَيه** ، لذا فإنّه يستعمل في اسم الفاعل كما يستعمل في اسم المفعول ؛ فيُطلق على من يمتلك مقام الولاية و على المهيمن و صاحب الاختيار و المتصرّف في

جميع الشؤون لفظ وليّ ،كما يُطلق نفس اللفظ على من يخضع لولاية ذلك الفرد فيسلّم له جميع إرادته و اختياره و يخضع لإشرافه و هيمنته .

معنى الولاية و آثارها

و بناءً على ذلك يُطلق اسم الوليّ على الذات المقدّسة للخالق عزّ وجلّ ،كما في الآية ٢٥٧ من سورة البقرة :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .

كما يُطلق على أُولئك الأفراد الذين يضعون أنفسهم تحت اختيار الله و إرادته ، و يعتبرونه المهيمن المتصرّف في جميع أُمورهم ،كما في هذه الآية :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

فإنّ المقصود بأولياء الله الأفراد الذين تنصّلوا تماماً من جميع شوائب اختيارهم الذاتي و أوكلوا إرادتهم و اختيارهم و وجودهم بجميع شؤونه إلى الذات المقدّسة للحيّ الأزليّ ، و اعتبروه المتصرّف فيهم و المالك لإرادتهم . إنّ جميع الموجودات خاضعة للإرادة و الاختيار التكوينيّ للخالق سبحانه ، لا يُستثنى من هذا القانون العامّ حتّى الذرّة الواحدة التي لاتبصرها العين ، لكنّ البحث في الولاية التشريعيّة ، أيفهم و إدراك هذا المعنى بدرجة الحسّ و الوجدان أنْ لا حقّ لولاية غير ذات القيّوم الأبديّ . وكلّ مَن يدرك هذا الناموس و القانون العامّ و يرى وجوده و سائر وجود الموجودات مندكّاً في إرادة و اختيار القيّوم ، و يضع نفسه وجداناً تحت إرادة و اختيار كهذه ، يُدعى بـ«وليّ الله» .

و سرّ إدراك هذه الدرجة و الوصول إليها أنّ البعض من المؤمنين ينال

مقام القرب من الله إثْرَ الطاعة و ترك المعصية ، و يفوزون بمقام كمال الأخلاق ، لأنّ محبّة الله ستلتهب في قلوبهم يوماً بعد آخر ، و تمنّي الوصول لمقام القرب و العزّة سيشتعل في كيانهم ، فتحترق جميع الصفات الرذيلة و الأخلاق الذميمة و تفنى كما يحترق ما يفضل من الأشواك والأعشاب ، حتّى يستقرّوا أخيراً في حدود المحبّة .

و من الواضح أنّ من آثار المحبّة ظهور أخلاق المحبوب في وجود المحبّ ، و كلّما زادت درجة الشوق و المحبّة زاد معه هذا التخلّق بالأخلاق الإلهيّة ، حتّى ينمحي من صفحات أنفسهم كلّ أثر للتلوّث و يُزال كلّ قشر من قشور الأنانيّة ، بحيث لا يتمكنوا حتّى عقد نيّة سيّئة في ذواتهم ، و بحيث لاتخطر في أذهانهم أيّ خاطرة سيّئة ، و ذلك لأنّ أصل النفس قد طهر و تمّت تصفيته و تنقيته .

فإذا شملتهم العناية و التوفيق الربّاني في هذه المرحلة رَقَوْا إلى مقام أعلى و نالوا مقام أسماء الخالق و صفاته و إدراك أسمائه الكلّيّة و صفاته العامّة في جميع الموجودات .

و إن أعانَتهم العناية الأزليّة بعد هذه المرحلة فقدّموا وجودهم مقابل الخالق و عظمته و قدرته و جماله و جلاله ، و عبروا من مقام التوكّل و التفويض إلى مقام الرضا و التسليم ، فيكون الله هو المختار في أمورهم ، و لا يكون لهم بعد ذلك اختيار و لا إرادة ، بل تكون الذات المقدّسة للحقّ تعالى هي المتصرّفة في وجودهم و شؤونهم ، فأُولئك هم الذين يُقال لهم : «أَوْلِيَآءُ آللَهِ» أُولئكم الأفراد همُ الذين يفيدون من درجات القوة العلّامة و العقل النظريّ (العلميّ) ، أي العقل الهيولائيّ و العقل بالمَلَكة و العقل بالفعل و العقل المستفاد ، و الذين رقوا إلى أعلى درجاته و عبروا المراحل الثلاث السابقة ، فصارت علومهم و معارفهم تُفاض عليهم من الذات

المقدّسة للحضرة الأحديّة بواسطة العقل الفعّال ، أو أن يكونوا قد تخطّوا العقل الفعّال و عبروا مراتب العقول فصاروا يأخذون علومهم بلا واسطة من ذات الحقّ كالعقل الأوّل بسبب اندكاكهم فيه .كما أنّهم فازوا بالمرحلة الأخيرة من مراتب القوّة العمّالة و العقل العمليّ ، و هي التجلية و التخليّة و التحلية و الفناء ، و تحقّق في وجودهم المراحل الثلاث التي تسبقها .

و طبقاً للآيات المباركة للقرآن الكريم التي بُيّنت فيها خصائص أولياء الله ، و التي ربّما سنتحدّث عن بعضها عند الحاجة في المباحث التالية ، فإنّ الشيطان لايمتلك سلطاناً على أولياء الله ، فهو قد يأس منهم إذ أوكلوا إرادتهم و اختيارهم إلى الله ، فصارت الذات المقدّسة للحقّ تعالى تقود الإرادة و الاختيار في وجودهم ؛ فكيف يتصوّر مع ذلك أن يتغلّب الشيطان على إرادة الله و اختياره فيمكنه خداعَهم ؟

إنّ أمل الشيطان ينصبّ على أُولئك الذين يمكنه التصرّف فيهم و دعوتهم إلى الشهوات و الغفلات ، و جعلهم غافلين عن الله سبحانه ، أمّا مَن تخطّى وجوده في سبيل الله و أوكل أنانيّته إلى ربّه ، و جعل اختياره مندكّاً في اختيار الله تعالى ، فلمس و تحقّق معنى **«وَ مَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ»** .[1]

و أقرّه في سويداء قلبه ، فصار يرى بعين الله ، و يسمع بأُذن الله ، و ينطق بلسان الله ، و يبطش بيد الله ، فلم يبقَ شيء منه في عالم الوجود ليتصرّف به الشيطان . و قد ورد في الحديث القدسيّ أنّ الله سبحانه يقول :

وَ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ؛ وَ إِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ

١ـ الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان ؛ و الآية ٢٩ ، من السورة ٨١ : التكوير .

بِهِ ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِها ، إنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ ، وَ إنْ سَأَلَنِي أعطَيْتُهُ .[1]

يقول الخواجه نصير الدين الطوسيّ (ره) في الفصل التاسع عشر من النَمَط التاسع من «شرح الإشارات» :

إنَّ الْعَارِفَ إذَا انْقَطَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَاتَّصَلَ بِالْحَقِّ ، رَأىٰ كُلَّ قُدْرَةٍ مُسْتَغْرِقةً فِي قُدْرَتِهِ الْمتَعَلِّقَة بِجَمِيعِ المقْدُورات ، وَ كُلَّ عِلْمٍ مُسْتَغرقاً فِي عِلْمِهِ الَّذِي لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ شَيءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَ كُلَّ إرَادَةٍ مُسْتَغْرِقَةً فِي إرَادَتِهِ الَّتِي يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَأَبّىٰ عَلَيْهَا شَيءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ .

بَلْ كُلُّ وُجُودٍ وَ كُلُّ كَمَالِ وجودٍ فَهُوَ صَادِرٌ عَنْهُ فَائِضٌ مِنْ لَدُنْهُ .

١ـ أورد هذا الحديث في كتاب «كلمة الله» ص ٦٨ ، و قال في ص ٥١٩ من نفس الكتاب في أصل هذا الحديث : أوّلاً أورده البرقيّ في «المحاسن» عن عبدالرحمن بن حمادة ، عن حنان بن سدير ، عن الصادق عليه السلام . و ثانياً ورد في كتاب «الكافي» لمحمّد بن يعقوب الكلينيّ ، المجلّد الثاني ، ص ٣٥٢ بثلاثة أسناد ، الأوّل : رواه عن أبي علي الأشعريّ ، عن محمّد بن عبد الجبار و عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، رويا كلاهما عن ابن فضال ، عن عليّ بن عقبة ، عن حماد بن بشير ، عن الصادق عليه السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه و آله . و الثاني : رواه عن جماعة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ابن خالد البرقيّ ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن أبان بن تغلب ، عن الباقر عليه السلام . و الثالث : رواه عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن المعلّى بن خنيس ، عن الصادق عليه السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه و آله .

و قد ورد هذا الحديث في كتب كثيرة ، ورواه العامّة بألفاظ مختلفة .

يقول المرحوم الحاج الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ رضوان الله عليه في كتاب «لقاء الله» : هذا الحديث القدسيّ متّفق عليه بين جميع أهل الإسلام .

و قد أورده الغزاليّ في «إحياء العلوم» كتاب المحبّة و الشوق لله ، المجلّد الرابع ، ص ٢٦٣ ، و عدّه العراقيّ في هامش تلك الصفحة من حديث البخاريّ عن أبي هريرة .

صَارَ الْحَقُّ حِينَئذٍ بَصَرَهُ الَّذي بِهِ يُبْصِرُ ، وَ سَمْعَهُ الَّذي بِهِ يَسْمَعُ ، وَ قُدْرَتَهُ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ ، وَ عِلْمَهُ الَّذي بِهِ يَعْلَمُ ، وَ وُجودَهُ الَّذي بِهِ يُوجَدُ .

فَصَارَ الْعَارِفُ حِينَئذٍ مُتَخَلِّقاً بِأَخْلاَقِ آللهِ تَعالَى بِالْحَقِيقَةِ .[1]

و باعتبار أنّ أباعلي يقول في نفس النَمَط في الفصل الواحد و العشرين :

اَلْعَارِفُ هَشٌّ بَشٌّ ،[2] **بَسَّامٌ ، يُبَجِّلُ الصَّغِيرَ مِنْ تَوَاضُعِهِ كَمَا يُبَجِّلُ الْكَبِيرَ وَ يَنْبَسِطُ مِنَ الْخَامِلِ مِثْلَ مَا يَنْبَسِطُ مِنَ النَّبِيهِ .**

وَ كَيْفَ لاَيَهِشُّ وَ هُوَ فَرْحَانٌ بِالْحَقِّ ، وَ بِكُلِّ شَيءٍ ، فَإِنَّهُ يَرىٰ فِيهِ الْحَقَّ ؟ وَ كَيْفَ لاَ يُسَوِّي ، وَالْجَمِيعُ عِنْدَهُ سَواسِيَّةٌ ، أَهْلُ الرَّحْمَةِ قَدْ شُغِلُوا بِالْبَاطِلِ ؟[3]

فيقول المرحوم الخواجه نصير الدين في شرح هذه الفقرات :

وَ هَذَانِ الْوَصْفَانِ ، أَعْنِي الْهَشَاشَةَ الْعَامَّةَ وَ تَسْوِيَةَ الْخَلْقِ فِي النَّظَرِ ، أَثَرانِ لِخُلْقٍ وَاحِدٍ ، يُسَمّىٰ بِالرِّضَا ، وَ هُوَ خُلْقٌ لاَ يَبْقَىٰ لِصَاحِبِهِ إنْكَارٌ عَلَىٰ شَيءٍ ، وَ لاَ خَوْفٌ مِنْ هُجُومِ شَيءٍ ، وَ لاَ حُزْنٌ عَلَىٰ فَوَاتِ شَيءٍ ، وَ إلَيْهِ أَشَارَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : وَ رِضْوَانٌ مِنَ آللهِ أَكْبَرُ ؛ وَ مِنْهُ تَبَيَّنَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِمْ :

١ـ «شرح الإشارات» بوعلي سينا ، طبع مصر ، المجلّد الرابع ، ص ٩٧ و ٩٨ ؛ و الطبعة الحجريّة ، ١٦ صفحة قبل آخر الكتاب .

٢ـ الهشّ : الرخو اللين من كلّ شيء . خبزة هشّة : رخوة المكسر . و يقال : فلانٌ هشّ المكسر ، أي سهل الجانب فيما يطلب عنده من الحوائج .. وفلان هشّ الوجه أي طلق المحيّا .. و فَرَسٌ هشّ العنان أي خفيف العنان ؛ و أنا به هشّ بشّ أي فرح مسرور «المنجد» . وقد فسّر الخواجة نصير «هشّ و بشّ» بـ «طلق الوجه طيّب» .

٣ـ «شرح الإشارات» ، بوعلي ، طبع مصر ، المجلد الرابع ، ص ١٠١ و ١٠٢ ؛ و الطبعة الحجريّة ١٥ صفحة قبل نهاية الكتاب .

خَازِنُ الْجَنَّةِ مَلَكٌ اسْمُهُ رِضْوَانٌ.[1]

أجل ، فلأنّ أولياء الله قد قطعوا جذور ولايتهم للشيطان و ارتبطوا بالله سبحانه ، لذلك فليس للشيطان قدرة للتصرّف في قواهم المتخيّلة .

يقول سبحانه في الآيتين ٩٩ و ١٠٠ من سورة النحل :

إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ .

و يقول في الآية ٨٢ و ٨٣ من السورة ص :

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

«المخلَصُون» هم أولياء الله ، و من صفاتهم و خصائصهم طيّهم سكرات الموت و عالم القبر و البرزخ و عالم الحشر و النشر و القيامة و الصراط و الميزان و العرض و السؤال و الجنّة و النار في هذه الدنيا ، و تخطّيهم جميع هذه المراحل فيها .

فلم يكونوا ـ بغير ذلك العبور ـ ليصلوا إلى مقام الولاية الملازم لمقام الخلوص و في هذه الحالة فليس هناك من معنىً للعذاب عند الموت أو بعده .

فالعذاب الذي يراه الإنسان عند سكرات الموت أو في القبر أو في سؤال منكر و نكير ، أو في البرزخ المثالي ، أو في القيامة الكبرى عند الحشر و العرض و السؤال و الصراط و الميزان و الجحيم ، إنّما يراه نتيجة أعماله السيّئة التي اجترحها ، و التي قام بها باتّباعه السيّء لنفسه الأمّارة بالسوء .

١ـ «شرح الإشارات» بوعلي سينا ، طبع مصر ، المجلّد الرابع ، ص ١٠١ و ١٠٢ ؛ والطبعة الحجريّة ١٥ صفحة قبل نهاية الكتاب .

أمّا أولياء الله الذين و صلوا إلى مرحلة عالية من الطهارة و النزاهة ، فمن المحال أن يصدر منهم عمل قبيح و سيّء . فقد حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، و راجعوا صحائف أعمالهم فيها ، و وضعوا أقدامهم على طريق التزكية و التهذيب ، و عبروا من عالم الصورة و المثال ، و تخطّوا النفس و القيامة الكبرى ، فارتبطوا مع الملائكة السماويين و مع الأرواح المطهّرة للأنبياء و الأئمّة عليهم السلام ، و وصلوا إلى معدن العظمة و العلم و القدرة والحياة ، أي إلى الذات المقدّسة للحقّ جلّ و علا ، فوصلوا إلى مرحلة من الوجدان و التحقّق بحيث لا يطرأ عليهم هناك خوفٌ و لا حزن :

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ آللَهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

إنّ الخوف و الحزن ينشآن لدى الإنسان من شيء قد تعلّق به و يحتمل فقدانه في المستقبل ، فهو يخشى ضياعه من يده ، و الخوف و الحزن ينشآن من شيء تعلّق به الإنسان قبلاً ثمّ فقده ، فهو **محزون مغموم** لفقده .

كما أنّ جميع أفراد البشر بالنظر لابتلائهم بالعلائق المادّيّة و الاعتبارات الحيويّة الدنيويّة و بناء حياتهم على أساس من المصالح الشخصيّة و الأُمنيات الخياليّة ، فإنّهم يعيشون دوماً في خوف و حزن ، حيث لا تنقضي عليهم أيّ لحظة إلّا و أحاطهم فيها الاضطراب و الحيرة من جهة ، و الحزن و الغمّ من جهة أُخرى ، و إذا ما صرفوا أذهانهم عن ذلك أحياناً بسبب بعض المشاغل و الأعمال ، فإنّ ذلك الخوف و الحزن سيكمن في نفس الوقت في أذهانهم ليبرز من جديد بمجرّد ارتفاع الموانع فيجعل الإنسان في محنة و مرارة .

و هكذا فإنّ الإنسان لن يستطيع بأيّ وجه أن يفعل شيئاً لاستئصال أساس مادّة الخوف و الحزن من وجوده ليعيش دوماً في سرور و ابتهاج ،

و جميع اللذائذ و دواعي الانشراح التي يُتمتع بها في الدنيا يفعلها الإنسان لسبب واحد هو صرف نفسه عن ذلك الهمّ و الغمّ ، و بمجرّد ارتوائه من تلك اللذة فإنّ ذلك الخوف و الحزن المختفي سيطفو من جديد في شعوره فيُزعجه و يُقلقه .

و علّة هذا الأمر أنّ للإنسان علائق في عالم الحيوٰة الدنيا و معيشته ، و باعتبار دوران عالم الدنيا على محور المادّة و الطبع ، و لأنّ المادّة دائماً في شُرف التغيّر و التحوّل و الحدوث و الفساد ، لذا فإنّ العلائق القلبيّة للإنسان ستكون هي الأُخرى عُرضة لهذا التغيّر و التبدّل ، فيغوص الإنسان بفقدان ما يحبّ في عالم الحزن ، و يلفّه الخوف و القلق من احتمال فقدانه في المستقبل .

أمّا أولياء الله الذين وصلوا مرحلة الخلوص ، فقد نفضوا أيديهم من هذه العلائق ، فلم يَعُدْ تغيّر الزمان و المكان و الآثار الأُخرى للمادّة ليؤثّر في أفكارهم .

لا أن يكونوا قد خرجوا من الدنيا بأبدانهم و صانوا أنفسهم من تلاعب الحوادث المؤلمة ، بل أنّهم قد أخرجوا قلوبهم من محبّةِ الدنيا ، و نصبوا خيامهم في حرم القدس و حريم الأمان الإلهي ، و حطّوا رحالهم في ذلك الفِناء .

أُولئكم الذين التحقوا من الجزئيّة بالكلّيّة ، و نزحوا من عالم الغرور إلى الحقّ ، والتحقوا من الأُمور المنقضية المتصرّمة إلى الأبديّة ، فأخرجوا قلوبهم من العالَمِيْن و شدّوا رحالهم و وردوا في بحر عظمة و قدرة الحقّ جلّ و علا ، فصاروا بمنزلة البحر ، و صار وجودهم واسعاً و عبروا الحدود و المحدوديّة .

و لو اغترف أحد من البحر غُرفة أو أضاف اليه قليلاً من الماء لما

تأثّرت كميّة الماء و لا كيفيّتة ، أمّا لو أُضيف ذلك القدر من الماء إلى قَدَر محدود ، كقربةٍ أو قدح ، أو أُنقص منه ذلك القدر ، لكانت الزيادة و النقصان فيه مشهودتين ظاهرتين .

و مادام الإنسان يهبط نفسه متسافلاً في حدود عالم الطبع و المادّة ، و مادام يحصر علاقاته و ارتباطاته فيها ، فإنّ وجوده سيكون أشبه بوعاء صغير محدود ، بحيث إذا أصابته فاجعة كفقدان زوجةٍ أو ولدٍ أو مالٍ أو عشيرةٍ أو أقارب أو جاهٍ و اعتبار ، فإنّه يرى نفسه محزوناً خائفاً بظهور علائم تُنذر بفقدهم في المستقبل . أولياء الله هم وحدهم الذين أخرجوا أنفسهم من جميع مراحل و منازل الطبع و المادّة و آثارها و تعلّقاتها ، فسافروا إلى عالم التجرّد و الملكوت ، و صاروا كالبحر ، و صار وجودهم متعدّد الجوانب ، بحيث لم يعد يظهر فيهم تزلزل أو تغيّر بفقدان هذه الأُمور في الماضي أو باحتمال فقدانها في المستقبل ، و لم يعد الخوف و الحزن يرتسم على طلعتهم و سيماهم . و هذا هو معنى سعة النفس و خروجها من المحدوديّة ، السعة التي بيّنها العليّ الأعلى في القرآن الكريم ، و التي دعاها أميرالمؤمنين عليه السلام في تفسيره الكلام الإلـٰهي بمعنى الزهد :

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ .

وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي ، وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .[1]

مَن هم أولياء الله ؟ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ** ، أي الذين آمنوا و تمسّكوا بالتقوى سابقاً ، أي الذين آمنوا و عملوا على الدوام على أساس

١ـ «شرح نهج البلاغة» ، باب الحكم ، طبعة محمّد عبده ، مصر ، ص ٢٣٨ .

ذلك الإيمان فصاروا متّقين ؛ ذلك الإيمان و التقوى سبباً لإيمانٍ و تقوى أفضل ، و صارت كلّ درجة من درجات الإيمان و التقوى سبباً دائماً يبعث على شدّة و قوّة الأُخرى حتّى يصل الإيمان فعلاً إلى أعلى درجاته و تصير درجات التقوى السابقة باعثاً على ظهور إيمان كهذا .

ورد في الآيتين ١٠ و ١١ من سورة الصفّ :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ .

و جاء في الآية ١٣٦ من سورة النساء :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ .

و يتّضح أنّ للإيمان درجات و مراتب ، و أنّه ينبغي الارتقاء من مراتبه الأُولى لنيل درجاته العالية ، و أنّ هذا الإيمان غير الإيمان السابق ، الإيمان الذي استأصل كلّيّاً الشرك بالله من زوايا القلب و أدّى إلى طلوع نور التوحيد بتمام معنى الكلمة في القلب و الوجدان ، و بناءً على هذا المعنى قال سبحانه :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (و لم يقل : **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ اتَّقَواْ**).

لَهُمُ ٱلْبُشْرىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنَيا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ .

لهم البُشرى في هذه الدنيا بالأُمور الحقيقيّة ، بسكينة الخاطر و الطمأنينة ، و باطمئنان القلب ، و بالتمتّع و التنعّم بالمواهب الإلهيّة و الإفادة الحقّة من المواهب الإلهية ، فهم يُبَشّرون بالرضوان ، و باللقاء و الأُنس بأرواح الأنبياء و الأئمّة و الملائكة ، و بالوصول إلى الأسماء و الصفات الكلّيّة للخالق ، و يُبَشّرون بلقاء الحضرة الأحديّة و الفناء في ذات الله المقدّسة ، و بطلوع مقام التوحيد بتمام مراتبه و درجاته ؛كما

يبشّرون في الآخرة بـالجنّة و الخـلود و المـغفرة و العـبور مـن الصـراط ، و بالنعيم و الكوثر والشفاعة و اللحوق بأرواح الأنبياء و مصاحبة الأطـهار و السابقين ، و بمقام أمن و سلام و جمال الباري تعالى شأنه .

و من جهة أُخرى يقول في الآية ٣٠، من السورة فصّلت (السجدة) :

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

و هذه البشارة لا تعطى للأفراد ـ الذين ثبتوا على الإيمان ـ في الدنيا ، بل تعطى لهم عند الموت ، لذا فإنّها ليست كمثل الآية مورد البحث «**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ**» .

و ذلك لأنّ البشارة إنّما تتعلّق بأمر حتميّ الوقوع ، أمّا حين تـتعلّق بأمر يحتمل تحقّقه أو عدم تحقّقه فلا يُقال لها بشارة .

و على سبيل المثال فلو كانت زوجة إنسان حـاملاً بـطفل يـمكن أن يكون ولداً أو بنتاً ، فلا يُقال له : نبشّركم بولد أنعم الله عليكم به ؛ أمّا حين يولد الولد فعلاً فإنّه يقال له : نبشّركم أنّ الله قد منّ عليكم بولد ذكر .

و هكذا حال الإنسان ، فما دام لم يصل بعدُ إلى مرحلة الولاية أو إلى مرحلة الموت ، فإنّ طريقه ليس باتّجاه واحدٍ مُعيّن ، بل إنّه سيكون عـلى الدوام في منازعة لاختيار الحسن أو السيّء ، و السعادة أو الشقاء ، و الجنّة أو النار ؛ و عليه فإنّ البشـارة بـدخول الجـنّة ، أو البشـارة بـإزالة الخـوف والحزن و الغمّ و القلق بالنسبة إليه ستكون بلا معنى .

إنّ البشارة لأولياء الله الذين اسـتقرّوا فـي حـرم السكـون الإلـهيّ ، و الذين شدّ الخوف و الحزن رحالهما عن أعماق كـيانهم سـتكون بشـارة صحيحة ، سواءً كانت البشارة في الدنيا أو في الآخرة ؛ و لمّا أصبح شأنهم ثابتاً حيث لا رجعة فيه ، و لم يعد للشيطان فيهم مطمع بعد ورودهم في عالم

الخلوص .

أمّا بالنسبة لغير أولياء الله ، فإنّهم مهما امتلكوا الإيمان ، و مهما ثبتوا على إيمانهم هذا و خطوا في هذا المجال بقدم راسخة ، إلّا أنّهم ـ في الوقت نفسه ـ لم يصلوا بعدُ إلى مقام الخلوص ، و لم يتبدّل حالهم إلى السعادة المحضة ، و لم يتخطّوا بعدُ أمر اختيار الخير أو الشرّ ، فلم يزل احتمال السعادة و الشقاء ، و دخول الجنّة أو النار أمراً ممكناً في المستقبل . لذا فإنّ البشارة في الدنيا لا معنى لها بالنسبة إليهم ، و ينبغي القول بناءً على هذه القرينة أنّ بشارة الملائكة لهم ستكون عند الموت ، أي حين يخرجون من الاختيار فيتبدّل الطريق المزدوج أمامهم إلى طريق واحد لا عودة فيه .

و الشاهد الآخر على أنّ هذه البشارة لهم ستكون عند الموت ما جاء في الآية الشريفة :

وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

أي أبشروا بالجنّة التي وُعدتم بها في الدنيا ، و باعتبار أنّهم في حال الموت أو قريباً من الموت ، فإنّ الدنيا تُعدّ منقضية بالنسبة إليهم ، لذا يُقال لهم **كُنتم تُوعدون** .

أمّا بالنسبة لأولياء الله فإنّهم قد بُشّروا في الدنيا ، لأنّهم و صلوا فيها إلى مقام الولاية فأزيل عنهم الخوف و الحزن ، أُولئكم عباد متميّزون عن سائر العباد ، عبادٌ خُتموا بخاتم ولاية الله فصار أحدهم يُدعى بـ(وليّ الله) ؛ و هذا المعنى من الولاية قد جرى بيانه بدقّة في الكثير من آيات القرآن الكريم ، كالآيتين ١٧٣ و ١٧٤ من سورة آل عمران اللتان عبّرتا عن الولاية بالنعمة :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إيمَـٰنًا وَ قَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَ نِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَ فَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .

و إجمال القصّة كالآتي :

لمّا انتهت غزوة أُحد و عاد رسول الله صلّى الله عليه و آله مع أصحابه إلى المدينة ، وانصرف المسلمون الجرحى إلى بيوتهم للاستراحة ولتضميد جراحهم ، أرادَ النبيّ أن يُرهب المشركين و يُريهم من نفسه و أصحابه قوّة و سطوة لئلا يطمع المشركون فيهم و يرون أنّ الأحرى بهم مهاجمة المدينة المنوّرة لقتل رسول الله و أسر المسلمين ؛ فندب أصحابَه الذين اشتركوا في غزوة أُحد للخروج في طلب المشركين .

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام قد أُصيب في غزوة أُحد بثمانين جراحة ،كان معظمها بليغاً بحيث احتاج إلى ضماد و إلى وضع فتائل في الجروح ، وكانت الجراح تغطّي بدنه الشريف ، وكان قد انصرف هو الآخر إلى منزله و انهمك بتضميد جراحه حين دوّى في المدينة منادي رسول الله يندب مُجاهدي أُحد للخروج في طلب المشركين .

و لم يدّخر المسلمون وسعاً عن تلبية دعوة رسول الله على ما بهم من التعب و النصب من الحرب ، فاستعدّوا لملاحقة الكفّار ، و عقد رسول الله اللواء لأميرالمؤمنين عليه السلام و سلّمه إيّاه ، ثمّ توجّه مع أميرالمؤمنين و المسلمين إلى **حَمْراء الأسد** ـ و هي من المدينة على بُعد ثمانية أميال ـ .

وكان مشركو قريش من الجانب الآخر قد بلغوا **الرَّوْحَاء** ـ و هي من المدينة على ثلاثين أو أربعين ميلاً ـ ، فلبثوا فيها و تأسّفوا لعدم قتلهم النبيّ في هذه الغزوة ، وكانوا يقولون : **لَا مُحَمَّدَاً قَتَلْتُمْ وَ لَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ** ؛ وكانوا يستعدّون لمهاجمة المدينة و يتشاورون في هذا الأمر .

فمرّ معبد الخُزاعيّ على رسول الله في حمراء الأسد ، وكانت خُزاعة

ـ مسلمهم و كافرهم ـ عيبة رسول الله بتهامة ، و صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ، و معبد يومئذٍ مشرك ، فقال : يا محمّد (صلّى الله عليه و آله) و الله لقد عزّ علينا إصابتك في قومك و أصحابك ، و لوددنا أنّ الله كان أعفاك منهم . ثمّ خرج من عند رسول الله حتّى لقي أبا سفيان و مَن معه بالروحاء ، و كانوا قد أجمعوا على الرجوع إلى رسول الله و قالوا : قد أصبنا حدّ أصحابه و قادتهم و أشرافهم ثمّ رجعنا قبل أن نستأصلهم . فلمّا رأى أبوسفيان معبداً قال : ما وراك يا معبد ؟

قال : محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أرَ مثله قطّ يتحرّقون عليكم تحرّقاً .

قال : ويلك ما تقول ؟ قال : فأنا والله ما أراك ترتحل حتّى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصلهم .

قال معبد : فأنا والله أنهاك عن ذلك .

فثنى ذلك أبا سفيان و من معه و فضّل الانصراف و الفرار إلى مكّة ، و قطع وعداً لنعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يعطيه أموالاً كثيرة على أن يذهب فيثبّط محمّداً و أصحابه عنهم ، و أن يُخبرهم أنّ أباسفيان و من معه قد أعدّوا العدّة و هم يتأهّبون لمهاجمة المدينة لقتل محمّد و أصحابه وأسر فتيانهم و استئصال شأفتهم .

و كان نعيم بن مسعود من منافقي المدينة ممّن أسلم ظاهراً ، فأتى المدينة فخوّف المسلمين و سعى في تثبيط عزائمهم و فلّ هممهم بكلماته المخيفة ، و في تحذيرهم و تخويفهم من سطوة المشركين من أجل صرفهم عن مهاجمة الكفّار ، إلّا أنّ كلامه لم يُثمر شيئاً ، فقد بقي رسول الله وأميرالمؤمنين عليهما السلام مع الأصحاب الجرحى راسخي العزم ،

متوكّلين على ربّهم قائلين : حَسْبُنا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكيل .

و على أثر هذا التفاني و التضحية ، و لتنصّلهم من إرادتهم و اختيارهم أمام العدوّ و لتوكّلهم على ربّهم و تفويضهم أنفسهم إليه ، فقد أمسك الله زمام تدبيرهم بيده و زاد من إيمانهم و أنعم عليهم بنعمته و هي مقام الولاية :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَ قَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَ نِعْمَ ٱلْوَكِيلُ .

و المقصود بـ «**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ**» أميرالمؤمنين عليه السلام حامل لواء الحرب ؛ وكانت الجراح تغطّي بدنه ؛ مع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله الأوفياء الصادقين . و المقصود بـ «النَّاسُ» : نعيم بن مسعود الأشجعيّ المنافق المعروف . «اِنَّ النَّاسَ» أي أبوسفيان و مَن معه ، «قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» لمحاربتكم و استئصالكم «فَاخْشَوْهُمْ» و هابوهم وانصرفوا عن مقاتلتهم ، «فَزَادَهُمْ إِيمَانًا» و قوّةً و صلابة «وَ قَالُوا حَسْبُنَا آللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و هو المتصرّف في أُمورنا بإرادته و اختياره .

فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَ فَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .

و لقد نصرالله نبيّه في ذلك الحال بدون أن يمسّه و من معه سوء من عدوّهم أو من الجراح التي أصابتهم في غزوة أُحد ، فانقلبوا إلى المدينة بعافية و رباطة جأش و قوّة قلب وإيمان و فضل و شرف و شهرة بين الناس ، و بإرعاب قلوب المشركين .[1]

١ـ نقله كثير من المفسّرين ، و من جملتهم «تفسير الميزان» المجلّد الرابع ، ص ٦٥ ـ ٧٧؛ تفسير مجمع البيان ، طبع صيدا ، المجلّد الأوّل ، ص ٥٣٨ ـ ٥٤١ ؛ ⇦

و بالطبع فإنّ نعمة الولاية هذه لم تُوهب لجميع الصحابة الذين تحرّكوا مع رسول الله إلى حمراء الأسد ، بل خُصّ بها الأفراد الذين قالوا في سرّهم «حَسْبُنَا آللّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» ، و يشهد على هذا المعنى قوله في الآية التي سبقت هذه الآية :

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلهِ وَ ٱلرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ .

و يُلاحظ هنا أنّ هذا الأجر العظيم قد عيّن لخصوص أهل الإحسان و التقوى ، و هم الذين و صفتهم الآيات التي نتذاكر بها بأنّهم الذين قالوا **حَسْبُنَا آللّهُ وَ نِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** في ذلك الموقع الشاقّ الحسّاس ، و الذين فوّضوا أنفسهم لربّهم و جعلوا إرادتهم و اختيارهم مندكّة في إرادة الله ، و هذا هو معنى الولاية .

و قد ورد نظير هذا التعبير في آخر آية من سورة الفتح ، حيث بيّن الله سبحانه هناك صفات الأفراد التابعين للنبيّ مفصّلاً ، و يقول في آخرها :

⇐ «تفسير البرهان» الطبعة الحجريّة ، المجلّد الأوّل ، ص ٢٠١ ؛ «تفسير أبي الفتوح الرازيّ» طبع مظفري ، المجلّد الأوّل ، ص ٦٨٧ ـ ٦٩١ ، و طبع إسلامي تحقيق آية الله الشعرانيّ ، المجلّد الثالث ، ص ٢٥٤ ـ ٢٦٠ ؛ «تفسير بيان السعادة» الطبعة الحجريّة ، ص ١٧١ و ١٧٢ ؛ «تفسير الصافي» طبع إسلامي ، المجلّد الأوّل ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ ؛ و «بحار الأنوار» الطبعة الكمباني ، المجلّد السادس ، ص ٥٠٦ .

كما نقله كثير من المؤرّخين ، و من جملتهم الواقديّ في كتاب «المغازي» ، تحقيق مارسدن جونس ، المجلّد الأوّل ، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٠ ؛ «روضة الصفا» ، المجلّد الثاني تحت عنوان ذكر غزوة حمراء الأسد و وقائع السنة الرابعة ؛ «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس» المجلّد الأوّل ، ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ؛ «تاريخ الطبريّ» طبع مصر ، مطبعة الاستقامة ١٣٥٧ هجريّة ، المجلّد الثاني ص ٢١١ ـ ٢١٣ ؛ و «منتهى الآمال» الطبعة الرحليّة ، علميّة إسلاميّة ، المجلّد الأوّل ، ص ٤٧ .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا .

و من الآيات القرآنيّة الدالّة على معنى الولاية ، الآيات ٢٧ ـ ٢٩ من سورة إبراهيم :

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَ يَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ ٱلْقَرَارُ .

و المراد بالقول الثابت هنا كلمة التوحيد الثابتة في الدنيا و في الآخرة لأنّ كلّ ما عدا التوحيد متزلزل ، و كلّ ما عداه قابل للتغيير ، و قابل للترديد و التأمّل .

أمّا القول الثابت في الدنيا و الآخرة فلا يقبل التغيير ، و هذه الدرجة من التوحيد التي تصبح ظاهرة . تتلازم مع فقدان اختيار الشخص و إيكاله أمره بيد ربّ الأرباب ، وهذا هو معنى الولاية .

ثمّ يقول : أَلَم تَرَ أُولئك الذين لم يقبلوا هذه الولاية و هي نعمة الله ، و لم يقبلوا التوحيد ، فاعتمدوا في النتيجة على أنانيّتهم و شخصيّتهم ، و أبوا أن يجعلوا خالق العالمين مدبّر أُمورهم ، فكفروا في النهاية بالله تعالى و بدّلوا تلك النعمة كفراً ، فصار مقرّ هؤلاء و أمثالهم المستكبرين دار البوار و جهنّم المحرقة التي يصلونها .

و عليه فإنّ جميع الأفراد الذين يمتلكون مقام الولاية بعيدون عن تلاعب الشيطان بهم و سلطانه عليهم و متخطّون لمراحل سكرات الموت والقبر و البرزخ و القيامة ، فقد طووا جميع هذه المراحل في الدنيا إثر مجاهدتهم للنفس الأمّارة ، و سيكون مأواهم عند الموت في الجنان

الموعودة من قبل الربّ الودود بلا حساب و لا كتاب .

أولياء الله و أتباع أولياء الله و صفاتهم

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في علامات و أوصاف أولياء الله :

إنَّ أوْلِياءَ الله[1] هُمُ الَّذينَ نَظَرُوا إلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إذَا نَظَرَ النَّاسُ إلَىٰ ظَاهِرِهَا ، وَاشْتَغَلُوا بآجِلِهَا إذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ ، وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ ، وَ رَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالاً ، وَ دَرْكَهُمْ لَهَا فَوْتاً ، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ ، وَ سِلْمُ مَا عَادَىٰ النَّاسُ ، بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَ بِهِ عُلِمُوا ، وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَ بِهِ قَامُوا ، لَا

١ـ يقول ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ، المجلّد العشرون في الطبعة ذات العشرين مجلّداً ، ص ٤٣٨ ؛ و في طبعة الأفست ذات المجلّدات الأربعة : المجلّد الرابع ، ص ٤٧٤ : هذا [أي التعبيرات التي وصف بها أميرالمؤمنين عليه السلام أولياء الله] يصلح أن تجعله الإماميّة شرح حال الأئمّة المعصومين على مذهبهم ، لقوله «فوق ما يرجون ، بهم علم الكتاب و به علموا» ؛ و أمّا نحن فنجعله شرح حال العلماء العارفين ، و هم أولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام ، لمّا نظر الناس إلى ظاهر الدنيا و زخرفها من المناكح و الملابس و الشهوات الحسيّة ، نظروا إلى باطن الدنيا فاشتغلوا بالعلوم و المعارف و العبادة و الزهد في الملاذّ الجسمانيّة .

أقول : ليس هناك من لزوم في أن تعدّ الإماميّة هذه الصفات منحصرة في الأئمّة الطاهرين ، بالرغم من اتّصافهم عليهم السلام بها و تحلّيهم بشروطها على أتمّ وجه و أكمله ، فقد وُجد و يوجد الكثير من شيعتهم و أتباعهم المخلصين ممّن تنطبق عليهم هذه المواصفات ، و ممّن وصلوا إلى مرحلة المخلَصين و قطعوا كلّ أمل لديهم إلّا في الله تعالى ، و ممّن عرفوا بالقرآن و كانوا حُماته حقّاً ، لذا فإنّ ما نسبه ابن أبي الحديد إلى ذوق الإماميّة و مسلكهم يبقى محلّ إشكال و إيراد .

يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَ لَا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .[١]

خطبة أميرالمؤمنين في شأن أولياء الله

و كذلك ورد له عليه السلام كلامٌ في نهج البلاغة في تفسير الآية المباركة :

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللهِ ،[٢] حين تلى هذه الآية ، فقال : إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ،[٣] وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ . وَ مَا بَرِحَ لِلَهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَ فِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَ كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَ الْأَفْئِدَةِ . يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللهِ ، وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَ مَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَ شِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَ أَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ .

وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْماعِ الْغَافِلِينَ. ويَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَتناهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَ هُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذَلِكَ .

١ـ «نهج البلاغة» ، أواخر باب الحكم ، طبعة محمّد عبدة ، مصر ، ص ٢٣٧ .

٢ـ الآية ٣٧ ، من السورة ٢٤ : النور .

٣ـ ضبطها ابن أبي الحديد بالفتح .

فَكَأَنَّما اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإقَامَةِ فِيهِ ، وَ حَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِم عِدَاتِهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا يَرَىٰ النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ .

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ، وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَ فَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيها .

وَ حَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً . يَعُجُّونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدىً ، وَ مَصَابِيحَ دُجَىً ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَئِكَةُ ، وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَ أُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ آللّهُ عَلَيْهِمْ فيه فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَ حَمِدَ مَقَامَهُمْ .

يَتَسَنَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَ أُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ قُلُوبَهُمْ ، وَ طُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ .

لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَىٰ آللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ وَ لَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .[1]

والحقّ أنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هذا في حالات أولياء الله هو كتاب حكمة يحتاج بيانه إلى كتاب مبسوط ،كما يتّضح جليّاً من التأمّل في فقراته ،كيف أنّ أولياء الله يتوجّهون إلى الجنّة مباشرة بلا حساب

١ـ «شرح نهج البلاغة» ، طبعة محمد عبده مصر ، المجلّد الأوّل ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨ ؛ و «شرح النهج» للملّا فتح الله الكاشيّ ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ ، الخطبة ٢٥٠ .

و لا مناقشة و لا سكرات موت و لا أهوال قبر و لا برزخ و لا قيامة ، فقد صرفت عنهم كلّ هذه الأُمور، لأنّهم تجاوزوا جميع هذه العقبات في الدنيا .

كلام أميرالمؤمنين في أوصاف أخٍ له في الله

كما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في وصف حال الصحابيّ الكبير عثمان بن مظعون .[1]

١ـ أورد كبار أهل الحديث و التاريخ و التراجم ترجمة عثمان بن مظعون و شرح أحواله ، و نذكر هنا ما أوردته ثلاثة كتب في ترجمته (كما أنّ ابن حجر العسقلانيّ ذكر ما ننقله في كتاب «الإصابة» ، المجلّد الثاني ، ص ٤٥٧) :

الأوّل : من كتاب «الطبقات» لابن سعد ، المجلّد الثالث ، ص ٣٩٣ .

الثاني : من كتاب «الاستيعاب» ، المجلّد الثالث ، ص ١٠٥٣ .

الثالث : من كتاب «أُسد الغابة» ، المجلّد الثالث ، ص ٣٨٥ .

و الخلاصة فقد كان عثمان بن مظعون أحد أصحاب رسول الله الكبار الأوفياء ، و قد آمن في مكّة المكرّمة برسول الله صلّى الله عليه و آله بعد ثلاثة عشر نفر ، و هاجر الهجرتين إلى الحبشة وا لمدينة ، وكان رسول الله صلّى الله عليه و آله قد آخى بينه و بين أبي الهيثم ابن التَّيِّهان . حضر غزوة بدر ، ثمّ توفّى في المدينة في شهر شعبان لثلاثين شهراً من هجرة رسول الله صلّى الله عليه و آله ، و هو أوّل مَن توفّى من المهاجرين في المدينة . و قد اختار رسول الله أرض بقيع الغرقد لدفن المؤمنين ، فكان أوّل مَن دُفن فيها عثمان بن مظعُون . ثمّ أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله أن تدفن ابنته زينب (أو رقيّة) قرب قبره ، ثم خاطب ابنته المتوفّاة حديثاً بقوله :

إلحقي بسَلَفِ الصالح عثمان بن مظعون .

و قال عن ولده الصغير ابراهيم حين توفّى :

ادفنوه جنب سلفنا الصالح عثمان بن مظعون .

و قال حين مرّ على جنازة عثمان بن مظعون :

كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ[1] فِي ٱللَّهِ ، وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ ، وَ لَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ .

وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ .

⇦ ذهبتَ و لم تلبّس منها بشيء . (عبارة الطبقات) .

و خرجتَ منها و لم تلبّس منها بشيء . (عبارة أُسد الغابة) .

١ ـ اختلف شُرّاح النهج في المُشار إليه بـ (الأخ) ؛ يقول ابن ميثم البحرانيّ فيا لمجلّد الخامس من شرح النهج ، ص ٣٩٠ ، و الملّا فتح الله الكاشيّ ص ٥٨١ : إنّ المراد به أبوذر الغفاريّ . و قال بعضٌ : إنّ المراد به عثمانُ بن مظعون . و يقول ابن ابي الحديد في المجلّد ١٩ ص ١٨٣ و ١٨٤ من الشرح :

قال قومٌ : هو رسول الله صلّى الله عليه و آله ، واستبعده قومٌ لقوله (و كان ضعيفاً مستضعفاً) ، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله ، لا يُقال في صفاته مثل هذه الكلمة . و قال قوم : هو أبوذر الغفاريّ ؛ وا ستبعده قوم لقوله «فإن جاء الجدُّ فهو ليثٌ عادٍ و صلُّ وادٍ» ، فإنّ أباذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة و المعروفين بالبسالة . و قال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، و كان من شيعة عليّ عليه السلام المخلصين ، و كان شجاعاً مجاهداً حسن الطريقة ، و قد ورد في فضله حديثٌ صحيحٌ مرفوع . و قال قوم : إنّه ليس بإشارة إلى أخٍ معيّن ، و لكنّه كلام خارج مخرج المثل ، و عادة العرب جارية بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر «فقلتُ لصاحبي» و «يا صاحبي» ؛ ثمّ يقول : و هذا عندي أقوى الوجوه .

و أمّا في شرح نهج البلاغة للخوئيّ ، فقد نقل الشارح آقا ميرزا محمّد باقر كمره‌اى في كلامه : هذه العبارة عن ابن أبي الحديد ، و أضاف : إنّ ابن ميثم قد أضاف عثمان بن مظعون إلى الجماعة المحتملين الذين ذُكروا ، ثمّ قال : و إذا ما صحّ احتمال ابن أبي الحديد فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ينبغي عدّه مبتكر فنّ كتابة القصّة الحديثة (الفنّ الرومانطيقي) و الروايات التمثيليّة .

أقول : لم أجد زيادة عثمان بن مظعون في شرح ابن ابي الحديد ، لا في طبعة الأُفست بيروت ذات العشرين مجلّداً ، و لا في الطبعة ذات المجلّدات الأربع ج ٤ ، ص ٣٧٩ .

وَ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ[1] وَصِلُّ وَادٍ ، لايُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأتِيَ قَاضِياً .

وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ ما يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ.

وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ . وَ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ، وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ . وَ كَانَ إذَا غُلِبَ[2] عَلَىٰ الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَىٰ السُّكُوتِ .

وَ كَانَ عَلَىٰ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَ كَانَ إذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إلَىٰ الْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ .

فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .[3]

و هذه الفقرة من كلام أميرالمؤمنين شبيهة بكلام رسول الله صلّى الله عليه و آله القائل :

وَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ .[4]

١ـ أورده في نسخة نهج البلاغة للملّا فتح الله بلفظ «وليثٌ غادٍ» أي : غاضب مُسرع ، و قال : و قد رُوي أيضاً بلفظ «و ليثٌ عادٍ» بالعين المهملة المشتقّة من عدد ، و قد رواه ابن ابي الحديد أيضاً بالعين المهملة . أمّا في «شرح نهج البلاغة» لابن ميثم البحرانيّ و لمحمّد عبده فقد روياه بلفظ «ليثُ غابٍ» .

٢ـ ورد في نسخة ابن ميثم و ابن أبي الحديد و الملّا فتح الله و شرح الخوئيّ الذي أتمّه الكمرهاى : «و كان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغْلَبْ على السكوت» ؛ أمّا في شرح النهج لمحمّد عبدة فقد أورد هذين الفعلين على صيغة المعلوم : «و كان إذا غَلَبَ على الكلام لم يَغْلِبْ على السكوت» . إلّا أنّ الرواية الأُولى أنسب .

٣ـ «شرح نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر ، المجلّد الثاني ، ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

٤ـ أورد الغزاليّ هذا الحديث في «إحياء العلوم» الباب العشرين ، من آفات اللسان ، المجلّد الثالث ، ص ١٤١ .

و أصل الحديث : «ذروني ما تركتكم فإنّما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم ⇐

و يُستنتج من مجموع هذه المطالب التي ذُكرت في شأن أولياء الله أنّهم أفراد أوكلوا كلّ ثرواتهم الوجوديّة إلى الله سبحانه و صاروا في مرتبة التسليم الكلّيّ ، و فوّضوا إليه تعالىٰ وجودهم واختيارهم حقّاً ، فصاروا في هذه المرتبة و الدرجة مصونين من جميع الحالات التي تعتري الشخص المحتضر ،كما صاروا في أمان من جميع مراحل السؤال و عذاب القبر و العرض و عذاب يوم القيامة .

المطيعون لأولياء الله يتّحدون معهم

و يلزم هنا بيان نكتة مهمّة ، و هي أنّ الذين يطيعون أولياء الله يصيرون في زُمرتهم ، و يُصرف عنهم عذاب القبر أيضاً . و قد ورد في الآيتين ٦٩ و ٧٠ من سورة النساء :

وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَ ٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَ ٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَ حَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللهِ وَ كَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا .

و هاتان الآيتان تبعثان كثيراً على البهجة و الأمل في قلوب الناس ، بأنّهم و إن لم يُدركوا مرتبة الولاية الإلهيّة ، إلّا أنّهم يجدون المعيّة مع أولياء الله بطاعتهم لهم ،كما أنّهم سيُحشرون معهم و يصبحون جلساءَهم و مصاحبيهم . فما هو السرّ في هذا الأمر ؟

⇐ و اختلافهم على أنبيائهم ، ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه و ما أمرتُكم به فأْتوا منه ما استطعتم» . وقال زين الدين العراقيّ في هامش الصفحة في كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» : و هو تخريج قام به لأحاديث إحياء العلوم : هذا الحديث متّفق عليه من طريق أبي هُريرة .

السرّ في ذلك أنّ معنى إطاعة المطيع للآمر المُطاع يتمثّل في تنصّل المرء من إرادته في العمل الذي أوكل إليه ، فلا اختيار له فيه و لاإرادة ، بل أنّ إرادة الآمر و اختياره قد حلّا محلّها ، و هذا هو معنى الطاعة .

فالطفل ـ مثلاً ـ حين يطيع أباه ، فإنّه يُصغي إلى كلّ ما يقوله له ثمّ يعمل وفقاً له ، و للطفل اختيارات في مأكله و مشربه و ملبسه و محلّ استراحته و لعبه مع أترابه كثيراً ما تؤدي إلى الإضرار به أو إلى هلاكه ، فهو بطاعته لأبيه يتخلّى عن إرادته و اختياره لتحلّ إرادة الأب و اختياره بدلهما ، فيُقال عندئذٍ إنّ للأب مقام الولاية و للطفل مقام الطاعة .

كما أنّ الطفل حينما يذهب إلى المدرسة فإنّه يضع نفسه ، في جميع حالاته و حركاته و سكناته تحت اختيار و إرادة أُستاذه ، فيتعلّم تحت إشرافه .

و مع أنّ الطفل يرغب في جميع الأحوال باللعب و العبث و العدو خلف رفيقه و في تناول الحلويّات ، فهذا هو اختياره ، إلّا أنّ أُستاذه يقيّده بالجلوس في الصفّ فيقوم بتعليمه ، و على الطفل في جميع هذه الحالات أن يطيع أمره ، فيقوم عوضاً عن إرادة اللعب و تناول الحلوى بإرادة كتابة ما يُعهد إليه و بالقراءة و المطالعة .

كما أنّ مَن يطيعون الله و رسوله قد استبدلوا و نفّذوا في أذهانهم إرادة الله و رسوله بدل إرادتهم و اختيارهم في جميع أُمور المعاش و المعاد ، في الأُمور الفرديّة و الاجتماعيّة ، و في أُمور العبادات و المعاملات .

و قد أثبتنا من جانب آخر أنّ أولياء الله هم أُولئك الذين قدّموا لله كلّ ما يملكون ، و غرقوا في الأسماء الكلّيّة و صفات الحضرة الأحديّة ، فلا افتراق بينهم و بين خالقهم ، أُولئكم الذين لا نفس لديهم و لا إنّيّة و لا شخصيّة ، كلّ ما هو موجود : الاندكاك في الأسماء الحُسنى و الصفات

العُليا للخالق سبحانه . و ما هو موجود : الخالق المتصرّف في وجودهم .

ولذلك فإنّ أُولئك الذين يطيعون الله يصبح الله وليّهم، سيصبح النبيّون و الصدّيقون و الشهداء و الصالحون ـ الذين هم أولياء الله ـ أولياءَهم ، لأنّ الله وليّهم . و ذلك لأنّـه ليس هناك بين الله و بين أوليائه تفاوت و لا افتراق من وجهة نظر الإنّيّة ، و ليس هناك فاصل مميّز بينهم ؛ و على هذا الأساس فإنّ الله هو وليّ المطيعين ، و جميع أولياء الله سيكونون أولياءهم أيضاً . يقول الملائكة لهم :

نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ .[1]

و أساس بُرهان هذا المطلب أنّ ولاية الله أمرٌ واحد لا يقبل التعدّد ، و ولاية أولياء الله هي في الحقيقة عين ولاية الله تعالى . يشهد على هـذا المعنى أنّ الولاية قد حُصرت في بـعض آيـات القـرآن الكـريم بـالذات المقدّسة للخالق سبحانه ،كالآية ٢٥٧ من سورة البقرة :

ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .

و الآية ٦٨ من سورة آل عمران :

وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

وكالآية ٥١ من سورة الأنعام :

لَيْسَ لَهُم مِّنْ دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

و الآية ٢٦ من سورة الكهف :

مَا لَهُم مِّنْ دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَ لَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَداً .

و الآية ٤٤ من نفس السورة :

هُنَـٰالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ عُقْباً .

١ـ الآية ٣١ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

كما نُسبت الولاية في بعض آخر من الآيات مع الله سبحانه لسواه و أُثبتت للنبيّ و أميرالمؤمنين عليهما السلام و بعض المؤمنين الحقيقيّين المخلصين ؛ كما في الآية ٥٥ من سورة المائدة :

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَ رَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَ هُمْ رَٰكِعُونَ .

و قد وردت الروايات المتظافرة من الشيعة و العامّة أنّ هذه الآية نزلت في شأن أميرالمؤمنين عليه السلام :

و كالآية ٦ من سورة الأحزاب :

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ .

و الآية ٧١ من سورة التوبة :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ .

وعلّة ضم النبيّ و أميرالمؤمنين و بعض المؤمنين في مقام الولاية الكلّيّة الوحدانيّةُ الإلـهيّة هو ما ذكرناه ؛ و مع وجود وحدة الولاية الإلـهيّة مع ولاية هؤلاء ، فلن يوجد هناك انثلام و انشقاق في الأمر .

و هكذا فإنّه تبعاً للآية التي تُلحق المطيعين بأولياء الله من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصّالحين ، فإنّ جميع الشيعة و الأتباع سيُلحقون بأوليائهم و سيكونون في أمان من المؤاخذة و من سكرات الموت و مَهولات العوالم بعده .

و الحقّ أنّ هذا المعنى يبعث على غبطة الشيعة و الأتباع الحقيقيّين من أنّهم بالرغم من عدم وصولهم جميعاً إلى مقام الأسماء و الصفات الكلّيّة الإلهيّة ، و عدم طيّهم لمراحل عالم التجرّد و المعنى ، و عدم انكشاف الحُجب الغيبيّة لهم ، و بالرغم من عدم ارتباطهم بالملائكة المقرّبين والأرواح الطيّبة لمنزّهي العالم ، و عدم مشاهدتهم للجنّة و مقاماتها

ومنازلها؛ إلّا أنّ عليهم الابتهاج في أنّـهم قد خطوا خطوات راسخة في مقام التشيّع و الطاعة ، فإنّ طاعتهم هذه ستجعلهم يلتحقون بأوليائهم و توصلهم إليهم و تـجعلهم يأمـنون الأخـطار و المـحن و يـتنعّمون فـي ظـلّ ولايـة أوليائهم .

و الأمر كذلك في الأُمور الاعتباريّة ، فقد ورد في روايات كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن أطعِموا خدمكم و جواريكم ممّا تأكلون و ألبِسوهم ممّا تلبسون ، و أجلسوهم معكم في طعامكم و على موائـدكم ، فإنّ الله سبحانه لايحبّ أن يكون لربّ البيت طعام خاصّ و لخدمه طـعام آخر ، أو أن يعيش السيّد في غرفة فخمة فاخرة و يعيش هؤلاء في محلّ وضيع ، أو أن يرتدي السيّد الملابس الفخمه و يلبسون البسيط من اللباس . لقد كان نبيّنا صلّى الله عليه و آله و الأئمّة الطاهرين صلوات اللـه عـليهم أجمعين يعيشون على هذا النحو[1]. وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يُجلس معه جميع مماليكه على مائدته فيجلسون على فراش واحـد وعلى أرضٍ واحدة و يتناولون طعاماً واحداً .[2]

١ـ أورد الشيخ الطبرسيّ في «مكارم الأخلاق» ، فصل «الدعاء عند اللـبس» ، ص ٥٣ من الطبعة الحجريّة رواية مفصّلة عن مختار التمّار ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام ، و فيها أنّ الإمام ذهب مع غلامه قنبر إلى سوق الكرابيس فاشترى ثوبين ، أحدهما بثلاثة دراهم و الآخر بدرهمين ، فأعطى الذي بثلاثة إلى قنبر و لبس الذي بدرهمين ، فقال قنبر : أنتَ أولى به ، تصعد المنبر و تخطب الناس . قال : و أنت شاب و لك شرّة الشباب ، و أنا أستحي من ربّي أن أتفضّل عليك . سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : **أَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ** . و قد ورد نظير هذا الحديث في ص ٥٩ من هذا الكتاب .

٢ـ أورد في المجلّد ١٢ من «بحار الأنوار» ، طبعة الكمباني في كتاب تاريخ الإمام عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام ، ص ٢٦ ، عن كتاب «عيون أخبار الرضا» ، عن جعفر بن نعيم بن شاذان ، عن أحمد بن إدريس ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن إبراهيم بن عبّاس ، قال : ...حتّى ⇦

إنّ أُولئك الخدم و المماليك لم يكن لهم مقام الإمام الرضا عليه السلام ، لكنّهم كانوا غلماناً مُطيعين ، فأبى الإمام أن يَطْعَم طعاماً فلا يشركهم فيه .

و لو اتّفق تمرّد الغلام و تجرّأ فوثب أمام مولاه و ضرب أحد أطفال المنزل و اعتدى على ربّة البيت ، لَعاقبه ربُّ البيت و لَقيّده بالأغلال في زاوية البيت حتّى يثوب إلى عقله فيكفّ عن تمرّده و اعتدائه ، و لَجَلده بالسوط كلّ يوم بعد نُصحه و توبيخه على مواجهته له و تمرّده عليه بدلاً من طاعته و الانقياد إليه ، و على استبداده في عمله و نزوعه إلى الاستقلال و العصيان .

و مهما عمل هذا الغلام من الأعمال الصالحة فإنّ ذلك لن يشفع له أو يُجديه نفعاً ، أي أنّ عمله لن يكون صالحاً إذا اقترن بتمرّده على مولاه و عصيانه له . أمّا الغلام و العبد المطيع و خادم المولى فإنّ المولى و الإمام يحبّه كنفسه .

الغلام المطيع يقول بلسان حاله : سيّدي ! مولاي ! ليس لي علمك ، وليس لي مالك و ثروتك ، و ليس لي قدرتك و لاكمالاتك و فضائلك ، لكنّني قدمتُ إلى هذا الفِناء لأُطيع ، فليس لي إرادة و اختيار معك ، بل

⇐ يصل إلى قوله :

و كان إذا خلا و نصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه حتّى البوّاب والسائس . و يروي في ص ٢٩ عن «الكافي» عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد البرقيّ ، عن عبدالله بن الصلت ، عن رجل من أهل بلخ قال : كنتُ مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان ، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم ، فقلتُ : جُعلتُ فداك لو عزلتَ لهؤلاء مائدة . فقال : مه إنّ الربّ تبارك و تعالى واحد و الأُمّ واحدة والأب واحد و الجزاء بالأعمال .

الإرادة و الاختيار لك ، و الحكم و الأمر اليك .

بـــندگانيم جـــان و دل بـــركف چشم بر حكم وگوش بر فرمان

گر سـر صـلح داري ايـنك دل ور سر جنگ داري اينک جان[1]

تماماً كمثل القصّة المشهورة لأباز و مولاه السلطان محمود الغزنوي التي سُطرت في التواريخ و الأمثال .

إنّ الشيعة الذين لا يدّخرون وسعاً في طاعة مواليهم ، و الذين يتحلّون بلباس التقوى ، و الذين هم أهل التفويض و التسليم . سيُلحقون بأئـمتهم و سيُنعمون بالمرافقة معهم في جميع المنازل و المراحل .

و لقد أمرنا أئمّتنا أن نُطعم خدمنا و مطيعينا في الدنيا ممّا نأكل ، فأنـّى لهم أن يحرموا هم أيضاً المخلصين و المطيعين لهم من النعم الإلهيّة التي يتمتّعون بها .

مَا هَـٰكذا الظَّنُّ بِهِمْ وَ لَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِهِمْ وَ لَا مُشْبِهٌ لِما عَامَلُوا بِهِ الْمُحِبِّينَ وَالْمُطِيعِينَ مِنْ مَوالِيهِمْ .

إنّ إلحاق المطيعين بأولياء الله هو نصّ الآية القرآنية ؛كما ورد في مفاد رواياتكثيرة في هذا الباب عن أنّ الاستار تزاح من أمام عين المؤمن أثـناء سكـرات المـوت فـتحضر أمـامه الأرواح المـقدّسة لرسـول اللـه و أميرالمؤمنين و الصدّيقة الكبرى و الحسنين و سائر الأئمّة عليهم السلام بصورهم المثاليّة و البرزخيّة فيقولون له : نحن رفقاؤك فتعال نـذهب مـعاً لنسكن الجنان و لنعيش سويّاً في جميع الأحوال متصاحبين متجالسين في

---

[1] ـ يقول : «نحن عبيدٌ ، أرواحنا و قلوبنا على أكفّنا ، عيونُنا ترقب الحُكم و آذانُنا الأمرَ والنداء .

إن شئتَ صلحاً فهاك قلوبنا ، أو شئتَ حرباً فهاك أرواحنا !»

قصر واحد في مقام الأمن ، مشغولين بالتطلّع إلى بعضنا في الجلوات الإلهيّة عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (الآية ٤٧ من سورة الحجر ، و الآيـة ٤٤ مـن سـورة الصافّات) ؛ و قد وردت روايات جمّة (كثيرة) في هذا الشأن بحيث فاقت حدّ الإحصاء .

و قد وَرَدتْ في المجلّد الثالث من كتاب «بحار الأنوار» للـمرحـوم المجلسيّ رضوان الله عليه ـ و هو في باب العدل و المعاد حيث خصّص نصفه لبحث هـذه المـوضوعات ، وردت مـئات الروايـات المـنقولة عـن «الكـافي» و «مـن لا يـحضره الفـقيه» ، و «الأمـالي» للشـيخ المـفيد ، و «الأمالي» للشيخ الصدوق ، و «الأمالي» للشيخ الطوسيّ ، و «الاحتجاج» للشيخ الطبرسيّ ، و «الدعوات» للراونديّ ، و «جامع الأخبار» ، و «محاسن البرقيّ» ، و «الاختصاص» للشيخ المفيد ، و «معاني الأخبار» ، و «عـيون أخبار الرضا» و غيرها ، في أنّ المؤمن يتشرّف عند موته بلقاء أئمّته الذين يأخذونه معهم إلى الجنّة .

و قد نقلنا رواية في المجلس السـابق ، و نـنقل اليـوم أيـضاً روايـة أُخرى ، و ذلك لأنّنا إذا شئنا بيان جميع الروايات الواردة فـي هـذا الشأن و البحث فيها لانقضى شهر رمـضان بأكـمله و بـقينا نـبحث حـول مسألة سكرات الموت فقط . يروي المرحوم الكلينيّ في كتاب «فروع الكـافي» عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن سليمان ، عن أبيه ، عن سدير الصيرفيّ قال : قُلتُ لأبي عبدِالله عليه السلامُ : جُعلتُ فداكَ يابنَ رسولِ الله ! هلْ يُكْرَهُ المؤمنُ على قبض رُوحه ؟ قال : لا وَاللّهِ ! إنّه إذا أتاهُ مَـلَكُ المـوتِ لقـبضِ روحـهِ جـزعَ عـند ذلك ، فـيقولُ له مـلكُ المـوتِ : يا وليَّ اللّهِ لا تجزعْ ، فوالذي بعثَ محمّداً صلّى الله عليه و آله لأنَا أبَرُّ بِكَ وَأشفقُ عليكَ من والدٍ رحيم لَو حضرك . افتحْ عينيك وانظر !

قال : و يُمثّلُ له رسولُ الله صلّى الله عـليه و آله و أمـيرالمـؤمنين و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ و الأئمّةُ من ذرّيّتهم عليهم السلام ، فيقول له : هذا رسولُ الله و أميرالمؤمنين و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ و الأئمّةُ عليهم السلام رفقاؤكَ .

قالَ : فيفتح عينَه فينظر فينادي روحَه منادٍ من ربِّ العزّةِ فيقول :

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (إلَىٰ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً (بِالوِلَايَةِ) مَّرْضِيَّةً (بِالثَّوابِ) فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى (يَـعْنِي مُـحَمَّداً وَأَهْلَ بَيْتِهِ) وَٱدْخُلِى جَنَّتِي . فَـمَا شَـيءٌ أَحَبَّ إِلَـيْهِ مِـنْ اسْـتِلَالِ رِوحِـهِ وَاللُّحُوقِ بِالْمُنَادِي .[1]

و قد وردت رواية في تفسير «العـيّاشيّ» و هـو مـن نـفائس كـتب الشيعة ، و يعدّه البعض من أهل الفـنّ أوثـق و أكـثر اعـتباراً مـن كـتاب «الكافي» ، إلّا أنّه و للأسف الشديد ليس في متناول اليد غير نصف هذا الكتاب فقط من أوّل القرآن إلى سورة الكهف ، أمّا نصفه الآخر فلم يُعثر على نسخة منه في أيّ من المكتبات الموجودة . عن عبدالرحيم قال : قال أبوجعفر عليه السلام :

إِنَّمَا أَحَدُكُمْ حِينَ يَبْلُغُ نَفْسُهُ هَيٰهُنَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوتِ فَيَقُولُ : أَمَّا مَا كُنْتَ تَرْجُو فَقَد أُعْطِيْتَهُ ، وَ أَمَّا مَا كُنتَ تَخَافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنهُ ، وَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَ يُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَسْكَنِكَ فِي الْجَنَّةِ ، وَانْظُرْ هَذا رَسُولُ ٱللهِ وَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ رُفَقَاؤُكَ ، وَ هُوَ قَوْلُ ٱللهِ : ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى

١ـ «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، باب : «أنّ المؤمن لا يُكره على قـبض روحـه» ، الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٣٥ و ٣٦ ؛ والطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ١٢٧ و ١٢٨ .

ٱلْأَخِرَةِ .[1]

و هذه الأُمور جميعاً نتيجة الطاعة ، و هذا هو اللقاء و الرفقة و المعيّة في الوهلة الأُولى ، و سيُذكر بالترتيب إن شاءالله تعالى ما سيلقاه المؤمنون طوال عالَم البرزخ و القيامة .

لقد وجد أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام بأجمعهم المعيّة و المصاحبة له ، حتّى ذلك الغلام الأسود ، فقدكان لسيّد الشهداء عليه السّلام غلام اسمه جون كان مولىً لأبي ذرّ الغفاريّ فوهبه للإمام ، وكان له مهارة في إصلاح الأسلحة .

و ليلة عاشوراء كان الإمام جالساً في خيمته يترنّم بهذه الأبيات :

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ كَمْ لَكَ بِالإشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ

مِنْ صَاحِبٍ وَ طَالِبٍ قَتِيلِ وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ

وَ إِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ وَ كُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِ[2]

وكان هذا الغلام مشغولاً بإصلاح سلاح الإمام ، فبشّر الإمام أصحابه جميعاً أنّهم سيكونون معه في العوالِم الأُخرى . و لم يصدّق الغلام الأسود أنّ الله سبحانه سيحشره مع الإمام الحسين يوم القيامة . فقدكان عبداً يلفّه السواد من قمّة رأسه إلى أخمص قدميه ، وكان في لسانه لكنة ، وكان ينتمي إلى بلد آخر ، و لم يكن له قوام متناسب ، وكانت شفتاه غليظتين كبيرتين و شعر رأسه مجعّد خشناً . إلّا أنّ هذه الأُمور ستُزال جميعاً ، فهناك في عالم المعنى اتّحاد للأرواح ، هناك حيث يُزال عنه السواد ، فيُلبس لباساً

١ـ «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ١٧٧ و ١٧٨ .

٢ـ «الإرشاد» للمفيد ص ٢٥١ ؛ «اللهوف» الطبعة الحجريّة ، ص ٧١ ؛ و «مقتل سيّد الشهداء» للسيّد عبدالرزاق المقرّم ؛ و أضاف في اللهوف نصف البيت هذا : **مَا أَقْرَبَ الْوَعْدَ مِنَ الرَّحِيلِ** .

أبيض ، و يصبح بدنه أبيض برّاقاً كاللُّجَيْنِ .

و لقد قدموا ليلة الحادي عشر من المحرّم ليفصلوا باقي الرؤوس عن أجسادها ، فرأوا إلى جانب القتلى بدناً ملقىً يلمع كالفضّة (لا يوجد هذا لا في «مقتل المقرم» ولا في «ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام») و الرائحة العطرة تتصاعد فوّاحة منه ، رائحة لم تُصافح أنفاسهم قبلُ كمثلها ، كان هو بدن ذلك الغلام الأسود ، فقد كان أسودَ فصار أبيض فضّيّاً ، و صارت رائحته زكيّةً عطرة ، فقد أُلحق بمولاه المُطاع سيّد الشهداء عليه السلام .[1]

كيف أُلحقت **فِضّةُ** خادمة الزهراء سلام الله عليها بمولاتها فشملتها سورة «**هل أتى**» التي نزلت في شأن أهل البيت ؟

و كذلك **سلمان الفارسيّ** الذي أُلحق أثر الطاعة و التسليم لأهل بيت رسول الله بهم ، فقال عنه النبيّ **سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلِ الْبَيْتِ** .

و لدينا باب في المعارف باسم : باب اللحوق ؛ في أنّ الأرواح المتجانسة تلتحق ببعضها ، سواءً في ذلك الأرواح التي تُساق إلى الجنّة ، أو التي تُساق إلى النار .

و لقد أُلحق أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام بمولاهم أيضاً ، فكانوا يتسابقون يوم عاشوراء بمنتهى التسليم و صفاء الباطن فيفدون أرواحهم لمولاهم .

و لقد أدركوا جميعاً درجة معيّتهم للإمام : **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا**

١ـ مقتل المقرّم ص ٢٨٩ ؛ و ينقل عن مقتل «العوالم» ص ٨٨ أنّ الإمام كان قد دعا له : اللّهمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ ، وَ طَيِّبْ رِيحَهُ ، وَاحْشُرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه و آله ، وَ عَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه و آله . فكان كلُّ مَن يمرّ بالمعركة يشمّ منه رائحةً طيّبة أذكى من المِسك .

يَتَّقُونَ .

و لقد رحلوا جميعاً ملبّين نداء ذلك المنادي ، و أيّ منادٍ ؟ ذلك الذي ينادي من قبل الربّ سبحانه :

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ .

و لم يكن لديهم خوف و لا حزن ، فقد نسوا الأزواج و الأولاد و المِلك و التجارة و الوطن ، نسوا كلّ ما كان لديهم .

قال برير : أين أنصرف ؟!! و تكلّم حبيب ، و تكلّم أولاد عقيل ، و تكلّم الإخوة ، و كانوا جميعاً عشّاقاً للقتل فداءً لابن رسول الله .

لِلّهِ دَرُّهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ صَبَرُوا مَا إنْ رَأَيْتُ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالاً

و ما أجمل ما أنشد الشاعر :

داديم به يک جلوهٔ رويت دل و دين را
تسليم تو كرديم هم آن را و هم اين را
ما سير نخواهيم شد از وصل تو آرى
لب تشنه قناعت نكند ماءِ معين را
مى‌ديد اگر چشم ترا لعل سليمان
مى‌داد در اوّل نظر از دست نگين را
در دايرهٔ تاجوَران راه ندارد
آن سر كه نسائيده به‌پاى تو جبين را[1]

١ـ يقول : «فدينا لإشراقةٍ واحدة لطلعتك القلبَ والدين كليهما ، و سلّمنا إليك طوعاً هذا و ذاك .

لن نرتوي قطّ من وصالك يوماً ، فالشفة الظمأى لا تقنع بالماء المعين وحده . ⇦

أبدع في شعره حين قال:

أی حمد تو از صبح أزل همنفس ما
کوتاه ز دامان تو دست هوس ما
با قافلهٔ کعبهٔ عشقیم که رفته‌است
سرتاسر آفاق صدای جَرس ما
در پای تو آلوده لب از می چه بیفتیم
رانند ملائك به پَرِ خود مگس ما[1]

⇐ لو شاهدت عينيك ياقوتة سليمان، لأعطاك فصّ خاتمه من النظرة الأُولى.
و لن يجد إلى دائرة الملوك ذوي التيجان سبيلاً، رأسٌ لم يُمرّغ جبينه على قدميك.»

١ـ يقول:
«يا من تردّد مديحُك منذ صبح الأزل مع أنفاسنا، وكانت أوهامنا تقصر عن نيل فضل ردائك.
لقد طبّق الآفاق صوت جرسنا المتصاعد مع قافلة العشق الراحلة.
و لو تهاوينا على أقدامك بشفاهنا المدنّسة بالخمر، لَطَرَدَتْ ذُبَابَنَا، بأجنحتها الملائكةُ.»



المجلس العاشر

إلحاق المؤمنين بأولياء الله والمنكرين بأولياء الشيطان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لا حول و لا قوّة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

و صلَّى ٱللهُ على محمّد و آله ٱلطَّاهرين

و لعنة ٱللّه على أعدائهم أجمعين من ٱلآن إلى قيام يوم الدين

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَ يَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ ٱلْقَرَارُ .[1]

إنّ الدنيا التي نعيش فيها دنيا امتزج بها الحسن و السيّء ، و هناك أفراد في هذه الدنيا امتزج فيهم الحسن و السيّء فلم يتميّزا من الوجهة الظاهريّة ، إلّا أنّ البواطن تختلف و تمتاز عن بعضها . فهناك البعض ممّن لهم باطن حسن ، بينما البعض الآخر لهم باطن سيّء ؛ وكما أنّ باطن البعض يغلب على ظاهرهم ، بينما ظاهر البعض الآخر يغلب على باطنهم . و هناك البعض الآخر ممّن تتساوى لديهم الحسنات و السيّئات . و يمكن أن تتغيّر

١ـ الآيات ٢٧ إلى ٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

البواطن إثر الأعمال الصالحة أو الأعمال السيّئة، فيصبح الباطن الحسن سيّئاً و يصير الباطن السيّء حسناً، كمثل الفاكهة التي يتسرّب التلف إلى بقعة صغيرة فيها، فإذا ما استؤصلت تلك البقعة بقيت الفاكهة سالمة، و إلّا سرى التلف إلى جميع الفاكهة فأتلفها.

إنّ الأفراد الذين يمتلكون باطناً جيّداً هم الذين قد آمنوا بالله و عمروا باطنهم إلى حدٍ ما بالأعمال الصالحة وذلك باتباع رسول الله، إلّا أنّ من الممكن أن تصدر منهم أعمالاً قبيحة أحياناً. كما أنّ الأفراد الذين يمتلكون باطناً سيئاً قد أشركوا وكفروا و انهمكوا بالفسق و الفجور، إلّا أنّ من الممكن أيضاً أن تصدر منهم أعمالاً حسنة أحياناً. فما الذي ستكوّنه عاقبة هاتين المجموعتين يا ترى؟ و هل سيأخذون معهم عند رحيلهم من هذه الدنيا هذه الأعمال الحسنة و الأعمال السيّئة بشكل منفصل؟ و ما الذي سيكون عليه مقامهم و منزلتهم؟

أوْ هَلْ أنّ عالم ما بعد الموت هو الآخر عالم تمتزج فيه الحسنات و السيّئات؟ أو تمتزج هناك الحسنات و السيّئات، المعصية و التقوى، النور و الظلمة، السعادة و الشقاء مع بعضها فتتحرك سويّاً في مصافّ بعضها؟ أم أنّ العالم هناك عالم يمثّل السعادة و النور المحضينِ، فهو جنّة و فرح ومحض لذّة للصادقين، لا غلّ و لا غشّ و لا كدر فيه أبداً؛ و سيكون كمصداق للآية ٤٣ من سورة الأعراف:

وَ نَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ.

و للآية ٤٧ من سورة الحجر:

وَ نَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ.

أو أنّه ظُلمة محضة وكدر و غلّ محض و شقاء لا يشوبه سعادة للخاسرين والضالّين و المسيئين.

إنّ الناس السعداء و الأشقياء ليسوا منفصلين عن بعضهم في الدنيا ، بل إنّ السعادة الكاملة و الشقاء الكامل ليسا مشهودين في كلّ واحد من أفراد الناس ، بل إنّ ذلك شيء يتعلّق بما سيفعلونه بمرور الأيّام ، و بالمبدأ الذي سينزعون إليه مستقبلاً ، و بما ستكون عليه عاقبتهم في الختام ؛ أللسعادة سيذهبون أم للشقاء ؟

و مادام الإنسان يعيش في عالم التكليف ، و مادام مشرّفاً من قبل الخالق بهذا الشرف ، فإنّ احتمال السعادة و الشقاء سيكون وارداً بالنسبة له ، و لن يكون بمقدور أحد أبداً أن يعدّ نفسه من السعداء أو من الأشقياء .

إنّ الحسنات و السيّئات ، و الإلهامات الربّانيّة و الخواطر الشيطانيّة ممتزجة في داخل الأفراد ، فهناك معجون من أجزاء هذه المتضادّات في نفس كلّ فرد . و بغضّ النظر عن هذا فإنّ أفراد البشر يعيشون في الدنيا على أساس من الحياة المادّيّة ، فيأنسون ببعضهم البعض ، و يعيشون في بيت واحد . و ما أكثر ما جلس الأفراد الأشقياء و السعداء على مائدةٍ واحدة ، باطن أحدهم ظلمة محضة و باطن الآخر نورٌ صرف ؛ يميل باطن أحدهم إلى الإنفاق و الإيثار ، و ينزع باطن الآخر إلى البُخل و الإمساك .

و لأنّهم محدودون في هذه الدنيا ، و لأنّ الظاهر له الغلبة على الباطن ، و لأنّ حواس الإنسان من الذوق و الشمّ و السمع و البصر و اللمس هي و سيلة ارتباط الإنسان بهذا العالم ، فإنّ الإنسان يتمكّن فقط من إدراك الظاهر ، في حين تخفى عليه البواطن و النوايا و السرائر .

أمّا عند الارتحال و الموت ،و حين يستعدّ الإنسان للهجرة والرحيل ، فإنّه يوضع في محكّ يفصل الحسنات عن السيّئات ، و بمجرّد أن يصل الإنسان إلى نقطة الموت و يفقد فيها اختياره و إرادته الدنيويّة ، فإنّه سيواجه هناك أمّا عالم الخير المحض أو عالم الشرّ المحض، فهو إمّا

سالك طريق الجنّة أو منكفىء في طريق النار، وليس هناك من معنى للشكّ والاختلاط بعد عالم الموت.

و بواسطة ذلك المحكّ الإلهي فإنّ حسنات كلّ امرئ ستتّجه إلى عالم الحسنات ، في حين تتحرّك سيّئاته إلى عالم السيّئات .

ذلك العالم هو عالم ظهور الخفيّات و بروزها ، و هو عالم كشف البواطن و السرائر ، تذهب فيه البواطن الحسنة إلى الجنّة ، و البواطن السيّئة إلى جهنّم ، فيزول هذا الاختلاط و الامتزاج بين الحسنات و السيّئات . هناك عالم تتجمّع فيه الحسنات إلى بعضها ، و السيّئات إلى بعضها ، فهي تتجزّأ عن بعضها كما يحصل في تجزئة الماء و تحلّله إثر مرور شرارة كهربائيّة إلى غازين مختلفي الهويّة .

فهذان الغازان ما كانا منفصلين عن بعضهما ، إلّا أنّهما فُصلا في شروط معيّنة إثر مرور الشرارة التي جعلت أحد الغازين يتّجه إلى قطب ، و الآخر المختلف عنه في هويّته و جنسه إلى قطب آخر .

إنّ الشخص الجميل الذي له ظاهر ملوّث في الدنيا ، ملابسُهُ قذرة و بدنه متّسخ و وجهه مغطّى بغبار الفحم ، فإنّه بالنظر إلى جمال شمائله و حسن شكله الحقيقيّ ينبغي أن يؤخذ فيُغسل في الحمام و تُزال عنه الأدران و الكدورات و تُبدّل ملابسه لتتشخّص حقيقته جهاراً و عياناً .

كما أنّ هناك أشخاصاً قبيحي المنظر مُنفري السّحنة ، إلّا أنّهم زيّنوا أنفسهم بزينات مختلفة و احتلّوا مكان الجميلين وسيمي الطلعة . أولئك أيضاً سيؤخذون إلى الحمّام فتغسل الزينة ليظهر شكلهم الواقعيّ على حقيقته ، ثمّ يُقال لهم : اذهبوا إلى من يُماثلونكم .

إنّ الأفراد الذين أحيوا باطنهم و عمروه بالإيمان بالله و العمل الصالح ، و الذين تجمّلوا بالجمال الإلهيّ سيكون مكانهم الجنّة ، لأنّ باطنهم

جميل و حسن ، و الباطن مركز ترشّح العواطف و الأحاسيس الإنسانيّة ، كالمروءة و العدل و العبوديّة لله سبحانه ؛ بَيْدَ أنّ ظاهر هؤلاء قد تلوّث وتدنّس بسبب المعاصي التي بدرت منهم أحياناً ، إلّا أنّ هذه المعاصي لم تسرِ إلى الباطن بل شملت الظاهر وحده ، لذا فإنّ أمثال هؤلاء يجب أن يُغسلوا . و هكذا فإنّهم يطهرون وينزّهون بواسطة المشاكل التي يواجهونها في الدنيا ، و بالمصائب التي ترد عليهم ، و بظهور الأمراض ، و بسكرات الموت و قبض الروح ، و مجيء منكر و نكير ؛ و حين يطهرون فإنّهم سيذهبون فيلتحقون بالأطهار .

أمّا أُولئك الأفراد الذين تدنّس باطنهم في الدنيا بالشرك و الكفر ، و الذين أفسدوا ذلك الباطن و أتلفوه بالعمل السيّء و بالاعتداء على حقوق الناس و التعدّي على حريم الله سبحانه ، ثم جمّلوا ظاهرهم أحياناً ببعض الأعمال الحسنة ، إلّا أنّ هذه الزينة لم تتمكّن من النفوذ إلى باطنهم لتصلحه ، فإنّ هذا الحجاب الظاهري و هذا الستار سيُزاح جانباً بلذّة مؤقته ونعمة سريعة الزوال ، أو بامتحان بسيط يمرّون به ، فيبرز باطنهم الملوّث بصورته الحقيقيّة و يُقال لهم : اذهبوا فالتحقوا بالملوّثين .

ذرّه ذرّه كاندرين أرض و سماست
هر يكى همجنس خود را كهرباست
نوريان مر نوريان را طالبند
ناريان مر ناريان را جاذبند[1]

١ـ يقول : «إنّ كلّ ذرّة في باطن الأرض أو في السماء ستجذب أمثالها في الجنس كالمغناطيس .
فأهل النور يسعون إلى أمثالهم ، و أهل النار يجذبون أشباههم.»

لحوق الذنب بأصله و الطاعة بأصلها

إنّ المؤمن الذي زيّن باطنه بالإيمان و لوازمه، و الذي قد يحدث أن يتلوّث ظاهره بالمعصية أحياناً، ستنفصل عنه المعصية بشرارة كهربائيّة ملكوتيّة تتّصل به، فيحلّق ذلك الباطن الجميل الحسن إلى محلّه الحقيقيّ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**.[١]

كما أنّ الكافر الذي زيّن ظاهره ببعض الأعمال الصالحة و الأخلاق الحميدة، إلّا أنّ باطنه فاسد متعدٍّ متجاوز، سيمرّ هو الآخر بامتحان تسلّط عليه فيه شرارة كهربائيّة ملكوتيّة للتجزئة و التحليل، فينهار ظاهره و يتحرّك باطنه إلى محلّه و مستقرّه.

و خلاصة الأمر فإنّ كلّ صفة ستعود بعد التجزئة و الامتحان إلى أصلها، تماماً كما يحدث حين يحرق الحطب المركّب من المواد الترابيّة و المواد الناريّة، فتتحرّك النار صوب مبدأه أي الشمس، و يعود الرماد إلى مبدأه، أي الأرض، بعد أن كانا ممتزجين متآلفين في الفحم و الحطب.

كُلُّ شَيْءٍ يَرْجِعُ إلى أَصلِهِ، أصل الجنّة الطهارة و النزاهة، و أصل جهنّم القذارة و الدَّنَس، و على المؤمن الذي يريد الذهاب إلى الجنّة أن يتخلّى عن جوانبه الظلمانيّة العارضة فيذهب دونها، و إلّا لما قدر على الذهاب.

كما أنّ على الكافر الذي يريد الحركة إلى جهنّم أن يترك جوانبه النورانيّة العارضة، و إلّا لما تمكّن من الحركة في ذلك الاتّجاه.

و هناك نكتة مهمّة أُخرى يلزم ذكرها، و تستحقّ العناية و التأمّل، و هي أنّ مَن كان باطنه جميلاً حسناً فسعى ـ بالإيمان الحقيقيّ بالله تعالى

١ـ الآية ٥٥: من السورة ٥٤: القمر.

و بالتقوى و العمل الحسن ـ في حفظ هذا الباطن غضّاً حيّاً ، فإنّ العمل القبيح الذي يبدر منه ليس قبيحاً في الحقيقة ، بل إنّ له صورة قبيحة فقط .

و ذلك لأنّ باطنه الحسن لا يتقبّل هذا العمل و لا يسمح له بالاقتراب منه ، فإذا ما بدر من المؤمن أحياناً عمل بسبب غضبه . و شهوته ، متعمّداً كان أم غير متعمّد ، فإنّ ذلك الباطن سيُبعد ذلك العمل عنه و يطرده باستمرار .

كما أنّ الشخص المتعدّي المتجاوز الذي ينزع باطنه إلى الدنيا ، و الذي أفسد ذلك الباطن بعمله الغير مقبول فأدّى إلى فساده و تعفّنه ، إذا ما صدر منه عمل حسن ، فإنّ ذلك العمل ليس عملاً صالحاً ، بل إنّ ظاهره حسن فقط ، لأنّ باطن هذا الشخص لا يسمح له بفعل عمل حسن ، و سيقوم ذلك الباطن باستمرار بإبعاد هذا العمل الصالح عنه رافضاً قبوله .

و إذا ما خضع العمل الحسن الذي يصدر من رجل خبيث الذات إلى منطق العقل و إلى واقع التجزئة و التحليل ، فإنّ رائحة الرياء و التظاهر و دواعي الصيت و السُمعة و الشُهرة ستتصاعد منه فتزكم الأُنوف .

و حين يريد كلّ إنسان أن يرحل عن الدنيا ، و حين يريد الله الحقّ أن يعيد كلّ موجود إلى أصله ، فيأخذ الملكوت إلى الملكوت ، و العلّيين إلى العلّيين ، وا لسجّين إلى السجّين ، فإنّ عالم الحقّ و الحقيقة سيظهر و حجاب الاعتبار سيُهتك و يُزاح جانباً ، فيُساق أهل الجنّة إلى الجنّة و يوضع كلّ منهم في درجته الخاصّة ، و يُساق أهل جهنّم إلى جهنّم و يوضع كلّ منهم في الدرك الخاصّ به ، ثمّ يُصار إلى تجزئة الإنسان بالمحكّ الملكوتيّ و الشرارة الكهربائيّة الربّانيّة ، فتذهب الحسنات إلى جهة و السيّئات إلى أُخرى ، و تتحرّك الحسنات العارضة إلى الحسنات الذاتيّة الثابتة ، في حين تتحرّك السيّئات العارضة صوب السيّئات الذاتيّة .

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ .[1]

تقول الآية ٣٧ من سورة الأنفال :

لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ .

و من جانب آخر ، و بالملازمة ، فإنّ الطيّب سيُجعل بعضه على بعض فيُركم جميعاً فيُجعل في الجنّة .

رُوي في كتاب «علل الشرايع» رواية مفصّلة عن أبي إسحاق إبراهيم الليثيّ ، عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام في طينة المؤمن والمنافق و أعمال المؤمنين و المعاندين ، إلى قول الإمام عليه السلام :

احتجاج الإمام الباقر عليه السلام على إبراهيم الليثيّ

أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ الشَّمْسِ إذَا طَلَعَتْ وَ بَدَا شُعَاعُهَا فِي الْبُلْدَانِ ، أَهُوَ بَايِنٌ مِنَ الْقُرْصِ ؟

قُلْتُ : فِي حَالِ طُلُوعِهِ بَايِنٌ .

قَالَ : أَلَيْسَ إذَا غَابَتِ الشَّمْسُ اتَّصَلَ ذَلِكَ الشُّعَاعُ بِالْقُرْصِ حَتَّىٰ يَعُودَ إلَيْهِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : كَذَلِكَ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إلَى سِنْخِهِ وَ جَوْهَرِهِ وَ أَصْلِهِ ؛ فَإذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَعَ اللَّهُ تَعَالَىٰ سِنْخَ النَّاصِبِ وَ طِينَتَه مَعَ أَثْقَالِهِ وَ أَوْزَارِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالنَّاصِبِ ؛ وَ يَنْزِعُ سِنْخَ الْمُؤْمِنِ وَ طِينَتَهُ مَعَ حَسَنَاتِهِ وَ أَبْوَابِ بِرِّهِ وَاجْتِهَادِهِ مِنَ النَّاصِبِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالْمُؤْمِنِ .

١ـ الآية ٩٨ ، من السورة ١١ : هود .

أَفَترى هَاهُنَا ظُلْماً وَ عُدْوَاناً ؟

قُلْتُ : لَا ، يَابْنَ رَسُولِ آللَهِ .

قَالَ : هَذَا وَآللَهِ الْقَضَاءُ الْفَاصِلُ وَالْحُكْمُ الْقَاطِعُ وَ الْعَدْلُ الْبَيِّنُ ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ .

هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ؛ هَـذا مِـنْ حُكْمِ الْمَلَكُوتِ .

قُلْتُ : يَابْنَ رَسُولِ آللَهِ ، وَ مَا حُكْمُ الْمَلَكُوتِ ؟

قَالَ : حُكْمُ آللَهِ وَ حُكْمُ أَنْبِيائِهِ وَ قِصَّةِ الْـخِضْرِ وَ مُـوسَىٰ عَـلَيْهِما السَّلَامُ حِينَ اسْتَصْحَبَهُ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ، وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً .

إِفْهَمْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَاعْقِلْ ، أَنْكَرَ مُوسىٰ عَلَىٰ الْخِضْرِ وَاسْتَفْظَعَ أَفْعَالَهُ ؛ حَتَّىٰ قَالَ لَهُ الْخِضْرُ : يَا مُوسَىٰ ؟ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، إِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ آللَهِ تَعَالَىٰ ، مَنْ هَذَا وَيْحَكَ يا إبراهيمُ قُرآنٌ يُتْلى وَ أخبارٌ تُؤْثَرُ عَنِ اللَـهِ تَعالَى مَن رَدَّ مِنْها حَرْفاً فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ وَ رَدَّ عَلَىٰ آللَهِ تَعَالَىٰ .

قَالَ اللَّيْثِيُّ : فَكَأَنِّي لَمْ أَعْقِلِ الآيَاتِ وَ أَنَا أَقْرَأُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ .

فَقُلْتُ : يَابْنَ رَسُولِ آللَهِ ! مَا أَعْجَبَ هَذاَ ، تُؤخَذُ حَسَنَاتُ أَعْدَائِكُمْ فَتَرَدُّ عَلَىٰ شِيعَتِكُمْ ؛ وَ تُؤخَذُ سَيِّئاتُ مُحِبِّيكُمْ فَتَرَدُّ عَلَىٰ مُبْغِضِيكُمْ ؟

قَالَ : إِي وَآللَهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَالِقُ الْحَبَّةِ وَ بَارِئُ النَّسْمَةِ وَ فَاطِرُ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ ؛ مَا أَخْبَرْتُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَ مَا أَنْبَئْتُكَ إِلَّا الصِّدْقَ ، وَ مَا ظَلَمَهُمْ آللَهِ ، وَ مَا آللَهُ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ ، وَ أَنَّ مَا أَخْبَرْتُكَ لَمَوْجُودٌ فِي الْقُرآنِ كُلِّهُ .

قُلْتُ : هَذا بِعَيْنِهِ يُوجَدُ فِي الْقُرآنِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، يُوجَدُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلاثِينَ مَوضِعاً فِي الْقُرآنِ .[1]

مصائب المؤمن في الدنيا كفّارة ذنوبه ، و لذّات الكافر فيها أجر حسناته

ورد في أخبار كثيرة أنّ المؤمن الذي يخلو قلبه من الغلّ والغش و الإنكار ، و الذي لا يتظاهر الرياء ، و لا يجحد الحقّ إذا وعاه في أيّ أمر كان ، و يقوم بفعل ما يتمكّن عليه من الخير ، إذا ما بدر منه غفلة أو ذنب ، فإنّ الله يؤدّبه عليه في الدنيا ببعض المحن الدنيويّة كالمرض و الدَّين و الفقر و أمثالها ، فيُزيل عنه الذنب و يُبرأه منه ، و هكذا فإنّ أيّ حمّى تصيب المؤمن ليست إلّا كفّارة ذنوبه . فماذا تعني كفّارة الذنب ؟ إنّها تعني تساقط و تهاوي ذلك الدَّنس الظاهريّ .

كما أنّ الكافر حين يلتذّ بأيّ لذّة في الدنيا فليست إلّا جزاء أعماله الحسنة التي فعلها ، لأنّ الكافر لا يفعل شيئاً لله ، بل هو لا يعرف الله ولا يُدرك معنى التقوى و التقرّب ، و ليست الأعمال الحسنة التي تصدر منه إلّا من أجل النوايا و المقاصد الدنيويّة . لذا فإنّ الله سبحانه يؤجره عليها بأجر دنيويّ تبعاً لتلك النوايا و الأهداف ، و ذلك بإعطاء المال و الجاه و أنواع النِعَم التي يعطيه إيّاها جزاء عمله و مقابل حسناته .

لذا يموت هذا الكافر حين يموت و ليست لديه حسنة ؛ فأيّ عمل سيتقاضى أجره من ربّه يا ترى ؟ لقد عمل العمل الحسن في الدنيا للمقاصد

١ـ «علل الشرايع» ، الباب ٣٨٥ ، نوادر العلل ، الرواية ٨١ ، طبع المطبعة الحيدريّة في النجف سنة ١٣٨٥ ، ص ٦٠٦ ـ ٦١٠ ، و سند الرواية هو : الصدوق عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمّد بن أحمد ، عن أحمد بن محمّد بن السياريّ ، عن محمّد بن عبدالله بن مهران الكوفيّ ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق إبراهيم الليثيّ ، عن الإمام الباقر عليه السلام .

الدنيويّة ثمّ نال القصد و النتيجة الدنيويّة .

أمّا السيّئة و الذنب الذي يـرتكبه المـؤمن فـهو خـارج عـن حـدود وجوده ، و منفصل عن إيمانه و هدفه السامي ، لذا يبتلي الله سبحانه ذلك المؤمن باتبلاءات من أجل محو ذلك الذنب ، فتصبح تلك الابتلاءات سبباً لتيقّظه و انتباهه ، و هو معنى الكفّارة و محو الذنب .

و هكذا فإنّ المؤمن يموت فيتحرّك ـ باعتباره صاحب هـدف سامٍ و التزام و مسؤولية أمام الأمر الإلهيّ ـ إلى ذلك المكان السامي ، فقد جوزي على ذنبه الذي ارتكبه في هذه الدنيا ، و تحمّل عقاباً بأنواع الابتلاءات بما يتناسب مع ذلك الذنب ، فإنّه يحلّق إلى عالم القدس بريئاً طاهراً منزّهاً .

ظهور الشيطان للمؤمن عند الموت و يأسه منه

ورد كثيراً في الروايات أنّ المؤمن حين يريد الرحيل عن الدنيا فإنّ الشيطان يأتي إليه فيحاول بمختلف الوسائل و الوعود و الآمال أن يزلزله و أن يُصادر منه إيمانه ، إلّا أنّ المؤمن الحقيقيّ يشخّصه جيداً فـلا يـقبل بوعوده و لا ينخدع بها أبداً .

يروي الكلينيّ في كتاب «الكافي» ، عن عليّ بن محمّد بن بندار ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمّد بن عليّ ، عن عبدالرحمن بن أبي هاشم ، عن أبي خديجة ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ إلَّا وَكَّلَ بِهِ إبْلِيسُ مِنْ شَيْطَانِهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْكُفْرِ وَ يُشَكِّكَهُ فِي دِينِه حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَفْسُهُ ، فَمَنْ كَانَ مُؤمِناً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَإذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَلَقِّنُوهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَـهَ إلَّا ٱللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيه وَ آلِهِ حَتَّىٰ يَمُوتَ .[1]

١ـ «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، باب تلقين الميّت ، الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ⇦

و من الواضح أنّ الشيطان يوسوس في باطن الإنسان و يتحكّم فيه عن طريق قوّة الخيال ، فيجلّي له مناظر خلّابة جميلة ، و يذكّره بسلسلة نوايا و خواطر نفسانيّة ، لينصرف الإنسان عن محبّة لقاء الله و يغفل عن الدرجات و المقامات العلويّة و عن رضوان الله تعالى ، و ليتعلّق قلبه من جديد بالدنيا و زينتها ، فينفصم ميثاق ضميره مع الأُمور الأبديّة والموجودات المجرّدة الروحانيّة ، مثل الله و رسوله و الأئمّة خلفائه صلوات الله عليهم أجمعين ، و ينعطف قلبه نحو أُمور الغرور و زخرف الدنيا و الآمال السابقة ، ثمّ يقضي نحبه في هذه الحال التي التفت فيها إلى الدنيا و أقبل عليها .

أمّا المؤمن الذي أوكل قلبه إلى الأبديّة ، و صار عاشقاً للقاء المحبوب ، مولّهاً بمقام جماله و التطلّع إلى مظاهر الرحمة من النفوس القدسيّة الإلٰهيّة و الأرواح الطيّبة للمولّهين به ، فأنّى له الالتفات إلى هذه الوساوس ! فهو حين يرى جميع هذه المناظر الخدّاعة و وساوس الشيطان يرى أنّها أحبولة خداع و شبكة صيد ، فينظر إليها نظرة احتقار و نفور ، و لا يعطف باطنه إليها أبداً ، بل هو بكلّه في انتظار أمر الدخول و التحليق في سماء التوحيد المطلق و السير في أسماء و صفات الربّ الودود ، و في تلك الحال التي يلتفت فيها بقلبه إلى تلك الأجواء فإنّ روحه تخلد في عالم الخُلد .

و بناءً على هذا الأمر فقد قال الصادق عليه السلام : **إذَا حَضَرْتُمْ**

⇦ ص ١٢٣ ، و الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٣٤ . ولكن حسب نقل «وسائل الشيعة» ج ٢ ص ٦٦٣ عن «الكافي» فقد ذكر بدل عبارة «شيطانه أن يأمره» عبارة «شياطينه مَن يأمره» ، وربّما كان هذا اللفظ أقرب للصواب .

مَوْتَاكُمْ فَلَقِّنُوهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ آللهِ صلّى الله عليه و آله حَتَّى يَمُوتُ . و ذلك لتقوية الميّت في هذا الجانب ولكسر صولة الشيطان .

و ينبغي أن لا يدخل في غرفة المحتضر جُنب ، و أن يدخلها المرء على و ضوء ، و أن يُقرأ القرآن ، و أن يقرأ فيها سورتي «ياسين» و«الصافّات» و دعاء «العديلة» ، و أن تعطّر الغرفة لأنّها محلّ نزول الملائكة الذين يستأنسون برائحة العطر ، عكس الشياطين التي تهرب من العطر و من القرآن و من ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» .

و بالطبع فإنّ مجيء الشيطان و وسوسته هو للامتحان الذي يميّز المطهّرين عن الملوّثين المدنّسين ، و يميّز الإيمان المستقرّ الثابت عن الإيمان المستودع المُعار ، و يجعل الكلم الطيّب يرفع إلى الخالق جلّ و علا .

تقول الآية ١٦ من سورة الحشر :

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ .

إنّ الشياطين الذين خلقهم الله سبحانه هم محكّ لتمييز المدنّس من المطهّر ، لذا فإنّهم لم يُخلقوا عبثاً ، بل خلقهم الله تعالى لمصلحة معيّنة ، فالشيطان هو الموجود الذي يميّز الخبيث عن الطيّب .

إنّ جميع الناس ، سعيدهم و شقيّهم ، يريدون الذهاب إلى الله تعالى والاستقرار في مقام الأمن ، الفاسق منهم و العادل ، المؤمن و الكافر ، الصائن لحقوق الناس و القائم بها و المتعدّي و المتجاسر عليها ؛ و هم جميعاً يرغبون في السكن في مقام الصدّيقين ، فيأتي الشيطان و يمتحن الناس بمحكّه الخاصّ فيميّز الأشقياء عن السعداء . فالذين هم أهل الله لن

يستجيبوا له و لن يُخدعوا به مهما دعاهم إلى الأباطيل ، أمّا الذين لم يتعمّق الإيمان فيهم و ظلّ سطحيّاً تقليديّاً ، فسرعان ما يرتدّون ، و سرعان ما يجد خداع إبليس الطافح بالمكر و التلبيس منفذاً إلى قلوبهم .

لذا فإنّ الشيطان مأمور من جانب الله و مكلّف بوظيفته و واجبه ، تماماً كمثل تلك الشرارة التي تحلّل الماء و تجزّأه إلى قسمين و مادّتين .

كما أنّ الشيطان يضحك بعد قيامه بواجبه و خداعه للناس ذوي المذهب القشريّ السطحيّ ، فيقول : لقد أوقعتُكم في حبائلي جيّداً وأظهرتُ باطنكم و نشرتُ على الملأ تدنّسكم و عفونتكم المغطّاة المستترة . و هو معنى الآية الكريمة السابقة .

إنّ الشيطان لا يظهر للإنسان اشمئزازه و نفوره في الوهلة الأُولى ، لأنّ الإنسان لا ينخدع به حينئذٍ ، بل يقوم بإراءة الإنسان باب روضة غنّاء يانعة ، و بإظهار الأخلاق و الفضائل و المعنويّات و طهارة الفكر و العدالة وعبوديّة الله كأمرٍ تافه غير ذي بال ، و حين يخدع الإنسان فإنّه يقول له آنذاك : أيُّها العبد الطائش ، أيُّها الفرد الخالي من الالتزام و المسؤوليّة ، أيُّها الإنسان المجرّد من الوجدان و الهابط عن مرتبة الإنسانيّة ، لقد كنتَ إنساناً لك مقام الإنسانيّة و شرفها ، فانخدعتَ بخداعي أنا الشيطان و كفرتَ بربّك الرحيم و الحيّ العليم القدير الذي أوجدك من العدم و ربّاك بيده الحانية ، و تخيلتَ الموجودات الوهميّة و الاعتباريّة إلٰهك ، و وضعتَ محور أصالتك بناءً عليها ، فاذهب فإنّ مكانك في الجحيم مأوى الكافرين ؛ لكن **اَلْمُؤمِنُ كَالْجَبَلِ الرَّاسِخِ لَا تُحَرِّكُهُ الْعَوَاصِفُ** .

يروي في «تفسير العيّاشي» عن صفوان بن مهران ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَأتِي الرَّجُلَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا (فَيَأْتِيهِ) عِنْدَ مَوْتِهِ ، يَأْتِيهِ عَنْ

يَمينِهِ وَ عَنْ يَسَارِهِ لِيَصُدَّهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ؛ فَيَأبَى اللهُ لَهُ ذَلِكَ وَ كَذَلِكَ قَالَ اللهُ «يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِـالْقَوْلِ ٱلثَّـابِتِ فِـى ٱلْـحَيَوٰةِ ٱلدُّنْـيَا وَ فِـى ٱلْأَخِرَةِ» .[1]

و القول الثابت هو التوحيد و الولاية ، يثبت الله الذين آمنوا بهذا القول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة .

و مراد الإمام من قوله «عَنْ يَمِينِهِ» الجوانب الإيمانيّة و المعنويّة ، و «عَنْ يَسَارِهِ» الجوانب المادّية و الدنيويّة ؛ أي أنّ الشيطان يرد من كلا الجانبين فيوسوس للإنسان من طريق الله و من طريق المادّة . و بناءً على هذا القول فهو حين يقول :

ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَـلْفِهِمْ وَ عَـنْ أَيْـمَـٰنِهِمْ وَ عَـن شَمَآئِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ .[2] فإنّ المراد أيضاً من جانب اليمين و جانب الشمال سيكون هذا المعنى .

إنّ الذين آمنوا و استقرّ في وجودهم التوحيد العمليّ ، أي الولاية ، فإنّ الله و رسوله و الأئمّة سيكونون حافظيهم و صائنيهم ، لذا فإنّ على الإنسان أن يكون دوماً على ثقة و أمل و رجاء ، فلا لليأس إلى نفسه سبيلاً ، و إذا ما بدر منه ذنب أحياناً غسله و طهّره بالتوبة و لم يترك ذلك الذنب يسري إلى باطنه ، و إذا ما خالف لله أمراً تدارك عصيانه سريعاً ، و إذا ما آذى أحداً أسرع بالاعتذار إليه ، و إن أخذ مالاً لأحد أعاده إليه سريعاً ، أو أجحف في حقّ أحد تدارك ذلك بلا تأخير ، و هكذا في كلّ زلل يصدر منه فإنّه يتلافاه و يصلحه ، و لا يدع الذنوب تتراكم على بعضها فتنفذ من

١ـ «تفسير العيّاشيّ» ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ، طبع المطبعة العلميّة ، قم .

٢ـ الآية ١٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الظاهر إلى الباطن فتدنّسه و تلوّثه ، إذ سيعسر عند ذلك الأمر و يصعب .

يروي المرحوم الشيخ المفيد في «المجالس» ، و الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» ، و عليّ بن عيسى الأربليّ في «كشف الغمّة» ، و أبوجعفر محمّد ابن أبي القاسم الطبريّ في كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» رواية باختلاف يسير في اللفظ ، و نورد هنا عين عبارة «مجالس المفيد» و نشير في الهامش إلى مواضع الاختلاف :

يروي الشيخ المفيد عن أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الزبير ، عن محمّد بن عليّ بن مهدي ، عن محمّد بن عليّ بن عمرو ،[1] عن أبيه ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابليّ ، عن الأصبغ بن نباته أنّه قال :

دَخَلَ الْحَارِثُ الْهَمْدَانِيُّ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفَرٍ مِنَ الشِّيعَةِ وَ كُنْتُ فِيهِمْ ، فَجَعَلَ الْحَارِثُ يَتَئِدُّ[2] فِي مَشْيَتِهِ وَ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بِمِحْجَنِهِ وَ كَانَ مَرِيضاً .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وَ كَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ ـ فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا حَارِثُ ؟

فَقَالَ : نَالَ الدَّهْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ مِنِّي ، وَ زَادَنِي أَوَاراً[3] وَ غَلِيلاً

١ـ ورد في نسخة «بحارالأنوار» ، المجلّد السادس ، ص ١٧٨ ، و نسخة «بشارة المطصفى» و نسخة «أمالي الطوسيّ» بلفظ «عن أبيه عن جميل بن صالح» ؛ إلّا أنّه أورده في «مجالس المفيد» بلفظ «عن أبي جميل بن صالح» بدلاً من «عن أبيه» .

٢ـ ورد في نسخة المجلسيّ نقلاً عن «أمالي المفيد» : «يتّئدُ في مشيته» ؛ و في نسخة «أمالي الشيخ المفيد» بنقل المجلسيّ «يتأوّد» ، و في نسخة عندنا بلفظ «يتأوّذ» و في نسخة «بشارة المصطفى» بلفظ «يتلوّذ» ، و في نسخة «أمالي المفيد» الموجودة في «كشف الغمّة» بلفظ «يتأوّد» .

٣ـ ورد في نسخة المجلسيّ حيث يروي عن «أمالي الشيخ الطوسيّ» و في نسخة ⇦

اِخْتِصَامُ أَصْحَابِكَ بِبَابِكَ .

قَالَ : وَ فِيمَ خُصُومَتُهُم ؟

قَالَ : فِيكَ وَ فِي الثَّلاثَة[1] الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ؛ فَمِنْ مُفْرِطٍ مِنْهُمْ غَالٍ وَمُقْتَصِدٍ[2] قالٍ وَ مِنْ مُتَرَدِّدٍ مُرْتَابٍ لَا يَدْرِي أَيُقْدِمُ أَمْ يُحْجِمُ .

فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا أَخَا هَمْدَانَ ؛ أَلَا إِنَّ خَيْرَ شِيعَتِي النَّمَطُ الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي .

فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ : لَوْ كَشَفْتَ فِدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي الرَّيْنَ عَنْ قُلُوبِنَا وَجَعَلْتَنَا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْكَ[3] فَإِنَّكَ امْرُءٌ مَلْبُوسٌ عَلَيْكَ ؛ إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ . فَاعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ[4].

⇦ «أمالي المفيد» و نسخة «كشف الغمّة» بلفظ «أواراً و غليلاً» ؛ و في نسخة «البحار» نقلاً عن «أمالي المفيد» بلفظ «أوباً غليلاً» ؛ و في نسخة «أمالي الشيخ» بلفظ «أوراً غليلاً» ؛ و في نسخة «بشارة المصطفى» بلفظ «غليلاً» فقط .

١ـ يقصد أبابكر و عمر و عثمان .

٢ـ ورد في «أمالي الشيخ الطوسيّ» بنفس اللفظ ، أمّا في «بشارة المصطفى» فقد ورد بلفظ «مقتصد والٍ» ؛ و في «كشف الغمّة» بلفظ «مُبغضٍ قالٍ» ؛ و في «بحار الأنوار» نقلاً عن «مجالس المفيد» بلفظ «و مُقتَصِدٍ تالٍ» .

٣ـ ورد في جميع النسخ بلفظ «قدك» إلّا في «بشارة المصطفى» فقد جاء بلفظ «فذاك» .

٤ـ يقول في كتاب «سيرى در نهج البلاغة» (تُرجم باسم : في ظِلال نهج البلاغة) ما ترجمته :

ينقل «طه حسين» الأديب و الكاتب المصريّ الشهير المعاصر في كتاب «عليّ و بنوه» خبر الرجل الذي تردّد يوم الجَمَل في أمر عليّ عليه السلام ، فكان يقول في نفسه : كيف يمكن أن يكون مثل طلحة و الزبير على خطأ ؟ ثمّ شكا شكّه ذلك إلى عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام و سأله منه : أيمكن أن تجتمع على باطل شخصيّات عظيمة لم يصدر منها خطأ قبلاً ؟ ⇦

يَا حَارِثُ ؟ إنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَالصَّادِعُ بِهِ مُجَاهِدٌ ، وَ

⇦ فالتفت إليه عليّ عليه السلام و قال له : **إنّكَ لَمَلْبُوسٌ عَلَيْكَ . إنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَا يُعْرَفَانِ بِأقْدَارِ الرِّجَالِ . إعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ . وَ اعْرِفِ الْبَاطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ .**

ثُمّ يقول (طه حسين) بعد نقله هذه الكلمات : ما أعرف جواباً أروع من هذا الجواب بعد أن سكت الوصيّ و انقطع خبر السماء . انتهى .

و ينبغي العلم أنّ مطلب الدكتور طه حسين الذي نقله المؤلّف المحترم لكتاب «سيرى در نهج البلاغة» ليس في شأن الحارث بن الأعور الهمدانيّ الذي نقلنا هنا تفصيل كلامه مع أميرالمؤمنين عليه السلام ، بل يعود إلى الحارث بن حوت الذى كان يتحدّث مع أميرالمؤمنين في شأن أصحاب الجمل . و قد أورد السيّد الرضيّ في «نهج البلاغة» ، باب الحِكَم ، ص ١٩٩ ، طبع مصر شرح محمّد عبده :

و قيل إنّ الحارث بن حوت أتاه فقال : أتراني أظنُّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة ؟ فقال عليه السلام : يا حارث إنّك نظرتَ تحتك و لم تنظر فوقك فَحِرْتَ . إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله ، و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه ؛ فقال الحارث : فإنّي اعتزل مع سعيد بن مالك و عبدالله بن عمر ؛ فقال عليه السلام : إنّ سعيداً و عبدالله بن عمر لم ينصرا الحقّ و لم يخذلا الباطل .

و ينقل في «تفسير العيّاشيّ» ، ج ١ ، ص ١٣٦ رواية شيّقة في هذا الشأن عن الأصبغ بن نباتة ، ذيل الآية «تلك الرُّسل فَضَّلنا بعضهم على بعضٍ» : قال الأصبغ : كنتُ واقفاً مع أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل ، فجاء رجل حتّى وقف بين يديه ، فقال : يا أميرالمؤمنين كبّر القومُ و كبّرنا ، و هلّل القومُ و هلّلنا ، و صلّى القومُ وصلّينا ، فعلامَ نقاتلهم ؟ فقال : على هذه الآية :

تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم مَن كلّمَ اللّهُ ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات و أيّدناه بروح القُدُس . و لو شاءالله ما اقتتل الذين من بعدهم (فنحنُ الذين مِن بعدهم) مِن بعدِ ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم مَن آمن و منهم من كفر و لو شاءالله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد .

«فنحنُ الذين آمنّا و هم الذين كفروا» . فقال الرجل : كفر القومُ و ربِّ الكعبة ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتل رحمه الله . و هذه الآية هي الآية ٢٥٣ من سورة البقرة فلاحظْ و تأمّلْ !

بِالْحَقِّ أُخْبِرُكَ فَأَرْعِنِي[1] سَمْعَكَ ، ثُمَّ خَبِّرْ بِهِ مَنْ كَانَ لَهُ حَصَافَةٌ[2] مِنْ أَصْحَابِكَ .

أَلَا إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ صِدِّيقُهُ الْأَوَّلُ (الأكبر خ ل) ، صَدَّقْتُهُ وَ آدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ؛ ثُمَّ إِنِّي صِدِّيقُهُ الْأَوَّلُ فِي أُمَّتِكُمْ حَقّاً .

فَنَحْنُ الْأَوَّلُونَ وَ نَحْنُ الْآخِرُونَ ، وَ نَحْنُ خَاصَّتُهُ يَا حَارِثُ وَخَالِصَتُهُ .

وَ أَنَا صَفْوُهُ وَ وَصِيُّهُ وَ وَلِيُّهُ وَ صَاحِبُ نَجْوَاهُ وَ سِرِّهِ ؛ أُوتِيتُ فَهْمَ الْكِتَابِ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ وَ عِلْمَ الْقُرونِ وَالْأَسْبَابِ وَاسْتُودِعْتُ أَلْفَ مِفْتَاحٍ يَفْتَحُ كُلُّ مِفْتَاحٍ أَلْفَ بَابٍ يُفْضِي كُلُّ بَابٍ إِلَىٰ أَلْفِ أَلْفِ عَهْدٍ .

وَ أُيِّدْتُ[3] وَاتُّخِذْتُ وَ أُمْدِدْتُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ نَفْلاً ؛ وَ أَنَّ ذَٰلِكَ يَجْرِي لِي وَ لِمَنِ اسْتُحْفِظَ[4] مِنْ ذُرِّيَّتِي مَا جَرَىٰ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ ، حَتَّىٰ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا .

وَ أُبَشِّرُكَ يَا حَارِثُ ! لَتَعْرِفُنِّي[5] عِنْدَ الْمَمَاتِ وَ عِنْدَ الصِّرَاطِ وَ عِنْدَ

١ـ وردت في جميع النسخ بلفظ «فارعني» ، إلّا في نسخة «بشارة المصطفى» فقد جاءت بلفظ «فأعرني» .

٢ـ في «أمالي المفيد» و «بشارة المصطفى» بلفظ «حَصَافَةٌ» ؛ و في «أمالي الشيخ» و في نسخة «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالي المفيد» بلفظ «حَصَانَةٌ» ؛ و في «كشف الغمّة» بلفظ «حصاة.»*

* يُقال : امروٌ ذو حصاة أي ذو عقلٍ و لبّ . (م)

٣ـ وردت في «مجالس المفيد» و محكيّ «البحار» عنه بلفظ «وَ أُيِّدْتُ وَاتُّخِذْتُ و أُمْدِدْتُ» إلّا أنّها وردت في «أَمالي الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ : «وَ أُيِّدْتُ أو قال أُمْدِدْتُ» .

٤ـ في «أمالي المفيد» و «أمالي الشيخ» و «كشف الغمّة» بلفظ «من استُحفظ» ؛ و في «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالي المفيد» بلفظ «لمن تحفظ» ؛ و في «بشارة المصطفى» بلفظ «والمتحفّظين» .

٥ـ في نسخة «أمالي المفيد» و «بشارة المصطفى» و حكاية «بحار الأنوار» عنه بلفظ ⇦

الْحَوْضِ وَ عِنْدَ الْمُقَاسَمَةِ .

قَالَ الْحَارِثُ : وَ مَا الْمُقَاسَمَةُ ؟

قَالَ : مُقَاسَمَةُ النَّارِ ؛ أُقَاسِمُهَا قِسْمَةً صَحِيحَةً[1] أَقُولُ : هَذَا وَلِيِّي فَاتْرُكِيهِ ، وَ هَذَا عَدُوِّي فَخُذِيهِ .

ثُمَّ أَخَذَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِ الْحَارِثِ فَقَالَ : يَا حَارِثُ ! أَخَذْتُ بِيَدِكَ كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عليه و آلهِ بِيَدِي ؛ فَقَالَ لِي وَقَدْ شَكَوْتُ[2] إلَيهِ حَسَدَ قُرَيْشٍ وَالْمُنَافِقِينَ لِي : إنَّهُ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَخَذْتُ بِحَبْلِ اللَهِ وَ بِحُجْزَتِهِ ـ يَعْنِي عِصْمَتِهِ مِن ذِي الْعَرْشِ تَعَالَىٰ ـ وَأَخَذْتَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ بِحُجْزَتِي ؛ وَ أَخَذَ ذُرِّيَّتُكَ بِحُجْزَتِكَ وَ أَخَذَ شِيعَتُكُمْ بِحُجْزَتِكُم .[3]

فَمَاذَا يَصْنَعُ اللَهُ بِنَبِيِّهِ ، وَ مَا[ذَا] يَصْنَعُ نَبِيُّهُ بِوَصِيهِ ؟[4]

⇦«لتعرفني» ؛ أمّا في نسخة «أمالي الشيخ» و «كشف الغمّة» فقد وردت بلفظ «ليعرفني ـ والذي فلق الحبّة و برئ النّسمة ـ و ليّي و عدوّي في مواطن شتّى ؛ ليعرفني عند الممات و عند الصراط و عند المقاسمة» .

١ـ في نسخة «أمالي المفيد» و محكيّ «البحار» عنه بلفظ «قسمة صحيحة» ؛ و في «أمالي الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ «قسمةً صحاحاً» .

٢ـ في «أمالي المفيد» و محكيّ «البحار» عنه بلفظ «و قد شكوتُ إليه حسد قريش» ؛ و في «أمالي الشيخ» و «كشف الغمّة» و «بشارة المصطفى» بلفظ «واشتكيتُ إليه حسدة قريش» .

٣ـ في «مجالس المفيد» و «أمالي الشيخ الطوسيّ» و «بشارة المصطفى» بلفظ «بِحُجزَتِكُم» ؛ و في «كشف الغمّة» و «بحار الأنوار» نقلاً عن «أمالي المفيد» بلفظ الجمع «بحجزكم» .

٤ـ أورد في «كشف الغمّة» بعد هذه الفقرة (و ما يصنع وصيّه بأهل بيته و ما يصنع أهل بيته بشيعتهم) .

خُذْهَا إِلَيْكَ يَا حَارِثُ قَصِيرَةً مِنْ طَوِيلَةٍ ؛ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكَ مَا اكْتَسَبْتَ ؛[1] يَقُولُهَا ثَلَاثاً.[2]

۱ـ أوردها في «كشف الغمّة» بلفظ «و لَكَ ما احتسبتَ ـ أو قال ما اكتسبت» .

۲ـ و ما أجمل ما نظم الشعراء الناطقين بالفارسيّة هذا المقطع من كلام المولى ، كما في «أمثال و حكم» دهخدا ، ص ۱۹۲۵ ، الذي أورده في المجلّد الرابع عن بابا أفضل :

تــا در طــلب گــوهر کــانی کــانی تا زنده به بـوی وصـل جـانی جـانی

فی الجمله حدیث مطلق از من بشنو هــر چــیز کــه در جستن آنـی آنـی

«يقول : ما دُمتَ في طلب معدن الجوهر فأنت جوهر ، و ما دُمتَ تعيش برائحة وصل الحبيب فأنت حبيب»

«فاسمع منّي حديثاً عامّاً مُجملاً : كلّ شيء تبحث عنه هو أنت.»

و نقل عن كمال إسماعيل :

آدمی بـر حسب خـود هـمّت خـویش افـزاید

هــر چــه انـدیشه در آن بـندد چـندان گـردد

«يقول : إنّ البشر يرقى في همّته حسب قدر نفسه ؛ فكلّما تعلّق الفكر في شيء صار مثله.»

و أورد عن المولويّ :

میل تو با چیست ببین بی شک آنـی بـیقین

بنگر خود را کـه چـه‌ای زاغـی یـا بـاز و هـما

«يقول : انظر في أيّ شيءٍ تنصبّ رغبتُك فأنتَ ذاك يقيناً ؛ فتطلّع لنفسك مـا أنت : غرابٌ أم صقرٍ أو طائر اليُمن.»

و أورد عن الأوحديّ :

هر چه ورزش کنی هـمانی تـو نـیکوئی ورز اگـر تـوانـی تـو

«يقول : أيّ شيء تمرّنت عليه كُنْتَهُ ، فتمرّن على الإحسان إن كنت تقدرُ.»

و أورد عن عين القضاة الهَمَدَانيّ :

جویای هر چه هستی می‌دان که عـین آنـی

هــــر چـــه در بـــند آنـی بـندهٔ آنـی

هــر چــه دلبــند تست خـداونـد تست

و هـــر چــه هــوای تــو خــدای تــو ⇦

فَقَامَ الْحَارِثُ يَجُرُّ رِدَاءَهُ[١] وَ هُوَ يَقُولُ : مَا أُبَالِي بَعْدَهَا مَتىٰ لَقِيتُ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَنِي .

أشعار الحِميَريّ في قول مولى الموالي إلى الحارث الهَمْدَانيّ

قال جميل بن صالح : و أنشدني أبوهاشم السيّد الحِميَريّ رحمه الله فيما تضمّنه هذا الخبر :

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ ثَمَّ أُعْجُوبَةً لَهُ حَمَلَا[٢]

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلاً

يَعْرِفُنِي طَرْفُهُ وَ أَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَاسْمِهِ وَ مَا عَمِلَا

وَ أَنْتَ عِنْدَ الصِّرَاطِ تَعْرِفُنِي فَلَا تَخَفْ عَثْرَةً وَ لَا زَلَلَا

أَسْقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظَمَأٍ تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ الْعَسَلَا

أَقُولُ لِلنَّارِ حِينَ تُوقَفُ[٣] لِلْعَرْضِ دَعِيهِ لَا تَقْرَبِي[٤] الرَّجُلَا

دَعِيهِ لَا تَقْرَبِيهِ إنَّ لَهُ حَبْلاً بِحَبْلِ الْوَصِيِّ مُتَّصِلاً[٥و٦]

⇦ «يقول : اعلم أنّك عين ما تبحث عنه ، و أنّك عبد ما يقيّدك.»
«و أنّ ما يتولّه قلبك به إلٰهك ، و أنّ ما تهواه و ترغب فيه معبودك.»

١ـ ورد في «كشف الغمّة» بلفظ «يجرّ رداءه جذلاً» .

٢ـ في «كشف الغمّة» و «ديوان الحميريّ» بلفظ «جملا» بالجيم المعجمة .

٣ـ في «كشف الغمّة» و «أمالي الشيخ» بلفظ «حين تُعرضُ للعرض» ؛ و في الباقي بلفظ «حين تُوقفُ» .

٤ـ في «أمالي المفيد» و نقل «البحار» عنه بلفظ «لا تقربي» ؛ و في «أمالي الشيخ» بلفظ «لا تقبلي» . كما ورد في بعض النسخ البديلة بلفظ «لا تقتلي» ؛ أمّا في «بشارة المصطفى» فقد وردت بهذا اللفظ : «أقولُ للنار حين توقف للعرض ـ على حرّها دعي الرجلا» . ثم أضاف بيتاً آخر .

٥ـ «مجالس المفيد» ، طبع النجف الأشرف ، ص ٢ ـ ٤ ؛ و «بحار الأنوار» كتاب العدل و المعاد بهذا السند عن المفيد ؛ و أورده في «بحارالأنوار» ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ⇦

يقول عليّ بن عيسى الأربليّ ، و هو أحد كبار علماء الشيعة ، في كتاب «كشف الغمّة في معرفة الأئمّة» : السيّد إسماعيل الحِمْيَريّ رحمه الله ، كان كيسانيّاً يقول برجعة أبي القاسم محمّد بن الحنفيّة ، فلمّا عرّفه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام الحقّ و القول بمذهب الإماميّة الاثنى عشريّة ترك ما كان عليه و رجع إلى الحقّ

⇐ ص ١٧٨ ـ ١٨٠ و في «كشف الغمّة» ، الطبعة الحجريّة ، ص ١٢٣ و ١٢٤. بدون ذكر السند . و أورده في «أمالي الطوسيّ» ، طبع النجف ، مطبعة النعمان سنة ١٣٨٤ هجريّة ، المجلّد الثاني ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ بهذا السند : أخبرنا جماعة عن أبي المفضّل ، عن محمّد بن عليّ بن مهديّ الكنديّ في الكوفة و غيره ، عن محمّد بن عليّ بن عمرو بن ظريف الحجريّ ، عن أبيه ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابليّ ، عن الأصبغ بن نباتة . و ذكره في كتاب «بشارة المصطفى» ، طبع المطبعة الحيدريّة في النجف سنة ١٣٨٣ هجريّة ، ص ٤ و ٥ بسند آخر ، قال : أخبرنا الشيخ أبوالبقاء إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم الرقا البصريّ بقراءتي عليه في مشهد مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المحرّم سنة ستّ عشرة و خمسمائة قال : حدّثنا الشيخ أبوطالب محمّد بن الحسين بن عتبة في ربيع الأوّل سنة ثلاث و ستّين و أربعمائة بالبصرة في مسجد النخّاسين على صاحبه السلام ، قال : حدّثنا الشيخ أبوالحسن محمّد بن الحسن بن الحسين بن أحمد الفقيه ، قال : حدّثنا حمويه أبوعبدالله بن عليّ بن حمويه ، قال : أخبرنا محمّد بن عبدالله بن المطّلب الشيبانيّ ، قال : حدّثنا محمّد بن عليّ بن مهدي الكنديّ ، قال : حدّثنا محمّد بن علي بن عمر بن ظريف الحجريّ ، قال : حدّثني أبي ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابليّ ، عن الأصبغ بن نباتة .

⇐ ٦ـ أورد في «بشارة المصطفى» بيتاً آخر :

هـذا لنـا شـيعة و شـيعتنا   أعـطاني آللّـهُ فـيهم الأمَلَا

و قد وردت هذه الأبيات مع هذا البيت الأخير في «ديوان الحميريّ» ص ٣٢٧ و ٣٢٨ . و قال جامع الديوان : إنّها منقولة في «أعيان الشيعة» ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ؛ و «كشف الغمّة» ، ص ١٢٤ ؛ و «المناقب» ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ؛ و «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد» ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

و قال به .[1] و شعره (رحمه الله) في مذهبه السابق و الدفاع عنه معروف و كذلك الشعر الذي أنشده بعد عدوله إلى المذهب الحقّ مشهور لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره . و كان نظّاماً للوقايع مُجيداً ، و هو كثير الشعر ، و لا يوجد من شعره إلّا القليل . و روي أنّه وُجد حمّال و هو يمشي بحملٍ ثقيل ، فقيل : ما معك ؟ قال : **ميميّات السيّد** .[2و3]

و غلب هذا الاسم عليه ، فلم يكن علويّاً فإنّه بطريق تسميته السيّد يتوهّم ذلك و على ذكره .

حدّث الحسين بن عون قال : دخلتُ على السيّد بن محمّد الحِميريّ عايداً في علّته التي مات فيها ، فوجدتُه يساق به ، و وجدتُ عنده جماعة من جيرانه و كانوا عثمانيّة ، و كان السيّد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفين ، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ، ثمّ لم تزل تنمى و تزيد حتّى طبقت وجهه بسوادها ، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة و ظهر من النّاصبة و العثمانيّة سرور و شماتة ؛ فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء ، فلم تزل تزيد أيضاً و تنمى حتّى ابيضّ وجهه و أشرق و افتر السيّد ضاحكاً و قال :

أشعار الحميريّ عند موته

كَذَبَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ عَلِيّاً لَنْ يُنَجِّي مُحِبَّهُ مِنْ هَنَاتِ

١ـ يقول ابن شهرآشوب في «معالم العلماء» في باب بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام ص ١٣٤ :كان السيّد في ابتداء أمره خارجيّاً ، ثمّ صار من الكيسانيّة ، ثمّ من الإماميّة .

٢ـ نقل هذه الحكاية في «معالم العلماء» ص ١٣٥ ، عن ابن المعتزّ في كتاب «طبقات الشعراء» .

٣ـ الأشعار التي أنشأها السيّد بحرف الميم ، (القافية) .

قَدْ وَ رَبِّي دَخَلْتُ جَنَّةَ عَـدْنٍ وَ عَفَا لِي الإلَـهُ عَنْ سَـيِّئاتِي
فَـابْشِرُوا الْـيَومَ أَوْلِـيَاءَ عَـلِيٍّ وَ تَوَلَّوا عَلِيَّ حَتَّى الْـمَمَاتِ[1]
ثُـمَّ مِـنْ بَـعْدِهِ تَـوَلَّوْا بَـنِيهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِـدٍ بِـالصِّفَاتِ

ثمّ أتبع قوله هذا : **أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا ٱللَّهُ حَقّاً حَقّاً ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللَهِ حَقّاً حَقّاً ؛ أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُالْمُؤمِنِينَ حَقّاً حَقّاً ، أَشْهَدُ أَن لَا إلَهَ إلّا ٱللَّهُ .**

ثمّ أغمض عينه لنفسه ، فكأنّما كانت روحه ذبالة طفيت أو حصاة سقطت .

قال عليّ بن الحسين : قال لي أبي الحسين بن عون : وكان أُذينة حاضراً فقال : الله أكبر ما مَن شهدكمن لا يشهد ، أخبرني ـ و إلّا صُمّتا ـ الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر و جعفر الصادق عليهما السلام أنّهما قالا :

حَرَامٌ عَلَىٰ رُوحٍ أَنْ تُفَارِقَ جَسَدَهَا حَتَّىٰ تَرَىٰ الْخَمْسَةَ : مُحَمَّداً وَ عَلِيّاً وَ فَاطِمَةَ وَ حَسَناً وَ حُسَيْناً بِحَيْثُ تَقَرُّ عَيْنُهَا ، أَوْ تَسْخَنَ عَيْنُهَا ؛ فَانْتَشَرَ هَذا الْحَدِيثُ فِي النَّاسِ فَشَهِدَ جَنَازَتَهُ ـ وَٱللَهِ ـ الْمُوافِقُ وَالْمُفَارِقُ .[2]

و يروي المرحوم المجلسيّ عن «أمالي الطوسيّ» ، عن الشيخ المفيد ، عن محمّد بن عمران ، عن عبيدالله بن الحسن ، عن محمّد بن رشيد ، قال :

آخر شعرٍ قاله السيّد الحِميريّ قبل وفاته بساعة ، و ذلك أنّه أُغمي

١ـ أورده في «كشف الغمّة» بلفظ «و تولّوا عليّ...» ؛ لكنّ المجلسيّ ضبطها في «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ١٩٣ ، طبعة الآخوند ، روايةً عن «كشف الغمّة» بلفظ «و توالوا الوصيّ» .

٢ـ «كشف الغمّة» الطبعة الحجريّة ، ص ١٢٤ ؛ و نقله في «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد الحادي عشر ، ص ١٩٩ عن «أمالي الشيخ الطوسيّ» .

عليه و أسودّ لونه ، ثمّ أفاق و قد ابيضّ وجهُه و هو يقول :

أُحِبُّ الَّذِي مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ وُدِّهِ
تَلَقَّاهُ[1] بِالْبُشْرَىٰ لَدَىٰ الْمَوْتِ يَضْحَكُ

وَ مَنْ مَاتَ يَهْوَىٰ غَيْرَهُ مِنْ عَدُوِّهِ
فَلَيْسَ لَهُ إلَّا إلَىٰ النَّارِ مَسْلَكُ

أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَ أُسْرَتِي
وَ مَالِي وَ مَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَرْضِ أَمْلِكُ

أَبَا حَسَنٍ إنِّي بِفَضْلِكَ عَارِفٌ
وَ إنِّي بِحَبْلٍ مِنْ هَوَاكَ لَمُمْسِكُ

وَ أَنْتَ وَصِيُّ الْمُصْطَفَىٰ وَابْنُ عَمِّهِ
وَ إنَّا نُعَادِي مُبْغِضِيكَ وَ نَتْرُكُ

مُوَالِيكَ نَاجٍ مُؤمِنٌ بَيِّنُ الْهُدَىٰ
وَ قَالِيكَ مَعْرُوفُ الضَّلَالَةِ مُشْرِكُ

وَ لَاحٍ لَحَانِي فِي عَلِيٍّ وَ حِزْبِهِ
فَقُلْتُ لَحَاكَ اللَّهُ إنَّكَ أَعْفَكُ[2]

بلى ، قيل إنّ سبب اسوداد وجه الحِميريّ كان لشربه الخمر الذي كان يفعله في سالف الأيام . ينقل في «بحار الأنوار» عن «مناقب ابن شهرآشوب» قال : قال عبّاد بن صهيب : كنتُ عند جعفر بن محمّد ، فأتاه نعي السيّد ، فدعا له و ترحمّ عليه . فقال له رجل ، يا ابن رسول الله ، و هو

١ـ يمكن أن يكون فاعل «تلقّاه» و «يضحك» راجعاً إلى «الذي» ؛ أي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يتلقّاه ضاحكاً بالبشارة .

٢ـ «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد الحادي عشر ، ص ١٩٨ و ١٩٩ .

يشرب الخمر و يؤمن بالرّجعة ؟[1] فقال عليه السلام : حدّثني أبي عن جدّي أنّ محبّي آل محمّد لا يموتون إلّا تائبين ، و قد تابَ ، و رفعَ مصلّى كان تحته فأخرج كتاباً من السيّد يعرّفه أنّه قد تاب و يسأله الدُّعاء .[2]

و حين توفّى السيّد تجمّع الشيعة الكوفيّون الذين كانوا في بغداد بأجمعهم فشيّعوا جنازته ، و قيل إنّهم أهدوا إليه قبل وفاته سبعين كفناً ، فأنشد السيّد قصيدة و بعثها إليهم مع غلامه ، و طلب إليهم أن يتكفّلوا أمر تشييعه و تكفينه و دفنه ، و أن لا يُشارك في تشييع جنازته أعداء آل محمّد و الحكّام الظالمين و قضاتهم و عمّال دواوينهم . و مطلع تلك القصيدة :

يَـا أَهْـلَ كُـوفَانَ إنّـي رَامِـقٌ لَكُـمُ

مُذْ كُنتُ طِفْلاً إلَـىٰ السَّـبْعِينَ وَالْكِـبَرِ[3]

ولكن وفقاً لخبر نقله في «بحار الأنوار» عن «المـناقب» أنّ الإمـام الصادق عليه السلام أرسل له كفناً وحنوطاً في يـد غـلام نـوبيّ عـلى بـغلة شهباء ، فجاء بها إلى منزل السيّد و سلّمها لعثمان بن عمر الكوّاء و أخبره أنّ الإمام الصادق عليه السلام يأمره أن يضعها في جهاز السيّد .[4]

١ـ أي يقول برجعة محمّد بن الحنفيّة ؛ و إلّا فإنّ الاعتقاد برجعة الأئمّة المعصومين هو من الأصول المسلّمة لدى الشيعة .

٢ـ «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد ١١ ، ص ٢٠١ .

٣ـ مقدّمة «ديوان الحِميريّ» بقلم السيّد محمّد تقي الحكيم ، اقتباساً من كتابه «شاعر العقيدة» ، ص ٣٣ .

٤ـ «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلد ١١ ، ص ٢٠١ .



المجلس الحادي عشر

مميزات عالم الطبع وعالم المثال وعالم القيامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لا حول و لا قوّة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

و صلَّى ٱللَّهُ على محمّد و آله ٱلطَّاهرين

و لعنة ٱللَه على أعدائهم أجمعين من ٱلآن إلى قيام يوم الدين

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ، لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَ مِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ .[1]

يرحل الإنسانُ عن هذه الدنيا حين يرحل ، فيرد في عالم آخر يُدعى بالبرزخ ، فيُقيم هناك حتّى يُنفخ في الصُّور ، فيُنشر الناسُ من قبورهم آنذاك و يردون في عالم القيامة .

و البرزخ بمعنى الحاجز بين مائين أو أرضين أو بين شيئين آخرين ؛ و لأنّ العالم الذي يمكثُ فيه الإنسان بعد موته يمثّل الحاجز و الفاصل بين عالم الدنيا و القيامة ، فإنّهم لذلك يدعونه بعالم البرزخ .

و لابدّ ـ من أجل إلقاء الضوء على خصائص عالم البرزخ ـ أن يُصار إلى تقديم إيضاح أكثر في هذا المجال .

١ـ الآيتان ٩٩ و ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

إنّ هناك عالَمين موجودين بين هذا العالم ؛ أي عالم الجسم و الجسمانيّات الذي نقضي فيه حياتنا المادّيّة ؛ و بين عالم الأسماء والصفات الإلهيّة ، أحدهما عالم المثال الذي يُدعى أيضاً بعالم البرزخ ، و الآخر عالم النفس الذي يُدعى أيضاً بعالم القيامة .

و ما لم يعبر الإنسان من هذين العالمين و يجتازهما ، فإنّه لن يصل إلى مقام الأسماء و الصفات الإلهيّة ؛كما أنّه ما لم يمرّ من عالم البرزخ فإنّه لن يصل إلى عالم القيامة ، و ما لم يعبر من عالم النفس و القيامة فإنّه لن يصل إلى مقام الأسماء و الصفات الإلهيّة .

و المراد بالقيامة هنا القيامة الكبرى . و ذلك لأنّ لدينا قيامتين : إحداهما القيامة الصغرى ، و هي عبارة عن الموت و الورود في عالم البرزخ ، و إلى هذا الأصل يُشير قولُ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم :

مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ .

و الأُخرى القيامة الكبرى ، و هي عبارة عن الخروج من عالم البرزخ و المثال و الدخول في عالم النفس و القيامة . و حين يُنشر الناس فيخرجون من عالم القبر و يتّجهون إلى عالم ظهورات النفس الكلّيّة ، فإنّ قيامتهم الكبرى ستكون قد قامت .

و بينما يمتلك عالم المادّة الهيولائيّة و الطبع و الجسم والجسمانيّات ، فإنّ عالم النفس يمثّل التجرّد المطلق من المادّة و آثارها . و يبقى عالم البرزخ ممثّلاً للفاصل و الحاجز بين هَذين العالمين . و مع أنّه ليس بمادّة ، إلّا أنّ له آثار المادّة من الكيْف و الكمّ و الأيْن و غيرها .

إنّ المادّة جوهر يقبل التشكّل ، و يعرض عليه الجسم و تطرأ عليه آثار الجسم . و بواسطة قبول التشكّل و التجسّم فإنّ تلك الأعراض الانفعاليّة التي تظهر في الجسم ستظهر أيضاً في المادّة ، و ستصبح كهذه المادّة

الموجودة في العالم ، و التي ظهرت في صور مختلفة يراها الناس ،كالتراب و الصخور و الماء و الشجر و بدن الإنسان و بدن الحيوان و أمثال ذلك .

و مع أنّ الموجودات التي في عالم البرزخ لا مادّة لها ، إلّا أنّها تمتلك شكلاً و صورةً وحدّاً وكمّاً وكيفاً و أعراضاً فعليّة ، أي أنّ لها أبعاداً و حدوداً و لوناً و رائحةً .

و عليه فإنّ صور الأشخاص البرزخيّين ذات لونٍ و حدّ ،كما أنّ هناك فرح و مسرّة و غضب و قلق ، و هناك نور أيضاً . لذا فإنّ هذه الموجودات البرزخيّة تمتلك صوراً جسميّة إلّا أنّها بدون هيولى و بدون مادّة .

و من جهة أُخرى فإنّ عالم البرزخ يُدعى أيضاً بعالم الخيال . و يعني الخيال العالَم الذي تتواجد فيه الصور المحضة ، و العالم الخالي من المادّة ، مع أنّ الصور الموجودة هناك أقوى بمراتب من موجودات عالم المادّة و أعظم و أسرع حركة ، و أكثر إحساساً بالحزن و الغمّ و بالمسرّة و اللذّة ، و ذلك لأنّ المادّة تمثّل حاجباً يحجب الكثير من هذه الخصائص . و لأنّ عالم البرزخ مطلق من المادّة ، فإنّ هذه المعاني موجودة هناك على نحو الوفرة . و هناك عالم الخيال ، أي الخيال المنفصل ، لأن عالم الخيال المتّصل هو قوى الإنسان المتخيّلة المجاورة لبدنه الترابي و المقترنة به ، أمّا الخيال المنفصل فيمثّل تلك القوى حين تفارق البدن و تتّصل بعالم الصورة المحض ، و لذلك فإنّ جميع موجودات عالم البرزخ تدعى بالخيال المنفصل .

كما أنّ عالم البرزخ يُدعى أيضاً بالمثال المنفصل ، لأنّ المثال المتّصل هو ذلك البرزخ الموجود لدى الإنسان الترابي بين بدنه و طبعه و بين عالم نفسه ، و هو مجموعة قواه الذهنيّة . و حين يرحل الإنسان عن الدنيا ، فإنّ عالم ذهنه سيتّصل بعالم المثال الكلّيّ ، لذا فإنّهم يدعون هذا

بالمثال المتّصل ،كما يدعون ذاك بالمثال المنفصل . و جميع عالم البرزخ مثال منفصل . و اعلم أنّ عالم الخيال عالم واسع للغاية و أقوى بكثير من المادّة ، لا ما نتوهّمه ـ نحن الناطقون بالفارسيّة ـ من أنّ الخيال بمعنى الأمر الموهوم المتخيّل ، و هو توّهم خاطئ ورد على لغتنا .

و لذلك فإنّ بعض أهل الظاهر حين شاهدوا من الحكماء الأعلام أمثال هذه العبارات ـ مثل عالم الخيال ـ فقد تصوّروا أنّ أُولئكم يرفضون الاعتقاد بعالم البرزخ الذي هو عالم المثال ، و أنّهم يعتقدون بأنّه عالم وهميّ تصوّري ليس له حقيقة و واقع . و هو تصوّر خاطئ لا محلّ له ، و ناشئ من الجهل لمصطلحات الحكماء الأعلام .

إنّ عالم الخيال هو عالم البرزخ و المثال بعينه ، و موجوداته أقوى آلاف المرّات و أعجب و أهمّ أثراً من عالم الطبع و المادّة .

و نأتي بمثال لإيضاح هذا الأمر :

إنّ لدينا ـ أفراد البشر ـ بدناً ، و هذا البدن محدود و مشخّص و معيّن ، و لدينا قوى باطنيّة ،كالحسّ المشترك ، و قوّة الحافظة ، و القوّة المفكّرة ، و القوّة الواهمة ، و القوّة المتخيّلة . و باستخدام هذه القوى الباطنيّة فإنّنا نجترح الأعاجيب ، فيمكننا ـ مثلاً ـ أن نشيد في ذهننا و بزمن قصير جدّاً عمارة ذات أربعين طابقاً بكلّ تجهيزاتها و مستلزماتها . و يمكننا أن نتحوّل من شرق العالم إلى غربه في لحظة واحدة ، و أن نُنجز في زمن يسير أعمالاً يستلزم إنجازها المدّة المديدة .

فما أكبر النسبة بين هذه السعة التي يمتلكها ذهننا بقواه و بين بدننا و قواه الطبيعيّة ! فكذلك هي النسبة في السعة و العظمة بين عالم البرزخ و بين عالم الدنيا .

و باعتبار أنّ عالم اليوم يمثّل أُنموذجاً من البرزخ المنفصل (فالأحلام

التي يراها الإنسان في بعض الأوقات) و على الرغم من أنّ النوم أضعف بكثير من الموت ، و أنّ برزخ نوم الإنسان أضعف بكثير من برزخ موته ؛ فإنّ الإنسان يرى في هذه الأحلام موجودات أقوى و أعظم و أعجب ، ويشهد نشاطاتٍ و حركات و سُرَع أشدّ ، و يحسّ بلذّات و أفراح و هموم وغموم أكثر ،كما يتملّكه الخوف و الفزع بشكل أكبر . و إذا ما شاء الإنسان في هذه الدنيا أن يجتاز شارعاً ما ، فإنّ عليه أن ينظر بدقّة إلى هذه الجهة وتلك تلافياً لاصطدامه بسيّارة ، ثمّ يتحرّك بهدوء ليجتاز عرض الشارع . أمّا في عالم النوم و البرزخ فالأمر ليس كذلك ، لأنّك حين تشاء فإنّك تنهض على الفور فتحلّق و تسير في السماء و تعلو الغيوم في حركتك بلا ريش ولا جناح مادّي ، و تتفرّج على جميع العالم ثمّ تهبط و تنقضّ كالبرق الخاطف فتسبح في البحار و المحيطات فتجتازها و تطويها في لحظة واحدة !

إنّ عالم البرزخ أقوى و أعظم من هذا العالم بنفس نسبة شدّة و قوّة هذه الحركات و السرع قياساً إلى تلك الحركة في عرض الشارع .

إنّ عالم البرزخ المتّصل و ذهننا ، قياساً إلى نفسنا ، مثل نسبة بدننا قياساً إلى برزخنا ضعيف و صغير ؛كما أنّ سعة و عظمة النفس التي تخطّت الحدود و الكيفيّات الصوريّة و صار لها التجرّد المحض بالنسبة إلى عالم الذهن ، إذا ما قيست إلى عالم الذهن و المثال المتّصل ، فإنّ نسبتها ستكون في عظمتها و سعتها عين نسبة عالم الذهن إلى البدن المادّي و الطبعي . و عليه فإنّ عالم القيامة الكبرى ، قياساً إلى عالم البرزخ ، له نفس هذه النسبة في السعة و العظمة . و ذلك لأنّ عالم البرزخ يمتاز بكيفيّة المادّة وآثارها من الكمّ و الكيف ، أمّا عالم القيامة فقد تجرّد من الصورة أيضاً فصار إطلاقاً محضاً .

على أنّ هذا العالم مثال و أُنموذج لعالم البرزخ ، و عالم البرزخ مثالٌ لعالم القيامة ، و عالم القيامة مثال لعالم الأسماء و الصفات الكلّيّة الإلهيّة . وكذلك فإنّ البدن مثال و نموذج للقوى الذهنيّة ، و القوى الذهنيّة مثال للنفس الناطقة ، و النفس الناطقة بدورها مثال للروح الكلّيّة بوحدتها وكلّيّتها . وكلّما تخطّينا هذه العوالم المحدودة و نظرنا إلى الإطلاق ، فإنّ العوالم ستصبح أكثر سعةً و عظمة ؛ و على العكس فإنّنا كلّما هبطنا من عوالم الإطلاق و تنزّلنا إلى الأسفل ، فإنّ العوالم ستصبح أضعف و أصغر .

تماماً كمثل الصورة المنعكسة في المرآة و الحاكيّة عن شكل و أبعاد و لون الطلعة ، لا عن حقيقة و واقع ذلك الشخص صاحب الصورة ، كما أنّها لا تُظهر عقله أو سخاءه أو شجاعته أو سائر ملكاته المعنويّة ، و فوق ذلك كلّه فهي لا تُظهر نفسه الناطقة التي لا تمتلك ـ أُصولاً ـ شكلاً و لا صورة .

و لذلك فإنّ ما نشاهده في عالم المادّة هذا ليس إلّا أُنموذجاً من عالم البرزخ لا نفس عالم البرزخ ، ذلك العالم الواسع إلى الحدّ الذي لا يمكن مشاهدته بالأعين الظاهريّة ، و لا إدراكه بالحواسّ الخمس الظاهريّة . فقد وُجدت هذه الحواسّ لربط الإنسان بعالم الطبع و المادّة ، و ليس فيها قوّة لربطه بما فوق عالم المادّة .

و عليه فإنّ الحقائق البرزخيّة ليست ـ أُصولاً ـ قابلة للنزول و الإراءة في مرآة المادّة ، و ما يُظهره عالم المادّة في نفسه من عالم البرزخ إنّما هو بقدر سعة المادّة و ظرفيّتها فقط .

كما أنّ عالم القيامة و الحقائق الظاهرة لعالم النفس ليست قابلة للنزول و الإراءة في مرآة البرزخ و الصورة المثاليّة ، و ما يظهره البرزخ من عالم القيامة إنّما هو بقدر سعته و ظرفيّته فقط .

افرضوا أنفسكم الآن في هذا الفضاء الواسع لجوّ السماء ، وانظرواكم

يكون بدنكم صغيراً قياساً إلى هذا الجوّ المحيط بكم ! إنّ عالم الطبيعة والدنيا قياساً إلى عالم المثال و البرزخ صغير بنفس النسبة .

و إذا ما جعلنا عالَم النَفْس عرشَ الخالق ، و جعلنا عالَم المثال عالَم الكرسيّ ، فإنّ نسبة أحدهما إلى الآخر و إلى عالم الطبع و المادّة سيُشخّص جيّداً و فق الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام :

يروي في «تفسير العيّاشيّ» عن محسن المثنّى (الميثميّ ظ) ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام :

قالَ : قالَ أبوذَرّ ، يَا رَسُولَ آللهِ ! مَا أفْضَلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْك ؟ قَالَ : آيَةُ الْكُرْسِيِّ ؛ مَا السَّمَواتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرسِيِّ إلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ بَلَاقِع ، وَ إنَّ فَضْلَهُ عَلَى الْعَرْشِ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ .[1]

١ـ وردت هذه الرواية في «تفسير العيّاشيّ» ، طبع علميّة قم ، المجلّد الأوّل ، ص ١٣٧ بالعبارة التي نقلناها هنا ، و يبدو أنّ هناك سهواً في العبارة ، و أنّ تقديماً و تأخيراً قد حصل بين الكرسيّ و العرش ، و أنّ العبارة كان ينبغي أن تكون و إنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفلاة على الحلقة هكذا .

و يشهد على هذا الخطأ ؛ إضافةً إلى الروايات العديدة التي تعتبر العرش أفضل من الكرسيّ ، التي وردت في تفسير ، «البرهان» ، و «الميزان» و «الصافي» ذيل آية الكرسيّ ؛ ما ورد في «تفسير الصافي» ، الطعبة الحجريّة ، في حاشية «مجمع البيان» ص ٧٤ ، و في الطبعة الحروفيّة للمكتبة الإسلاميّة ، المجلّد الأوّل ص ٢١٤ ، و في تفسير «الميزان» ، المجلّد الثاني ، ص ٣٥٤ . فقد رويا هذه الرواية عن «تفسير العيّاشيّ» على النحو الذي صحّحناه .

ويقول في تفسير «الصافي» :

وَ فَضْلُ الْعَرشِ عَلَى الْكُرسيّ كَفَضْلِ تِلكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلكَ الْحَلْقَة . (رواه العيّاشيّ عن الصادق عليه السلام)

و يقول في تفسير «الميزان» : و قد ورد في «تفسير العيّاشي» .... حتّى يصل إلى قوله :

ثمّ قال : **وَإنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ .**

و يعتبر الشيخ أبوعليّ بن سينا عالَم خيال الإنسان من آثار المادّة و خواصّها ، و لذلك فإنّه لا يعتقد أيضاً بعالم البرزخ ، أي الخيال المنفصل ، و ذلك لأنّ البرزخ يجب أن يكون له تجرّد ماديّ لينفصل عن عالم المادّة . و في اعتقاده فإنّ من غير المتصوّر أن يكون هناك عالم كهذا له صورة محضة ، و فيه حدّ و كمّ و كيف إلّا أنّه ليس له مادّة . و لذا فإنّه لم يعتقد و لم يقلْ بعالم البرزخ الواقع بين عالم المادّة و النفس . بَيْدَ أنّه كان يقول بتجرّد النفس الناطقة ، حيث أقام البراهين الساطعة على تجرّدها ، بالرغم من إمكان نسبة تجرّد الخيال و البرزخ إليه ، استناداً إلى بعض عباراته التي يذكرها على نحو التشكيك .

أمّا صدر المتألّهين الشيرازيّ ، فقد أقام أدلّة متينة على تجرّد عالم الخيال المتّصل ، و كان يقول في كتبه صراحةً بعالم البرزخ و المثال المنفصل ، و يعدّ العبور من البرزخ للوصول إلى عالم القيامة من ضروريّات المسائل الحِكَمِيّة .

و قد تابعه في نهجه سائرُ الحكماء المتأخّرين عنه ، و أجمعوا على القول بعالم البرزخ و القول بتجرّده .

و قد سار المرحوم الحاج المولى هادي السبزواريّ على هذا النهج و قام بإثبات تجرّد عالم الخيال ؛ و لأنّه كان يعتبر المعاد الجسمانيّ ببقاء الصور في عالم الدّهر و عالم الكَون ، فقد قال بأنّ إثبات تجرّد الخيال مفيد لإثبات المعاد الجسمانيّ .

هذا و قد أقام دليلين رئيسيّين في إثبات تجرّد الخيال ، أحدهما برهان التحلّل ، و الآخر بُرهان امتناع انطباع الشيء الكبير في الشيء الصغير . و نغضّ الطرف عن بيان كيفيّة هذين الاستدلالين ، و نُرجع الراغبين في الإطلاع إلى كتب الحِكْمَة .

يقول المرحوم السبزواريّ في منظومته :

تَحَلُّلُ الرُّوحِ وَ أَنَّهُ امْتَنَعْ كَوْنُ الْعَظِيمِ فِي صَغِيرٍ انْطَبَعْ
دَلَّا عَلَىٰ تَجَرُّدِ الْخَيَالِ فَهُوَ مِثَالُ عَالَمِ المِثَالِ[1]

و اعلم أنّ البدن الذي يدخل القبر فيهُال عليه التراب هو غير الصورة المثاليّة التي تذهب إلى البرزخ ، و أنّ السؤال و الحساب يُوجّهان للبدن المثاليّ لا للبدن الترابيّ ، فالأخير لا حركة له و لا عين و لا أُذن و لا إدراك ، سواءً استحال رميماً في القبر أم لم يستحل .

أمّا البدن المثاليّ الذي هو عالم الصورة الإنسانيّة ، فإنّه حيّ لا يموت ، لا ينقص إدراكه أو تضعف بصيرته ، بل يزدادان قوّةً و مضاءً ، و هو الذي يصبح مورداً للسؤال و المؤاخذة ، و مورداً للثواب أو العقاب البرزخيّ . وعلّة ما ورد في كثير من الروايات من التعبير بعالم القبر ، ومنكر و نكير في عالم القبر ، و المؤاخذة في القبر ؛ هو أنّ عالم البرزخ يعقب هذه الدنيا ،كما أنّ القبر يعقب هذه الحياة الدنيويّة ، و لهذه المناسبة فقد عبّروا بعالم القبر عن عالم البرزخ المتعلّق بعالم القبر .

بلى ، ستصبح الروح مع البدن الجسمانيّ في القيامة موردَ المؤاخذة و الثواب و العقاب ، و المعاد الجسمانيّ من ضروريّات المذهب ، و هكذا فإنّ الله تبارك و تعالى سيُحضر الروح و البدن معاً في المحشر فيجزيهما بأعمالهما خيراً أو شرّاً . و سنبحث إن شاء الله تعالى مفصّلاً في بحث الحَشْر الذي سيأتي ، عن كيفيّة المعاد الجسمانيّ و بيان الآراء و المذاهب فيه .

١ـ «شرح المنظومة السبزواريّة» ، مبحث الطبيعيّات ، مبحث النفس ، غرر في النفس الباطنيّة ، حيث شرح هذا الموضوع بشكل كامل من ص ٢٨٦ إلى ص ٢٨٨ .

و يشهد على إثبات العوالم الثلاثة المذكورة ، أي عالم الطبع و عالم البرزخ و عالم القيامة ، وجداننا بنفسه ، ناهيك عن البراهين التي أُقيمت في العلوم الإلهيّة و الحكمة المتعالية .

إنّنا نمتلك مراتب من مراتب الوجود

الأُولى : بدننا المنتمي إلى عالم الطبع و المادّة ، و الذي يعروه و يطرأ عليه التغيّر و التحوّل و الفساد و الصلاح و العُمران ، و المتغيّر دوماً مع تغييرات المادّة والظرف الزمانيّ والمكانيّ . فالبدن بجميع أعضاءه وجوارحه من القلب و المخّ و الكبد و الرئة و الكلية و المعدة و الأمعاء و اليدين والرِجلين و العين و الأُذن و آلاف الأعضاء و ملايين الخلايا ليس في ثبات و استقرار و لو للحظة واحدة ، بل يتّخذ لنفسه دوماً في حركته الجوهريّة والذاتيّة حالاتٍ جديدةٍ تخلف حالاته السابقة و تحلّ محلّها .

الثانية : مرحلة ألطف و أعلى ، و هي ذهننا الذي يمتلك قوىً باطنيّة من القوة المفكّرة و المتخيّلة و الواهمة و الحافظة و الحسّ المشترك ، والذي يستقبل آلاف الصور و الأشكال و المعاني ،كما أنّه يُوجِد بنفسه مثل هذه الصور و المعاني أيضاً .

فذهننا لا وزن له و لا ثقل ، و ليس مادّياً ، إلّا أنّ له كيفيّة المادّة و آثارها من الشكل و الصورة و اللذّة و الحزن و غيرها .

و يمكن لذهننا أن يُوجِد في داخله بإرادته موجوداتٍ لا يمكنها الظهور في هذا العالم بواسطة كثافة المادّة .

كما أنّ حركة بدننا تابعة لإرادة ذهننا و أمره ، فلا يمكن للإنسان إنجاز عملٍ مادون أن يتصورّ صورة ذلك العمل . و لقد تصوّرنا حين كنّا في

المنزل صورة المسجد و الحركة تجاهه ، و وضعنا في نظرنا فائدة ذلك ، ثمّ إنّ أنفسنا أمرتنا لنعمل وفق تلك الخطّة التي رُسمت في أذهاننا من المسجد و الحركة و تصوّر فائدة المجيء للمسجد ، فعملنا بذلك .

الثالثة : نفسنا و حقيقتنا ، و هي أعلى و أوسع و ألطف بكثير من ذهننا ، لأنّها تفوقه في عدم امتلاكها شكلاً و لا صورة ، و لا أبعاداً و لا كيفيّة . و هي تلك الماهيّة التي يُعبّر عنها بـ«أنا» و «أنت» و «هو» و«نحن» و «أنتم» و «هم» .

و هي أعلى من القوى و من الملكات و الصفات ، لأنّ جميع القوى الباطنيّة و الملكات و الصفات موجودة في شعاع وجودها و قائمة بها ، و هي حقيقة مجرّدة عن المادّة ، و مجرّدة عن صورة المادّة و آثارها .

و هذه المراحل الثلاث لوجودنا أُنموذج و مثال للمراحل الثلاث من وجود العالم الكلّيّ ، فبدننا أُنموذج من عالم الهيولا و الطبع ، و ذهننا و مثالنا المتّصل أُنموذج من عالم البرزخ و المثال المنفصل ، و نفسنا الناطقة و حقيقتنا أُنموذج من عالم النفس الكلّيّة و القيامة الكبرى .

و قد أُشيرَ إلى هذا الأمر في الأشعار المنسوبة إلى مولى الموالي أمير الموحّدين و المؤمنين عليه السلام :

دَوَاؤكَ فِيكَ وَ مَا تَشْعُرُ ... وَ دَاؤُكَ مِنْكَ وَ مَا تُبْصِرُ

وَ تَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَ فِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

وَ أَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي ... بِأَحْرُفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَرُ

فَلَا حَاجَةَ لَكَ فِي خَارِجٍ ... يُخَبِّرُ عَنْكَ بِمَا سُطِّرَ[1]

١ـ «الديوان المنسوب إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام» ، الطبعة الحجريّة ، قافية الراءِ .

و قد صُرّح بهذه المراتب الثلاث في وجود الإنسان في السجدة التي سجدها رسول الله صلّى الله عليه و آله في ليلة النصف من شعبان ، و كذلك في الدعاء الوارد في سجدة النصف من شعبان بعد إيراد الصلاة بالكيفيّة الخاصّة .

روى الشيخ الطوسيّ في كتاب «مصباح المتهجّد» عن حمّاد بن عيسى ، عن أبان بن تغلب قال :

قال أبوعبدالله عليه السلام: لمّا كانت ليلة النصف من شعبان كان رسول الله صلّى الله عليه و آله عند عائشة ، فلمّا انتصف الليل قام رسول الله صلّى الله عليه و آله ، عن فراشها ، فلمّا انتبهت وجدت رسول الله صلّى الله عليه و آله قد قام عن فراشها ، فدخلها ما يتداخل النساء و ظنّت أنّه قد قام إلى بعض نسائه ، فقامت و تلفّفت بشملتها و أيم الله ما كان قزّاً و لا كتّاناً و لا قطناً ، ولكن كان سداه شعراً و لحمته أوبار الإبل ، فقامت تطلب رسول الله صلى الله عليه و آله في حُجَر نسائه حجرةً حجرة ، فبينا هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله ساجداً كثوب متلبّط على وجه الأرض ، فدنت منه قريباً فسمعته في سجوده و هو يقول :

سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ آمَنَ بِكَ فُؤَادِي ، هَذِهِ يَدَاي وَ مَا جَنَيْتُهُ عَلَىٰ نَفْسِي ، يَا عَظِيماً تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيم ، إغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إلَّا الرَّبُّ الْعَظِيم .

ثُمّ رفع رأسه و أهوى ثانياً إلى السجود وسَمِعَتْه عائشة يقول :

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَٰوٰتُ وَالْأَرَضُونَ ، وَانْكَشَفَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَ صَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، مِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَ مِنْ تَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ وَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَلْباً تَقِيّاً نَقِيّاً وَ مِنَ الشِّرْكِ بَرِيئاً لَا كَافِراً وَ لَا شَقِيّاً .

ثمّ عفّر خدّيه في التراب فقال :

عَفَّرْتُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ وَ حَقَّ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ .

فلمّا همّ رسول الله صلّى الله عليه و آله بالانصراف هرولت إلى فراشها ، فأتى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله فراشَها فإذا لها نَفَسٌ عالٍ ، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه و آله : ما هذا النفس العالي ؟ أمَا تعلمين أيّ ليلةٍ هذه ؟ هذه ليلة النصف من شعبان فيها تُقسم الأرزاق وفيها تُكتب الآجالُ و فيها يُكتب و فدُ الحاجّ ، و أنّ الله ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من شعر معزى قبيلة كلب ، وينزل الله تعالى ملائكة من السماء إلى الأرض بمكّة .

و قد ذكر المرحوم السيّد بن طاووس هذه الرواية في «الإقبال» و أورد سندها بهذه الكيفيّة ، أي : الشيخ الطوسيّ ، عن حمّاد بن عيسى ، عن أبان بن تغلب ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، إلاّ أنّه ذكر ـ بدلاً من عائشة ـ أنّ رسول الله كان عند بعض نسائه . ثمّ أنّه نقل عن الزمخشريّ في كتاب نابق «الفائق خ ل» أنّ أُمّ سلمة تبِعت النبيّ فرأته يتّجه إلى البقيع ، ثمّ إنّ أُمّ سلمة رجعت ، فشاهد النبيّ عند عودته أنفاسها المتلاحقة من إسراعها . إلاّ أنّ الزمخشريّ لم يذكر في هذه الرواية أدعية النبيّ في سجوده . ثمّ يوّحد السيّد ابن طاووس بين هذه الرواية و رواية الشيخ في «المصباح» ، ثمّ يختمها بنسبتها إلى أُمّ سلمة و بذكر الأدعية الواردة في السجدات و دعاء الخدّين .[1]

إلاّ أنّ لهذه الرواية إضافة على رواية الشيخ في «المصباح» و هي

يَغْفِرُ آللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَّا الْمُشْرِكَ[2] أو مُشَاحِنٍ أَوْ قَاطِعِ رَحِمٍ أَوْ مُدْمِنِ

١ـ «الإقبال» الطبعة الحجرية ، أعمال النصف من شعبان ، ص ٧٠٢ و ٧٠٣ .

٢ـ من الممكن أنّه كان «الاّ لِمُشرك» ، و هو الأقرب .

مُسْكِرٍ أَوْ مُصِرٍّ عَلَىٰ ذَنْبٍ أَوْ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ .

كما يروي الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» عن الحسن البصريّ ، عن عائشة ؛ و الشيخُ الصدوق بسند آخر عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، أنّ من جملة الأعمال التي أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله بالإتيان بها ليلة النصف من شعبان عشر ركعات يؤتى بها بعد منتصف الليل يُتلى في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و التوحيد عشر مرات ، ثمّ يسجد فيقول :

اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ بَيَاضِي يَا عَظِيمَ كُلِّ عَظِيمٍ إغْفِرْلِي ذَنْبِيَ الْعَظِيمَ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ غَيْرُك .

ثمّ قال رسول الله فإنّه مَن فعل ذلك محا الله عنه اثنتين و سبعين ألف سيّئة ، و كتب له من الحسنات مثلها ، و محا الله عن والديه سبعين ألف سيّئة .[١]

و الخلاصة فقد كان القصد من ذكر هاتين الروايتين خصوص لفظ «سواد» و «خيال» و «فؤاد» في الرواية الأُولى ، و لفظ «سواد» و «خيال» و «بياض» في الثانية . و ذلك لأنّ المراد بها تلك العوالم الثلاثة الموجودة في الإنسان ، فالسواد كناية عن عالم البدن و المادّة ، لأنّ عالم البدن و الطبع مُبتلى بالآلام و المصائب و مُعرّض للحوادث و التغييرات و للكون والفساد ، و محدود بالزمان و المكان و أعراض المادّة ، حيث عُبِّر عنه في الرواية بـ«**أظلم العوالم**» .

و الخيال بمعنى عالم المثال و الذهن الذي يتعامل مع الصور بشكل دائميّ ، فلا تتجاوز دائرة نشاطه الشكلَ و الصورةَ و التصوّرَ و التصديقَ .

١ـ «مصباح المتهجّد» الطبعة الحجريّة ص ٥٨٣ و ٥٨٤ .

أمّا البياض فكناية عن عالم النفس الناطقة و حقيقة الإنسان المجرّدة و المنزّهة عن المادّة و الطبع ، و عن شكل و صورة و حدود و ثغور عالم المثال ؛ و السبحة في بحر التحرّر و الإنطلاق . و هو معنى الفؤاد الذي ورد في الرواية الأُولى ،كما أنّ السجدة عبارة عن غاية التذلّل و العبوديّة و مقام الفناء .

و عليه فإنّ معنى ذلك سيصبح : يا إلهي ، *لقد قَدِمْتُ* بجميع مراتب و درجات وجودي ، من الطبع و البدن ، و من الخيال و المثال ، و من النفس و الحقيقة إلى مقام التسليم و العبوديّة المحضة و الفناء في ساحتك المقدّسة فليس هناك في أيٍّ منها شائبة للأنانيّة و الشخصيّة و الاستكبار والاستقلال رزقنا الله ذلك بمحمّد و آله صلواته عليهم و سلامه .

و لهذا المعنى فقد صرّح آية الحقّ و اليقين ، زين الحكماء و العرفاء الشامخين ، الحاجّ الميرزا جواد آقاي الملكيّ التبريزيّ أعلى الله مقامه الشريف في كتاب «المراقبات أو أعمال السنة» ص ٨٥ ضمن أعمال ليلة النصف من شعبان بقوله :

وَ مِنَ الْمُهِمَّاتِ سَجَدَاتٌ بِدَعَوَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَ فِي بَعْضِهَا إشَارَةٌ إلَىٰ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ لِلإنْسَانِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ : «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَبَيَاضِي» وَ هُوَ كَالنَّصِّ بِعَالَمِهِ الْمَحْسُوسِ فَإنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ مَادَّةٍ وَ مِقْدَارٍ ، وَعَالَمِهِ الْمِثَالِ وَ هُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ صُورَةٍ وَ رُوحٍ ، وَ عَالَمِهِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي بِهِ صَارَ إنْسَاناً يَعنِي حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَ هُوَ عَالَمُهُ الَّذِي لَا صُورَةَ فِيهِ وَ لَا مَادَّةَ ، وَهُوَ حَقِيقَتُهُ الْعَالِمَةُاللَّطِيفَةُ الرَّبَانِيَّةُ الَّتِي مَنْ عَرفَهَا فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ، أَي تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ وَسِيلَةً لِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ .

و كذلك كتب ذلك المرحوم في إجابته على رسالة للمرحوم زين الفقهاء و جمال السالكين الحاجّ الشيخ محمّد حسين الكمبانيّ الأصفهانيّ

سأله فيها إرشاده إلى طريقة للعمل و إلى المقدّمة المؤدّية إلى معرفة الحضرة الأحديّة ؛ متعرّضاً إلى هذا المعنى يقول :

و العجب من التصريح بهذه المراتب في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان ، و هو وقت وصول الرسالة ؛ في قوله :

سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَ خَيَالِي وَ بَيَاضِي .

فأصل المعرفة ذلك الوقت الذي يفنى فيه الثلاثة معاً ، حيث أنّ حقيقة السجدة عبارة عن الفناء ، و عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله .[1]

و قد روي في كتب أربعة معروفة رواية عجيبة عن السؤال في عالم القبر و عن استجواب منكر و نكير ؛

الأوّل : في «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، ذيل الآية الشريفة :

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِى ٱلْأَخِرَةِ .[2]

يرويها عن أبيه ، عن عليّ بن مهزيار ، عن عمر بن عثمان ، عن المفضّل بن صالح ، عن جابر ، عن إبراهيم بن العلاء ،[3] عن سويد بن غَفَلَة .[4]

الثاني : في «تفسير العيّاشيّ» ، ذيل نفس الآية المباركة ، عن سويد ابن غَفَلة دون ذكر السند .[5]

١- يوجد لدى الحقير نسخة من هذه المراسلة .

٢- الآية ٢٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٣- ورد في التفسير بلفظ ابن العلاء ، إلّا أنّه ذكر في «الكافي» و «أمالي الشيخ» بلفظ عبد الأعلى .

٤- «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، سورة إبراهيم ، ص ٣٤٦ ، الطبعة الحجريّة سنة ١٣١٣ .

٥- «تفسير العيّاشيّ» ، سورة إبراهيم ، المجلّد الثاني ، ص ٢٢٧ .

الثالث : في «الكافي» ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، و عدّة من الأصحاب ، عن سهل بن زياد ، عن البزنطيّ و الحسن بن عليّ جمعياً ، عن أبي جميلة ، عن جابر ، عن عبد الأعلى ؛ وكذلك عن عليّ ابن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غَفَلة .[1]

الرابع : في «الأمالي» ، الشيخ الطوسيّ ، عن ابن صلت ، عن ابن عقدة ، عن القاسم بن جعفر بن أحمد ، عن عبّاد بن أحمد القزوينيّ ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن جابر ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى ، عن سويد بن غَفَلة .[2]

كما قام المجلسيّ بروايتها عنهم في كتابه «بحار الأنوار»[3].

و بالطبع فقدكان اختلاف اللفظ في نسخ هذه الرواية طفيف جدّاً ، إلّا أنّنا ننقل هنا عين عبارة «تفسير عليّ بن إبراهيم» .

فبعد ذكر السند السابق يحدّث سويد بن غَفَلة عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام قال : **إنَّ ابْنَ آدَمَ إذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَةِ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ وَ وُلْدُهُ وَ عَمَلُهُ ، فَيَلْتَفِتُ إلَى مَالِهِ فَيَقُولُ : وَاللهِ إنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ لَحَرِيصاً شَحِيحاً ، فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : خُذْ مِنِّي كَفَنَكَ .**

١ـ «الكافي» ، كتاب الفروع ج ١ كتاب الجنائز ، باب أنّ الميّت يُمثَّل له ماله و ولده وعمله قبل موته ؛ الطبعة الحجريّة ص ٦٣ ؛ و الطبعة الحيدريّة : المجلّد الثالث ، ص ٢٣١ .

٢ـ «الأمالي» للشيخ الطوسيّ ، طبع مطبعة النعمان ، النجف ، المجلّد الأوّل ، ص ٣٥٧ إلى ٣٥٩ .

٣ـ «بحار الأنوار» ، كتاب العدل و المعاد ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨ .

ثُمَّ يَلْتَفِتُ إلَىٰ وُلْدِهِ فَيَقُولُ : وَآللهِ إنّي كُنْتُ لَكُمْ لَمُحِبّاً ، وَ إنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمُحَامِياً ؛ فَمَاذَا لِي عِنْدَكُمْ ؟

فَيَقُولُونَ : نُؤَدِّيكَ إلَىٰ حُفْرَتِكَ وَ نُوارِيكَ فِيهَا .

ثُمَّ يَلْتَفِتُ إلَىٰ عَمَلِهِ فَيَقُولُ : إنِّي كُنْتُ فِيكَ لَزَاهِداً ؛ وَ إنَّكَ كُنْتَ عَلَيَّ ثَقِيلاً ؛ فَمَاذَا لِي عِنْدَكَ ؟

فَيَقُولُ : أنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ وَ يَوْمَ حَشْرِكَ حَتَّىٰ أُعْرَضَ أنَا وَ أنْتَ عَلَى رَبِّكَ .

فإنْ كَانَ لِلهِ وَلِيّاً أتَاهُ أطْيَبُ النَّاسِ رِيحاً وَ أحْسَنُهُمْ مَنْظَراً وَ أحْسَنُهُمْ رِيَاشاً ؛ فَيَقُولُ : ابْشِرْ بِرَوْحٍ مِنَ اللهِ وَ رَيْحَانٍ وَ جَنَّةِ نَعِيمٍ ؛ قَدْ قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ .

فَيَقُولُ : مَنْ أنْتَ ؟

فَيَقُولُ : أنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، أرْتَحِلُ مِنَ الدُّنْيَا إلَىٰ الْجَنَّةِ ؛ وَ إنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ وَ يُنَاشِدُ حَامِلِيهِ أنْ يُعَجِّلُوهُ .

فَإذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أتَاهُ مَلَكَانِ ، و هُمَا فَتَّانَا الْقَبْرِ ؛ يَجُرَّانِ أشْعَارَهُمَا وَ يَبْحَثَانِ الْأرْضَ بِأنْيَابِهِمَا ؛ وَ أصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْعَاصِفِ ؛ وَ أبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ .

فَيَقُولَانِ له : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ إمَامُكَ ؟

فَيَقُولُ : رَبِّي اللهُ ، وَ مُحَمَّدٌ نَبِيِّي ، وَ دِينِي الإسْلَامُ ، وَ عَلِيٌّ وَ الأئِمَّةُ صَلَوَاتُ آللهِ عَلَيْهِمْ أئِمَّتِي .

فَيَقُولَانِ : ثَبَّتَكَ اللهُ بِمَا تُحِبُّ وَ تَرضَى وَ هُوَ قَولُ اللهِ : يُثَبِّتُ آللهُ آلَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ آلثَّابِتِ ... الآية ؛ فَيَفْسَحَانِ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَ يَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إلَىٰ الْجَنَّةِ ؛ وَ يَقُولَانِ لَهُ : نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَوْمَ الشَّابِّ النَّاعِمِ وَ هُوَ قَوْلُهُ : أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَومَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَ أحْسَنُ مَقِيلاً . وَ إذَا كَانَ

لِرَبِّهِ عَدُوّاً ، فَإِنَّهُ يَأتِيهِ أَقْبَحُ خَلْقِ اللهِ رِياشاً وَ أَنْتَنُهُ رِيحاً . فَيَقُولُ لَهُ : أَبْشِرْ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ ، وَ تَصْلِيَةِ جَحِيمٍ ؛ وَ أَنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ وَ يُنَاشِدُ حَامِلِيهِ أَنْ يَحْبِسُوهُ .

فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ أَتَيَاهُ مُقْتَحِمَا الْقَبْرِ ، فَأَلْقَيَا عَنْهُ أَكْفَانَهُ ؛ ثُمَّ قَالاَ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟

فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي .

فَيَقُولاَنِ لَهُ : لاَ دَرَيْتَ وَ لاَ هُدِيتَ ؛[1] فَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ دَابَّةً إلَّا وَ تَذْعَرُ لَهَا خَلاَ الثَّقَلاَنِ .

ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ بَاباً إِلَىٰ النَّارِ ؛ ثُمَّ يَقُولاَنِ لَهُ : نَمْ بِشَرِّ حَالٍ فَهُوَ مِنَ الضِّيقِ مِثْلُ مَا فِيهِ الْقَنا مِنَ الزُّجِّ حَتَّىٰ أَنَّ دِمَاغَهُ يَخْرُجُ مِنْهَا مِمَّا بَيْنَ ظُفْرِهِ ولَحمِهِ ؛ وَ يُسلَّطُ عَلَيْهِ حَيَّاتُ الْأَرْضِ وَ عَقَارِبُهَا وَ هَوَامُّهَا فَتَنْهَشَهُ حَتَّىٰ يَبْعَثُهُ اللهُ مِنْ قَبْرِهِ ، وَ أَنَّهُ لَيَتَمَنَّى قِيَامَ السَّاعَةِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ .

و هذه الرواية منقولة في الكتب المذكورة إلى هذا المقدار الذي ذكرناه ، إلّا أنّ لها تتمّة في «تفسير العيّاشيّ» و في «الكافي» ، و هي :

وَ قَالَ جَابِرٌ[2]: قالَ أَبو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلّى الله عَلَيْهِ وآله : إِنِّي كُنتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَ أَنَا أَرْعَاهَا ؛ وَ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وَ قَدْ رَعَىٰ الْغَنَمَ ، وَ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَ هِيَ مُتَمَكِّنَةٌ فِي الْمَكِينَةِ ، مَا حَوْلَهَا شَيءٌ يُهَيِّجُهَا حَتَّىٰ تَذْعَرُ فَتَطِيرُ .

فَأَقُولُ : مَا هَذَا وَ أَعْجَبُ حَتَّىٰ حَدَّثَنِي جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّ الْكَافِرَ

١ـ يُمكن أن تكون جملة «لَا دَرَيْتَ و لا هُدِيتَ» إستفهاميّة ، أو أن تكون لعناً و دعاءً بالسّوء و هو الأقرب إن لم يكن متعيّناً .

٢ـ و هو من سلسلة رواة هذا الحديث .

يُضْرَبُ ضَرْبَةً مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيئاً إلَّا سَمِعَهَا وَ يَذْعَرُ لَهَا إلَّا الثَّقَلَيْنِ .
فَقُلْتُ : ذَلِكَ لِضَرْبَةِ الْكَافِرِ ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .

قصّة آية الله الأنصاريّ و جنازة الحاكم الظالم في همدان

نقل المرحوم آية الحقّ و اليقين ، ترجمان القرآن و سلمان الزمان ، آية الله الحاج الميرزا جواد آقاي الأنصاريّ الهَمَدانيّ أعلى الله مقامه الشريف و جعل قبره في الرضوان .كنتُ أجتاز أحد شوارع هَمَدان ، فرأيتُ جنازة محمولة على الأكتاف يُتّجه بها إلى المقبرة و يسير خلفها جمع من المشيّعين ، إلّا أنّه كان يُساق في الجانب الملكوتي إلى ظُلمة مُبهمة عميقة ، وكانت الروح المثاليّة لهذا الرجل المتوفّى تذهب معه في أعلى جنازته و تحاول الصراخ باستمرار أن :

يا إلٰهي نجّني كي لا يأخذونني هناك ! إلّا أنّ لسانه لم يكن ليجري بذكر الله ، فكان يلتفت آنذاك إلى الناس و يقول لهم : أيتها الناس نجّوني و لا تدعوهم يأخذونني ! إلّا أنّ صوته لم يكن ليصل إلى سمع أحد وكان ذلك المرحوم أعلى الله شأنه يقول : وكنتُ أعرف صاحب الجنازة ، فقد كان من أهل هَمَدان ، وكان حاكماً ظالماً مستبدّاً .

قصّة الدكتور إحسان و جنازة الرجل العربيّ في مدينة الكاظمين عليهما السلام

كان أحد أصدقائنا و يدعى الدكتور حسين إحسان رحمه الله رجلاً جديراً بالاحترام و التقدير ، وكان له عيادة في طهران ، إلّا أنّه كان

يُسافر في الشتاء إلى العتبات المقدّسة لمدّة ستّة أشهر ، و كان له عيادة في كربلاء ، و لم يكن يتقاضى من الفقراء أجراً ، و كان يعمد إلى إعطاء بعض المحتاجين الدواءَ ، بل و نفقات الغذاء أحياناً . و كان يعيش حياةً بسيطة مُفعمة بالصفاء ، حيث ينقضي على رحيله خمس عشرة سنة تقريباً .

و قد نَقَلَ يوما : كنتُ قد تشرّفتُ يوماً بالذهاب إلى مدينة الكاظمين ، و جئتُ إلى شاطئ النهر (يقصد نهر دجلة الذي يمرّ على الكاظمين و يبعد عن الحرم المطهّر مسافة قليلة) ، فشاهدتُ أنّهم قد جاءوا بجنازة محمولة على سيّارة ، ثّم ترجّلوا و حملوها على أكتافهم متّجهين بها مع المشيّعين إلى الصحن المطهّر .

و كان معهوداً في العراق أنّه حين يتوفّى أحد أفراد الشيعة ممّن ينتمي إلى عشيرة و قبيلة ، فإنّ جنازته كانت تُوضع في تابوت و تُحمل على سيّارة خاصّة فتؤخذ إلى الكاظمين عليهما السلام تصحبها سيّارات المشيّعين العديدة ، فيُطاف بها هناك ، ثمّ تؤخذ إلى كربلاء فيُطاف بها هناك أيضاً ، ثمّ تؤخذ إلى النجف فيُطاف بها ، و تُدفن مِن ثَمّ في وادي السّلام في النجف الأشرف .

و كان ذلك المرحوم يقول : كنتُ عازماً على التشرّف بالذهاب للزيارة في نفس الوقت الذي كانوا يأخذون فيه تلك الجنازة إلى الصحن المطهّر ، فتحرّكتُ خلفها . و حين شيّعتها مسافةً ما شاهدتُ فجأة أنّ هناك كلباً أسوداً مُخيفاً جالساً فوق الجنازة ، فاستغربت كثيراً لذلك و تساءلتُ في نفسي : لماذا جلس هذا الكلب فوق الجنازة ؟!

و لم ألتفت إلى أنّ هذا هو البدن المثاليّ للمتوفّى ، و أنّه ليس كلباً خارجيّاً . ثمّ سألتُ المشيّعين الذين كانوا إلى جانبي : ماذا يوجد على

الجنازة ؟

قالوا : لا شيء ، إلّا قطعة القماش التي تراها !

فأدركتُ آنذاك أنّ هذا الكلب صورة مثاليّة ، و أنّني أراه لوحدي بينما لا يدركه الآخرون .

و لم أنبس بشيء بعد ذلك ، حتّى وصلوا بالجنازة إلى الصحن المطهّر ، ثّم رأيتُ عند باب الصحن حين أرادوا إدخال التابوت في الصحن المطهّر للطواف ، أنّ ذلك الكلب قفز من فوق التابوب و وقف جانباً ، حتّى طافوا بالجنازة . و ما إن جاءوا بها يريدون إخراجها من باب الصحن حتّى قفز ذلك الكلب ثانيةً فوق التابوت و جلس فوق الجنازة . و من المعلوم بالطبع أنّ صاحب تلك الجنازة كان رجلاً ظالماً و متجاوزاً ، لذا فقد تجسّمت صورته الملكوتيّة في هيئة صورة الكلب ، و لأنّ ذلك المرحوم كان يمتلك صفاءً باطنيّاً فقد أدرك هذا المعنى ، بينما خفي ذلك على الآخرين فلم يروا شيئاً .

والخلاصة فإنّ هذه الدنيا التي نعيش فيها قد وضعت وفق هدف و حكمة ،كما أنّ كلمات الله و رسوله و الأئمّة السالكين في سبيله لم تصدر دون حساب .

لقد منحنا الباري سبحانه قوّتين ، إحداهما القوّة الباطنيّة و العقل ، و الأُخرى القوّة الخارجيّة و هي الدِين و المذهب و سُنّة أولياء الله ، و على الإنسان أن يتجنّب ارتكاب الخطأ ، فهذا العالم لم يُخلَق لهواً و عبثاً ، و الإنسان لم يُخلق مهملاً مغفولاً عنه :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ .[1]

١ـ الآية ١١٥ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

خـــــرامــــــيدن لاجـــــوردی ســــپهر
هـــمان گِــرد گـــرديدن مــاه و مِــهر
مــپندار کــاين چـــرخ بــازيگريست
سرا پردهای اين چنين سرسری است[1]

و لم يكن عبثاً أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان إذا وصل إلى هذه الآية : **أَيَحْسَبُ الْإِنسَـٰنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ،[2] كرّرها و ترنّم بها مع نفسه .

فلا يظنّنّ أحد إذا ما ارتكب ذنباً في خلوةٍ أنّه كان بمعزل و أنّ أحداً لم يطّلع عليه ، فالله هناك ، و الملائكة هناك ، و عالَم الغيب هناك ، و عالم البرزخ و المثال هناك ، و عالم تدوين الأحوال و الأعمال هـناك ، و عـالم إثبات الصور و الأشكال هناك ؛ و إن تركوا المرء اليـوم دون اسـتجواب ، فسيفعلون ذلك غداً .

و هكذا سيلقى الذين حاسبوا أنفسهم من أمرهم يُسراً ، و سيخلدون بأفضل سبيل و أحسن وجه في مقام الأمن و مقرّ الأمان الإلهيّ .

أمّا الذين تخيّلوا أنّ هذا العالم خلق عبثاً و أن لا مدبّر له ؛ فـبدرت منهم المظالم ، فإنّهم مُبتلون مؤاخذون ، مبتلون بسكـرات المـوت ، و إلّا فبسؤال منكر و نكير ، أو بعذاب القبر ، أو بالحشر و الصـراط و المـيزان والعرض ، أو بورود النار و الإقامة في مرحلة الملكات السيّئة التي اقترنت به ، و الله وحده يعلم كم يلزمهم من الوقت ليخرجوا من هذه المحن .

و إن لم يحاسب المرء نفسه اليوم ، فإنّ من المسلّم أنّه سيُحاسب غداً

١ـ يقول : لا يُخيّلنّ لك أنّ تبختر السـماء الزرقـاء اللازورديّـة ، واسـتدارة الشـمس والقمر ، كان لعبَ لاعبٍ و لهوَ لاهٍ ، أو أنّ كلّ هذا الوجود كان عبثاً لاطائل وراءه !

٢ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

و سيخرج مُثقلاً بالعار و الفضيحة .

قال النبيّ الأكرم : **الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ .**[١]

و قال الصادق عليه السلام :

أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا فَإِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً كُلُّ مَوْقِفٍ مقامُ أَلْفُ سَنَةٍ ... الخبر .[٢]

و كذلك روى في «الكافي» بسنده المتّصل ، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه قال :

لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزَادَ اللَّهَ ، وَ إِنْ عَمِلَ سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهُ وَ تَابَ إِلَيْهِ .[٣]

و خلاصة الأمر ، فإن تدارك الإنسان ذنبه ، و قام بتأدية حقوق الآخرين و أقام على مرحلة الطاعة و التسليم لله ، فإنّ سفره إلى الآخرة لن يكون فقط في غاية اليُسر ، بل إنّ الملائكة السماويّين و الحور العين سيكونون في استقباله و تهنئته ، و ملائكة الرحمة سيكونون في انتظاره ترقّب وصوله .

١ـ «احياء العلوم» ، المجلّد الرابع ، ص ١٨ .

٢ـ «بحار الأنوار» ، الطبعة الكمباني ، المجلّد ١٥ ، الجزء الثاني في الأخلاق ، ص ٤٠ ، رواه عن «مجالس الشيخ المفيد» و عن «أمالي الشيخ الطوسيّ» . و ورد في «أمالي الطوسيّ» ج ١ ، ص ٢٤ و ص ١٠٩ .

٣ـ «أُصول الكافي» ، المجلّد الثاني ، ص ٤٥٣ من الطبعة الحيدريّة ؛ و باعتبار أنّ هذا الحديث فقرة من فقرات الوصيّة التي أوصاها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى هشام ابن الحكم ، و هي وصيّة طويلة و مفصّلة للغاية ؛ فقد وردت هذه الفقرة أيضاً ضمن تلك الوصيّة في المجلّد الثاني من «أُصول الكافي» ص ١٣ و في «تحف العقول» ص ٣٨٣ ، و في المجلّد الأوّل «لبحار الأنوار» الطبعة الكمباني ص ٤٣ نقلاً عن «تحف العقول» .

يروي المجلسيّ (ره) في «بحار الأنوار» مرسلاً عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

إذَا رَضِيَ ٱللّهُ عَنْ عَبْدٍ قَالَ : يَا مَلَكَ الْمَوْتِ اذْهَبْ إلَىٰ فُلانٍ فَأْتِنِي بِرُوحِهِ ، حَسْبِي مِنْ عَمَلِهِ قَدْ بَلَوتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ .

فَيَنزِلُ مَلَكُ الْمَوتِ وَ مَعَهُ خَمْسُمائَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مَعَهُمْ قُضْبَانُ الرَّيَاحِينَ وَ أُصُولُ الزَّعْفَرَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبَشِّرُهُ بِبِشَارَةٍ سِوَىٰ بِشَارَةِ صَاحِبِهِ .

وَ يَقُومُ الْمَلَائِكَةُ صَفَّيْنِ لِخُرُوجِ رُوحِهِ ، مَعَهُمُ الرَّيْحَانُ ، فَإذَا نَظَرَ إلَيْهِمْ إبْلِيسُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأسِهِ ثُمَّ صَرَخَ ؛ فَيَقُولُ لَهُ جُنُودُهُ : مَالَكَ يَا سَيِّدَنَا ؟

فَيَقُولُ : أَمَا تَرَوْنَ مَا أُعْطِي هَذَا الْعَبْدُ مِنَ الْكَرَامَةِ ؟

أَيْنَ كُنْتُمْ عَنْ هَذَا ؟

قَالُوا : جَهِدْنَا بِهِ فَلَمْ يُطِعْنَا .[1]

و بالطّبع فإنّ الملائكة الخمسائة في هذه الرواية هم بقدر سعة و قابليّة الشخص المؤمن ، فإذا زادت درجات المؤمن عند الله تبارك و تعالى عن ذلك بكثير ، فما أحراه سبحانه أن يُرسل آنذاك ألف ملك أو عشرة آلاف أو سبعين ألف ملك .

كان بُرير بن خُضير الهَمْدانيّ من أصحاب سيّد الشهداء الأجلّاء ، وكان ينتمي إلى قبيلة هَمْدان ، وكان قارئاً للقرآن ، يجلس في مسجد الكوفة فيعلّم في مدرسته العلميّة القرآن و الأحكام .

١ـ «بحار الأنوار» ، كتاب العدل و المعاد ، طبعة الآخوند ، المجلّد السادس ، ص ١٦١.

[و كان] عبدالرحمن بن عبد ربّه و برير بن خضير الهَمْدَانيّ على باب الفسطاط [الذي ضربه الحسين ليطلي فيه بالنورة] تحتكّ مناكبهما فازدحما أيّهما يطلي على أثره، فجعل برير يُهازل عبدالرحمن، فقال له عبدالرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل.

فقال له بُرير: والله لقد علم قومي أنّي ما أَحْبَبْتُ الباطلَ شابّاً و لاكهلاً، ولكن واَللهِ إنّي لمستبشر بما نحن لاقون، و اَللهِ إنّه ليس بيننا و بين الحور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، و لودَدْتُ أنّهم قد مالوا علينا بأسيافهم الساعة.[1]

وعدهٔ وصل چون شود نزدیک
آتش عشق شعله‌ورگردد[2]

قَوْمٌ إذَا نُودُوا لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ
وَالْقَوْمُ بَيْنَ مُدَعَّسٍ وَ مُكَرْدَسِ
لَبِسُوا الْقُلُوبَ عَلَىٰ الدُّرُوعِ وَأَقْبَلُوا
يَتَهافَتُونَ عَلَىٰ ذِهَابِ الْأَنْفُسِ

١ـ نقل المجلسيّ هذه الحكاية مرسلة في «بحار الأنوار»، الطبعة الكمباني، المجلّد العاشر، ص ١٩٢، إلّا أنّ المحدّث القمّيّ رواها في «نفس المهموم» ص ١٤٣ عن أبي مخنف، عن عمرو بن مرّة الجمليّ، عن أبي صالح الحنفيّ، عن غلام عبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ.

٢ـ يقول: «إذا ما دنى الوصال الموعود، تأجّجت نارُ العشق و زاد أوارها.»

المجلس الثاني عشر

مميزات عالم الطبع وعالم البرزخ وعالم القيامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مطالب أُلقيت في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لا حول و لا قوّة إلّا بالله ٱلعليّ ٱلعظيم

و صلّى ٱللهُ على محمّد و آله ٱلطّاهرين

و لعنة ٱلله على أعدائهم أجمعين من ٱلآن إلى قيام يوم الدين

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

وَ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.[1]

لقد ذكرنا أنّ روح الإنسان تذهب بعد الموت إلى عالم يدعى بعالم البرزخ ، و أنّ عالم البرزخ يُدعى أيضاً بالمثال و عالَمَ الخيال .

و عالم المثال يعني عالم الصورة المحضة الذي لايحوي مادّة ، بل هناك خواصّ المادّة و آثارها ، مثل الكميّة و الكيفيّة .

و لكي يتّضح هذا المعنى قدراً فإنّنا نقول ـ من باب المثال ـ إنّ الإنسان إذا ما تأمّل في وجوده فإنّه سيشاهد أنّ له بدناً ، و لهذا البدن وزن و ثقل لأنّه مادّيّ ؛ كما أنّ التغيّر و التبدّل يطرأ على هذا البدن .

و كذلك فإنّه يمتلك صورة ، و هذه الصورة في هذا البدن ، إلّا أنّها

١ـ الآيات ١٦٩ ـ ١٧١ من السورة ٣ : آل عمران .

ليست داخل هذا البدن ، بل محيطة به . فهذه الصورة هي التي منحت هذا البدن شكلَها و جعلته يتّخذ هيئتها .

و حين تتطلّعون في المرآة فإنّ صورتكم ترتسم في المرآة ، إلّا أنّ ثقلكم لا يترك أثراً فيها ، فلا تثقل المرآة لذلك . و إذا ما كنتم تحسّون بالتعب فإنّ المرآة لا تتعب ؛ أو كنتم تفرحون أو تحزنون فإنّ المرآة لا يعتريها الفرح أو الحزن ، بل أنّها تحكي صورتكم فقط .

و بالطبع فقد قلنا هذا من باب المثال ، و إلّا فإنّ تلك الصورة البرزخيّة و الملكوتيّة هي أوّلاً غير الشكل و الشمائل الخارجيّة . و ثانياً فإنّ الصورة لا تظهر في المرآة ، بل إنّ المرآة تعكس الأمواج (الأشعّة) فيرى الإنسان نفسه ـ لا المرآة ـ بسبب انعكاس الشعاع فوق سطع المرآة الصقيل ، أي أنّ الشعاع المارّ من بؤبؤ عين الإنسان حين يرتطم بالمرآة ينعكس إلى نفس الإنسان فيرى نفسه ؛[1] و يُقال لهذه الصورة : الصورة المثاليّة .

و يحصل أن تشاهدون حلماً في عالم النوم بينما يرقد بدنكم على الأرض ، فتتحرّك صورتكم المثاليّة في النوم ، بينما لا يُبدي البدن أيّ حركة ، لكنّكم تحسّون لنفسكم واقعيّة و موجوديّة معيّنة في عالم النوم ، فترون نفسكم أحياء ، و ترون لنفسكم علماً و قدرة ، تتحرّكون و تتكلّمون و تقومون بمختلف الأعمال دون أن يحسّ بدنكم شيئاً أو أن يتحرّك أو يفعل شيئاً .

إنّ تلك الصورة التي كنتم تدركون موجوديّتها و شخصيّتها في النوم هي صورتكم المثاليّة و الملكوتيّة المنفصلة تماماً عن البدن الراقد .

١ـ و هذا بالطبع بتعبير القدماء ، أمّا في تعبير علماء الفيزياء الحديثة فليس هناك من شعاع للعين ، بل إنّ الشعاع من الشيء المرئيّ يرتطم بالمرآة و ينعكس فيوجد صورةً في العين .

البدن شيء ، و تلك الصورة المتحرّكة النشطة التي يقوم بها جميع وجود الإنسان في النوم شيّ آخر . تلك الصورة هي الصورة المثاليّة أو الخياليّة أو البرزخيّة التي تقطع علاقتها بالبدن جملةً عند النوم ، لكنّها تتّحد به حال اليقظة و تعكس الأعمال التي تقوم بها في قالب البدن فيقوم البدن بمتابعتها ـ لا تّحاده معها ـ في القيام بتلك الأعمال . و هكذا يقوم بدننا بالصلاة و الصيام و الحجّ ، لأنّ الصورة المثاليّة و الملكوتيّة تقوم بهذه الأعمال .

و يمكن القول عموماً إنّ تلك الصورة المثاليّة المتّحدة بالبدن مهما شاءت و مهما تصوّرت ، فإنّ هذا الهيكل الخارجيّ سيتحرّك بأمرها و بواسطة اتّحاده بها و عينيّته لها . و تبعاً لحركة تلك الصورة و الرسم الذي تحقّق له مثال الإنسان ، فإنّ المادّة و البدن سيتحرّكان و يقومان بنشاطاتهما .

على أنّ هذه الصورة تقلّل من ارتباطها بالبدن في عالم النوم ، فتجرّد نفسها و تجد ـ بدون البدن ـ واقعيّتها في نفسها .

كما أنّ حقيقة النفس تلك تنفصل أيضاً عن الصورة المثاليّة في عالم النفس و القيامة ، فتتجلّى آنذاك نفسُ الإنسان في واقعيّتها بدون صورة .

أمّا في الدنيا ، حيث يتّحد عالم المثال ببدن الإنسان ، فإنّ نفس الإنسان تتّحد هي الأُخرى ببدن الإنسان و مثاله ، كما أنّ قوى النفس تتّحد جميعها مع مثال الإنسان فتكون جميع مراتب الإنسان الوجوديّة مجتمعة معاً .

ثمّ إنّ الصّورة المثاليّة تنفصل بالموت عن البدن ، فتدرك تجرّدها بدون المادّة ، كما أنّ نفس الإنسان تنفصل عن عالم الصورة بعد العبور من عالم المثال و الورود في عالم القيامة ، فتدرك تجرّدها الحقيقيّ بدون الصورة .

و يُدعى عالم المثال بالقيامة الصغرى ،كما يُدعى عالم النفس بالقيامة الكبرى . على أنّ هذا البدن و الصورة و المثال مجتمعة معاً في هذه الدنيا ، أي في عالم المادّة و عالم الطبع ، ثمّ إنّها تنفصل عن بعضها بالترتيب .كما أنّ اجتماعها ليس بمعنى مجاورة أحدها للآخر ، بل إنّ للنفس نوعاً من السعة و الإحاطة بالصورة المثاليّة ، و للصورة المثاليّة نوع من السعة و الإحاطة بالبدن . غاية الأمر أنّ الناس الرازحين تحت أسر الطبع في هذه الدنيا لا يمكنهم إدراك أكثر من أنّ وجودهم هو هذا البدن ، لذا فإنّهم يتخيّلون وجودَهم منحصراً في هذا البدن ، و يتصوّرون أنّ حقيقتهم النفسانيّة أو المثاليّة هي هذا البدن ، في حين أنّ البدن له حكم اللباس و حكم القالب و حكم الجلد ، فهو يسقط عند تبديل هذا الجلد و يُزاح جانباً ، فلا يعلم بعدُ أنّ لتلك الصورة حقيقة .

و الأمر كذلك في عالم البرزخ و المثال ، فالنفس تتخيّل أنّ حقيقتها هي صورتها ، و لا تعلم أنّ الصورة من متعلّقات النفس . و حين تُدرك النفس واقعيّتها و تصل إلى التجرّد و تخلع البدن و الصورة ، فإنّها ستفهم آنذاك أنّ حقيقتها قدكانت نفسها التي هي أعلى و أسمى بكثير من عالم الصورة ، و الصورة أعلى و أسمى بكثير من عالم البدن .

و عليه فإنّ الصورة المثاليّة التي نأخذها بنظر الاعتبار هي الآن معنا ، و إلّا فإنّ بدننا لن يتحرّك و لن يقدر على إنجاز عمل ، بَيْدَ أنّها ليست داخل البدن و ليست منفصلة عنه .

و من الممكن لبعض الأفراد الذين يعملون بالتعاليم الشرعيّة و يسلكون طريق السير و السلوك و تهذيب النفس أن يحصل لهم الموت الاختياري ، و يمكنهم أن يتخلّوا عن البدن متى شاءوا حال حياتهم ، فتقوم صورتهم المثاليّة بمغادرة البدن .كما يمكن للبعض أن يتركوا و يتخلّوا عن

صورتهم المثاليّة فتخرج تلك النفس المجرّدة عن الصورة ، ثمّ ترجع إليها ثانية ، فيعودون أحياء يتحرّكون كالأفراد الآخرين .

و تبعاً لهذا فإنّ مقولة البعض ممّن تصوّروا أنّ الله عزّوجل أوجد في عالم البرزخ صورة مثاليّة للإنسان منفصلةً عنه ، و أنّ الإنسان يموت حين يموت فتخرج روحه و ترد في ذلك البدن المثاليّ البرزخيّ ، مقولةٌ خاطئة .

فليس القالب المثاليّ خارجاً عن حقيقة الإنسان ليخلقه الله فتحلّ الصورة فيه ، و تذهب الروح فيه . الصورة المثاليّة لها اتّحاد و معيّة مع الإنسان ، و هناك خلع و لبس يحصل بينهما ، تماماً كما أنّ للإنسان نوع من الاتّحاد مع لباسه ، إلّا أنّه يخلع اللباس و يُلقي به ، ثمّ يرتديه على جسده من جديد .

إنّ حقيقة الإنسان لا تنغمر في قالبٍ خارجٍ عنه ، و لا تخرج من قالبٍ خارجٍ عنه ؛ كما أنّ الصورة لا تدخل في بدن خارج عن حقيقتها ، و لا تخرج من بدنٍ خارج عنها ، فلها مع هذا البدن نوعٌ من الوحدة و المعيّة .

كما يُخطىء البعض ممّن يتخيّلون أنّ الصورة المثاليّة لا معنى لها أصلاً ، و أنّ ما يبقى من الإنسان بعد الموت أجزاء لطيفة و صغيرة جدّاً واقعة في البدن بحيث يقوم بها البدن ، و حين يموت هذا البدن و يُدفن تحت التراب و يتلاشى فإنّ تلك الأجزاء الممعنة في اللطافة و الصغر و التي تقوم بها حقيقة الإنسان و قوامه ، و التي ترتبط بها نُطفة الإنسان في أصل الخلقة و بدءها ، ستبقى حيّةً فيتعلّق بها العقاب أو الثواب و الجزاء . فهذه هي الأُخرى مقولة خاطئة .

و ذلك لأنّ تلك الأجزاء مهما تناهت في اللطف و الصغر ، فإنّها أخيراً مادّة و من الأجزاء المادّيّة لهذا العالم ، و عالم المادّة سينطوي بعد الموت ، و سيكون الحساب و السؤال للصورة التي رحلت عن هذه الدنيا

و وصلت إلى تجرّدها ، لا للمادّة .

و من جملة الأدلّة التي يمكن إقامتها على حياة الإنسان بعد الموت ، هاتان الآيتان اللتان ذُكرتا في مطلع الحديث :

وَ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

فبالوصول إلى مقام الولاية ، أي العبوديّة المطلقة ، سيزول عنهم أيّ نوع من الخوف و الحزن الذي هو من لوازم الكثرة و من آثار التفرقة و الثُنائيّة .

و سيحصل لديهم في ذلك العالم الذي يذهبون إليه اطّلاع على أرواح المؤمنين الذين لم يموتوا بعد ، و ذلك بسبب هذا النوع من السعة و التجرّد الذي يمتلكونه ، فيبشّرون أُولئك بهذا المقام الذي أنعم خالقُهم به عليهم .

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَ فَضْلٍ . و قد ذكر سابقاً أنّ المراد بهذه النعمة مرتبة الولاية ، أي الفناء في سبيل الله . و علاوة على ذلك فإنّ الربّ سبحانه سيُنيلهم المُنى من فضله فيُدركون حقيقة معنى : **وَ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِين .**

قال في هذه الآية : **وَ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ** ؛ و لم يقل : إنّ اللهَ يُحييهم يوم القيامة ، بل هم أحياء عند موتهم ؛ و هو دليل على الحياة و المعيشة البرزخيّة .

و بالطبع فإنّ الجميع أحياء ، و كلّ من يموت فهو حيّ ، إلّا أنّ خصوصيّة و ميزة أُولئكم التي ميّزهم القرآن بها جاءت في ذيل الآية : **عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ** .

و من الثابت في علم الحكمة المتعالية أنّ رزق الجواهر المجرّدة

المتلألئة هو مقارنة الصفات و الأسماء الإلـهيّة . فما أن تُوضع أمام نور الأسماء و الصفات ، و ما أن تتجلّى فيها وحدة الذات المقدّسة للخالق سبحانه ، فإنّ جواهر وجودهم ستتلألأ فتبعث فيهم البهجة و المسرّة التي لا تُوصَف ، و ستكون المعارف الإلـهيّة هي رزق الأرواح المجرّدة في تلك الحالة .

إنّ الله تعالى يُنعم عليهم بتلك الأرزاق ، و هم ـ من جهة أُخرى ـ يدركون أنّ هذا الرزق من الله تعالى ، و هذا الإدراك و التعقّل لهذا الرزق له قيمة و لذّة أكبر لديهم . لذا يقول : **يُرزَقُونَ** بالمعارف الإلـهيّة ، و **يُصقَل** جوهر وجودهم بواسطة مقارنتهم لأسمائه و صفاته .كما أنّهم منعّمون على الدوام **فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ، مسرورون مبتهجون بأنّ الله سبحانه قد عني بهم و تجلّى في الجوهر المجرّد لوجودهم ، و بأن أسماء ذات الحقّ الأزليّ و صفاته قد ظهرت فيهم .

و هذه الآية صريحة في الحياة بعد الموت ، و علاوة على دلالتها على الحياة بعد الموت فإنّها تدلّ ـ باعتبار أنّ رزقهم بعد موتهم هو ذلك الغذاء الملكوتيّ و ذلك الصلاح في عالم البرزخ ـ على تنعّم أرواح الموتى بالأرزاق المعنويّة و الملكوتيّة .

و لهذه الآية نظير في سورة البقرة (الآية ١٥٤) :

وَ لَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ .

الّتي تدلّ على الحياة بعد الموت .

و يقول في الآية ٢٥ من سورة نوح :

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً .

أي أنّهم حالما أُغرقوا في البحر فقد أُدخلوا النار ، و ذلك لأنّ الفاء

في العربيّة تأتي للترتيب الاتّصاليّ . يُقال : رأيتُ زيداً فقلتُ له : أي إنّني قلتُ لزيد حالما رأيتُه ، لا بعد ساعة مثلاً من رؤيتي له .

يقول «ابن مالك» النحويّ في معنى «الفاء» و «ثمّ» و الفرق بينهما :

وَالْفَاءُ لِلتَّرتِيبِ بِاتِّصَالِ و ثُمَّ لِلتَّرتِيبِ بِانْفِصَالِ

و عليه فإنّه يمكن الاستفادة من الآيات المباركة من سورة الفجر :

يَـٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى .[1]

والتي يخاطب فيها الله سبحانه النفوس التي وصلت إلى مقام السكينة و الاطمئنان :

«يا أيّتها النفس المطمئنّة» بإدراك التوحيد و الولاية ، «ارجعي إلى ربّك راضيةً» عن ربّك مرضيّة منه ، «فادخلي» في زمرة عبادي و أوليائي ، «و ادخلي جنّتي» .

إنّ الإنسان ما أنْ يرجع إلى ربّه ـ و رجوعُه موتُه ـ فإنّه يرد فوراً في زمرة أولياء الله و عباده الخاصّين و يدخل جنّته .

كمايقول أيضاً في الآيات ۸۸ ـ ۹٤ من سورة الواقعة :

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمٍ وَ أَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ وَ أَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ .

حيث يبيّن الخالق العظيم في هذه السورة واقعة سكرات الموت و قُربَه من الإنسان عند تلك السكرات . ثمّ يقول : إنّ مَن كان من المقرّبين فإنّ الرَوح و الريحان و جنّة نعيم الله سيصلهم بعد سكرات الموت مباشرة ،

١ـ الآيات ٢٧ ـ ٣٠ : من السورة ٨٩ : الفجر .

أي أنّهم سيردون في هذه النعم بعد موتهم مباشرة ؛ و أمّا أصحاب اليمين فإنّ الثواب و السلام من الله سيلحقهم فوراً ؛ و أمّا المكذّبين الضالّين فإنّ طعامهم طعام الجحيم الذي يُعَدّ لضيوف النار ، و سيصبّ الحميم الشبيه بالمعادن المصهورة في حلقومهم ، ثمّ يصلون نار جهنّم . و هذا هو العذاب البرزخيّ قبل عذاب القيامة .

و هذه الآية صريحة أيضاً في أنّ الثواب و العقاب يلحقان الإنسان بعد موته مباشرة ، و هما الثواب و العقاب البرزخيّ بالطبع لا ثواب و عقاب القيامة ، فتلك مرحلة أُخرى سيأتي البحث في كيفيّتها مفصّلاً .

روى المرحوم المجلسيّ في «بحار الأنوار» :

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَىٰ قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ لِلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ وَ قَدْ أُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ : لَقَدْ كُنْتُمْ جِيرَانَ سُوءٍ لِرَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَه عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَخْرَجْتُمُوهُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَ طَرَدْتُمُوهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ فَحَارَبْتُمُوهُ . فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! مَا خِطَابُكَ لِهَامٍ قَدْ صَدِيَت ؟

فَقَالَ لَهُ : مَهْ يَابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَآللَهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ ، وَ مَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَنْ تَأْخُذَهُمُ الْمَلَئِكَةُ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ إلَّا أَنْ أَعْرِضَ بِوَجْهِي هَكَذَا عَنْهُم.[1]

١ـ «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ٢٥٤ و ٢٥٥ . و يقول في الهامش : في «شرح العقائد» بعد قول رسول الله صلّى الله عليه و آله «فقد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً» زيادة : فهل وجدتهم ما وعدكم رَبُّكم حقّاً ؟ و أورد الغزالي نظير هذا الحديث في «إحياء العلوم» باب ما يلقاه الميّت في القبر إلى نفخة الصّور (ج ٤ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣) :

وَ لمّا قتل صنا ديد قريش يوم بدر ناداهم رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] و سلّم فقال : يا فُلان يا فُلان يا فلان قد وجدتُ ما وعدني رَبّي حقّاً فهل وجدتم ما وَعَدَ رَبُّكُم ⇦

و روي عن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه أنّه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلّل بين الصفوف حتّى مرّ على كعب بن سورة ـ و كان هذا قاضي البصرة ، ولّاه إيّاها عمرُ بن الخطّاب ، فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر و عثمان ، فلمّا وقعت الفتنة بالبصرة علّق في عنقه مصحفاً و خرج بأهله و ولده يقاتل أميرالمؤمنين عليه السلام فقُتلوا بأجمعهم ـ فوقف عليه أميرالمؤمنين و هو صريع بين القتلى ، فقال : أجلسوا كعب بن سورة ، فأُجلس بين نفسين ، فقال : يَا كَعْبَ بن سورة ! **قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً ، فَهَلْ وَجَدْتَ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقّاً** ؟ ثمّ قال : أضجعوا كعباً ؛ و سار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبيد الله صريعاً فقال : أجلسوا طلحة ، فأجلسوه . فقال له كما قال لصاحبه ثمّ قال : أضجعوا طلحة . فقال له رجل من أصحابه : يا أميرالمؤمنين ! ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك ؟ فقال : يا رجل ! فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله .[1]

و لهذا الدليل فقد وردت زيارة أهل القبور في روايات الشيعة والسنّة بألفاظ: **السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَهْلِ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ** .

و من جملة الأدلّة على الحياة في البرزخ قول رسول الله صلّى الله عليه و آله :

⇐ **حقّاً. فقيل : يا رسول الله أتناديهم و هم أموات ؟! فقال صلى الله عليه [و آله] و سلّم : والذي نفسي بيده إنّهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلّا أنّهم لا يقدرون على الجواب .**

ثمّ يقول العراقيّ مستخرج أحاديث «الإحياء» في الهامش : و قد روى مسلم هذا الحديث عن عمر بن الخطّاب .

١ـ «بحار الأنوار» ، طبعة الآخوند ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ .

اَلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ .[1]

كما روي مضمون هذا الحديث عن الإمام سيّد الساجدين عليه السلام أيضاً .[2]

و مع أنّ الإنسان لم يصل بعد موته إلى تلك الجنّة أو النار اللتين يراهما يوم القيامة ، إلّا أنّ مثالاً و أُنموذجاً سيظهر له منها ، و هو تلك الروضة من رياض الجنّة أو الحفرة من حفر النيران .

و الدليل الآخر على الحياة البرزخيّة قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : **مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ .**[3]

و الدليل الآخر قول رسول الله صلّى الله عليه و آله :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَمُوتُونَ وَلَـٰكِنْ يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَىٰ دَارٍ .

وقد بيّن الفخر الرازيّ في تفسيره جميع هذه الوجوه، ذيل تفسير هذه الآية المباركة من سورة آل عمران : **بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .**

كما قال الشيخ الطبرسيّ في تفسير «مجمع البيان» ذيل هذه الآية :

و روي عنه [عن رسول الله صلّى الله عليه و آله] أنّه قال لجعفر بن أبي طالب و قد استشهد في غزاة مؤتة :

رَأَيْتُهُ وَ لَهُ جَنَاحَانِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ .

فإن كانت الروح البرزخيّة و الصورة تموتان بمجرّد موت الإنسان ،

١ـ «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ ، نقلاً عن الفخر الرازيّ في تفسيره ، ذيل قوله تعالى : **بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** . و أورده في «إحياء العلوم» ، باب ما يلقاه الميّت في القبر ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، و يقول العراقيّ في الهامش : و قد روى الترمذيّ هذا الحديث عن أبي سعيد [الخدريّ] .

٢ـ «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢١٤ و ٢١٥ .

٣ـ «إحياء العلوم» ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

فإنّ امتلاك الجناحين و الطيران في الجنة سيكونان أمراً لا معنى له .

و علاوة على ما ذُكر ، فإنّنا سنورد أيضاً في المباحث التالية آيات و روايات لها دلالة على الثواب و العذاب البرزخيّ لئلّا يبقى هناك محلّ للشبهة .

و قد أورد الشيخ الطبرسيّ في «الاحتجاج» ضمن حديث طويل يطرح فيه أحدُ الزنادقة أسئلة على الإمام الصادق عليه السلام ، جاء فيه أنّ ذلك الزنديق قال للإمام : أخبرني عن السّراج إذا انطفأ أين يذهب نوره ؟

قال : يذهب فلا يعود .

قال : فما أنكرتَ أن يكون الإنسان مثل ذلك ، إذا مات و فارقت الروح البدن لم ترجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السّراج إليه إذا انطفأ ؟

قال : لم تُصِب القياس . إنّ النار في الأجسام كامنة و الأجسام قائمة بأعيانها كالحجر و الحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء . فالنار ثابتة في أجسامها و الضوء ذاهب ، و الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السّراج الذي ذكرت .

إنّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماءٍ صافٍ ، و ركّب فيه ضروباً مختلفة من عروق و عصب و أسنان و شعر و عظام و غير ذلك هو يُحييه بعد موته و يُعيده بعد فنائه .

قال : فأين الروح ؟

قال : في بطن الأرض حيث مصرح البدن إلى وقت البعث .

قال : فمن صُلِبَ أين روحه ؟

قال : في كفّ المَلَك الذي قبضها حتّى يودعها الأرض .

قال : أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ ؟

قال : بل هو باقٍ إلى وقت يُنفَخُ في الصُّور ، فعند ذلك تبطل الأشياء

و تفنى ، فلا حسّ و لا محسوس ، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرُها ، و ذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق ، و ذلك بين النفختين .[1]

و قد روى الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» بسنده عن الشيخ أبي عبدالله الغضائريّ ، عن الشيخ الصدوق ؛ و روى المرحوم الصدوق في كتاب «علل الشرايع» عن أبي الحسن بن إبراهيم الهمدانيّ ، عن جعفر بن يوسف الأزديّ ، عن عليّ بن نوح الحنّاط ، عن عمرو بن اليَسع ، عن عبدالله بن سنان ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله فقيل إنّ سعد بن معاذ قد مات . فقام رسول الله صلّى الله عليه و آله و قام أصحابه فحمل فأمر فَغُسِّل على عضادة الباب ، فلمّا أن حُنِّط و كُفِّن و حُمِل على سريره تبعه رسول الله ، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّةً و يسرة السرير مرّة حتّى انتهى به إلى القبر فنزل به رسولُ الله صلّى الله عليه و آله حتّى لحّده و سوّى عليه اللَّبِنَ و جعل يقول : ناولني حجراً ناولني تُراباً رطباً يسدّ به ما بين اللبن ؛ فلمّا أن فرغ وحثا التراب عليه و سوّى قبره قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **إنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْلَي وَيَصِلُ إلَيْهِ الْبِلَى وَلَكِنَّ آللَهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ عَبْدَاً إذَا عَمِلَ عَمَلاً أَحْكَمَهُ** ، فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أُمُّ سعد من جانب : هنيئاً لك الجنّة .

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله : يا أُمَّ سعد مه لا تجزمي على ربّك فإنّ سعداً قد أصابته ضمّةٌ .

قال : و رجع رسول الله صلّى الله عليه و آله و رجع الناس ، فقالوا : يا رسول الله لقد رأيناك صنعتَ على سعد ما لم تصنعه على أحد ، إنّك

١ـ «الاحتجاج» للطبرسيّ ، ج ٢ ، ص ٩٦ و ٩٧ طبع النجف ، ذكره ضمن حديث طويل .

تبعتَ جنازته بلا رداء و لا حذاء !

فقال صلّى الله عليه و آله : إنّ الملائكة كانت بلا حذاء و لا رداء فتأسّيتُ بهما .

قالوا : و كنتَ تأخذ يمنة السرير مرّةً و يسرة السرير مرّةً .

قال : كانت يدي في يد جبرئيل آخذُ حيث ما أخذ .

فقالوا : أمرتَ بغسله و صلّيتَ على جنازته و لحّدته ثمّ قلتَ : إنّ سعداً قد أصابته ضمّة !

قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله : نعم ، إنّه كان في خُلقه مع أهله سوء .[1]

و قد أورد المرحوم الصدوق هذه الرواية في كتاب «الأمالي» أيضاً .[2]

و لقد وقعت قصّة عجيبة في هذه الدنيا لسماحة آية الله ، رئيس الملّة و الدين ، شيخ الفقهاء و المجتهدين ، المرحوم الآخوند المولى محمد مهدي النِّراقيّ[3] أعلى الله مقامه الشريف .

و كان المرحوم النّراقيّ من كبار العلماء ، و كان جامعاً للعلوم العقليّة و النقليّة و حائزاً لمرتبة العلم و العمل و العرفان الإلـهيّ ، و كان في الفقه و الأُصول و الحكمة و الرياضيّات و العلوم الغريبة و الأخلاق و العرفان من علماء الإسلام الذين عزّ نظيرهم . و المرحوم النّراقيّ جدّنا الأكبر لأُمّنا ، أي أنّه كان أباً لجدّة جدّة الحقير لأمّة . و كان ولده الكريم الحاج المولى أحمد

١ـ «الأمالي» للشيخ الطوسيّ ، طبع النجف المجلد الثاني ، الجزء ١٥ ، ص ٤٠ ـ ٤٢ و «علل الشرائع» طبع حيدري ـ النجف ، الباب ٢٦٢ ـ العلّة التي من أجلها يكون عذاب القبر ص ٣٠٩ ، ج ١ .

٢ـ «الأمالي» الطبعة الحجريّة ، المجلس ٦١ ، ص ٢٣١ .

٣ـ نِراق على وزن عِراق .

النّراقيّ ـ خالُنا ـ أُستاذاً للمرحوم الشيخ الأنصاريّ ، وكان من العلماء البارزين و له تصانيف عديدة وكان الشيخ الأنصاريّ قد جاء من العتبات المقدّسة إلى إيران أوان دراسته ، فذهب إلى أصفهان ، ثمّ قدم إلى قاسان (كاشان) فأفاد من محضر و درس الآخوند المولى أحمد النّراقيّ أربع سنوات كاملة ، عاد بعدها إلى النجف الأشرف .

و هذه القصّة مشهورة بين علماء و طلّاب النجف الأشرف ،كما أنّها تُعدّ بين أرحامنا و أقاربنا من جهة الأُمّ من الأُمور المسلّمة لأحوال المرحوم النّراقيّ.

لقد سكن المرحوم النّراقيّ النجف الأشرف و توفّي فيها ، و مقبرته في‌النجف مُلحقة بالصحن المطهّر ، و قد مرّ عليه خلال أيّام إقامته في النجف يومٌ من أيّام شهر رمضان لم يكن لديه شيء في منزله للإفطار ، فقالت له زوجته : ليس في البيت من شيء ، فاخرج و أحضر شيئاً !

و يغادر المرحوم النّراقيّ البيت و ليس في جيبه فلس واحد ، فيتوجّه مباشرةً إلى وادي السلام في النجف لزيارة أهل القبور ، و يجلس مدّة بين القبور يقرأ الفاتحة ، حتّى مالت الشمس للغروب و بدأ الظلام ينتشر رويداً رويداً .

ثمّ يرى المرحوم في تلك الحال جماعة من العرب و قد جاءوا بجنازة و حفروا لها قبراً ، ثمّ إنّهم وضعوا الجنازة في‌القبر و التفتوا إلى المرحوم النّراقيّ فقالوا : إنّ لدينا عملاً و نحن في عجلة من أمرنا لنعود إلى مكاننا ، فقمْ أنت بباقي تجهيزات هذه الجنازة . ثمّ إنّهم تركوا الجنازة و ذهبوا .

يقول المرحوم النّراقيّ : دخلتُ القبر لأفتح الكفن و أضع خدّ الميّت على التراب ثمّ أضع فوقه اللَبِنَ و أهيل عليه التراب ، فشاهدتُ فجأة نافذةً ، ثمّ دخلتُ تلك النافذة لأُشاهد روضة كبيرة ذات أشجار خضراء يانعة متكاتفة محمّلة بالثمار المتنوّعة .

و كان هناك طريقٌ من باب هذه الروضة إلى قصرٍ مجلّل ، و قد فُرش هذا الطريق بأجمعه بحصى صغار من المجوهرات .

وردتُ بلا إرادة منّي ، و توجّهتُ مباشرةً إلى ذلك القصر ، فرأيت أنّه قصر فخم مبنيّ بطابوق من المجوهرات ، ثمّ صعدتُ السلّم و دخلتُ غرفةً كبيرة فشاهدتُ شخصاً يتصدّر تلك الغرفة و أشخاصاً جالسين في أطراف الغرفة فسلّمت عليهم و جلستُ ، فردّوا عليّ السلام .

ثمّ شاهدتُ أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة كانوا يُديمون السؤال من ذلك الجالس في صدرها عن أحواله ، و يستفسرون عن أحوال أقاربهم و خاصّتهم ، فكان يجيب على أسئلتهم .كان ذلك الرجل مبتهجاً مسروراً و هو يجيب على أسئلة الجالسين واحداً بعد الآخر .

ثمّ انقضت مدّة فشاهدتُ فجأة أنّ ثعباناً قد دخل من باب الغرفة و توجّة مباشرةً إلى ذلك الرجل فلدغه ثمّ خرج من الغرفة . و لقد امتقع وجه ذلك الرجل من ألم لدغة الثعبان و تورّم بعض الشيء ، ثمّ أنّه عاد إلى حاله الأُولى تدريجاً ، فشرعوا من جديد بالحديث مع بعضهم و بالاستفسار عن الأحوال و السؤال عن أخبار الدنيا من ذلك الرجل .

ثمّ انقضت ساعة فشاهدتُ مرّة أُخرى أنّ ذلك الثعبان دخل من الباب من جديد و لدغ الرجل بنفس الطريقة و عاد من حيث أتى . فاضطربت حالُ الرجل و امتقع وجهه ، ثمّ أنّه عاد إلى حاله الأُولى .

فسألته في تلك الحال : من أنت أيها السيّد ؟ و أين هذا المكان ؟ و لمن هذا القصر ؟ و ما هذا الثعبان ؟ و لماذا يقوم بلدغك ؟

قال : أنا الميّت الذي وضعتَه توّاً في القبر ،كما أنّ روضة الجنّة البرزخيّة هذه لي ، أنعم الله عليّ بها فظهرتْ من نافذة فُتحت من قبري إلى عالم البرزخ . هذا القصر لي ، و هذه الأشجار المجلّلة ، و هذه المجوهرات ،

و هذا المكان الذي تراه جنّتي البرزخيّة ، و ها قد جئتُ إلى هنا .كما أنّ هؤلاء الجالسين في أطراف الغرفة أقاربي و أرحامي الذين توفّوا قبلي ، و هاهم قدموا لرؤيتي و للسؤال عن أهليهم و أرحامهم و أقاربهم في الدنيا ، فكنتُ أُحدّثهم عن أحوال أُولئكم .

قلتُ : فلماذا يلدغك هذا الثعبان ؟!

قال : إليك الأمر : أنا رجلٌ مؤمن ، من أهل الصلاة و الصيام و الخُمس و الزكاة ، و مهما فكّرتُ فإنّني لا أجد أنّ خطأً قد بدر منّي لأستحقّ عليه عقوبةً كهذه . و هذه الروضة بهذه المواصفات هي النتيجة البرزخيّة لأعمالي الصّالحة تلك . اللّهمّ إلّا أنّي كنتُ أسير في الزقاق يوماً في حرّ الصيف ، فرأيتُ صاحب دكّان ينازع أحد الذين يشترون منه ، فاقتربتُ منهما لأصلح بينهما ، فرأيت صاحب الدكّان يقول : إنّني أطلبك ثلاثمائة دينار (ستّة شاهيّات) ، بينما المشتري يقول : إنّني مدين بخمسة شاهيّات .

فقلتُ لصاحب الدكّان : تنازل عن نصف شاهي . و قلتُ للمشتري :تنازل أنت أيضاً و ارفع يدك عن نصف شاهي ، فأعطِ خمسة شاهيّات و نصف لصاحب الدكّان ! فسكتَ صاحبُ الدكّان و لم يقلْ شيئاً .

و لأنّ الحقّ كان لصاحب الدكّان ، و لأنّي كنتُ بقضائي الذي لم يرضه صاحب الدكّان قد أضعتُ نصف شاهي من حقّه ، فإنّ الله عزّوجل ـ جزاءً لهذا العمل ـ قد عيّن لي هذ الثعبان ليلدغني بهذا المنوال كلّ ساعة إلى يوم يُنفخ فيالصّور فيحضر الخلائق في المحشر للحساب ، و أنجو آنذاك ببركة شفاعة محمّد و آل محمّد عليهم السلام .

ثمّ إنّي حين سمعت بذلك نهضتُ و قلتُ : إنّ أهلي ينتظروني في البيت ، و عَلَيَّ أن أذهب فآخذ لهم إفطاراً.

فنهض ذلك الرجل الجالس في صدر الغرفة فشايعني إلى الباب ،

و حين أردت الخروج أعطاني كيساً صغيراً من الرزّ و قال : هذا رزّ جيّد ، فخذه لعيالك !

فأخذتُ الرزّ و وودعته و خرجتُ من الروضة من النافذة التي كنتُ قد دخلتُها من قبل ، فرأيتني داخل ذلك القبر ، و كان الميّت راقداً على الأرض و ليس هناك من نافذة . ثمّ إنّي خرجتُ من القبر و وضعتُ عليه اللَّبن وأهلتُ التراب، و توجّهت إلى منزلي و جلبتُ كيس الرزّ فطبخنا منه .

و انقضت مدّة و نحن نطبخ من ذلك الرزّ فلا ينفد ، و كلّما طبخنا منه شيئاً فاحت منه رائحة طيبّة فعطّرت أرجاء المحلّة ، و كان الجيران يتساءلون : من أين اشتريتم هذا الرزّ ؟

و أخيراً حلّ يومٌ لم أكن فيه في المنزل ، فقدم إلينا أحد الضيوف ، و قامت زوجتي بطبخ شيء من ذلك الرزّ و تركته على النار لينضج ، و كان العطر الفوّاح يتصاعد منه فيملأ فضاء البيت . و يتساءل ذلك الضيف : من أين لكم هذا الرزّ الذي يفوق في عطره جميع أنواع الرزّ العنبر ؟

فاستحيت زوجتي و شرحت له القصّة ؛ ثمّ إنّهم طبخوا القدر الباقي من الرزّ بعد ذلك فنفد جميعه و لم يبقَ منه شيء .

بلى ، هذه هي أطعمة الجنّة التي يرزقها الله سبحانه للمقرّبين من حضرته .

و قد ورد في القرآن الكريم في أمر مريم عليها السلام :

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسابٍ .[1]

لقد جاءوا بمريم عليها السلام إلى بيت المقدس للعبادة ؛ فوضعت

١ـ الآية ٣٧ ، من السورة ٣ : آل عمران .

تحت كفالة زكريّا على نبيّنا و آله و عليه السلام و انشغلت بالعبادة . و لم يكن هناك دجاج أو حساء ، بل كان الطعام هناك الجوع و الصيام ، لأنّها كانت قد وضعت تحت التعليم و التربيّة الروحانيّة . بَيْدَ أنّ زكريّا كلّما دخل على مريم سلام الله عليها المحراب وجد عندها من فواكه الجنّة و من الأرزاق المعنويّة . فكان يقول : يا مريم أنّى لك هذا ؟ فتجيبه : هذا طعام ملكوتيّ قدّره الله لي ، إنّه يرزق من هذه الأرزاق المعنويّة مَن يشاء بغير حساب .

فإذا ما اجتنب امرؤ المحرّمات ، و تورّع عن الشبهات ، فإنّ نصيبه سيكون من أمثال هذه الأرزاق المباركة . أمّا اذا تناول امرؤ طعاماً من حرام ، فإنّ دعاءه لن يُستجاب لأربعين يوماً ، كما أنّ قلبه سيسودّ و يتكدّر .

روى المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «الخرائج و الجرائح» للشيخ سعيد بن هبة الله القطب الراونديّ : روي أنّ عليّاً عليه السلام أصبح يوماً فقال لفاطمة عليها السلام : عندكِ شيء تغذّينيه ؟ قالت : لا . فخرج و استقرض ديناراً ليبتاع ما يُصلحهم ، فإذا المقداد في جهدٍ و عيالُه جياع ، فأعطاه الدينار و دخل المسجد و صلّى الظهر و العصر مع رسول الله صلّى الله عليه و آله . ثمّ أخذ النبيّ بِيَدِ عليّ و انطلقا إلى فاطمة و هي في مصلّاها و خلفها جفنةٌ تفور .

فلمّا سمعت كلام رسول الله صلّى الله عليه و اله خرجت فسلّمت عليه و كانت أعزّ الناس عليه ، فردّ السلام و مسح بيده على رأسها ثمّ قال : عَشِّينا غفرَ اللَّهُ لَكِ و قد فعل ! فأخذت الجفنةَ فوضعتها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه و آله .

قال : يا فاطمة ! أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قطٌّ و لم أشمَّ مثلَ رائحته قطُّ و لم آكل أطيبَ منه ؟ و وضع كفّه بين

كتفي.[1] و قال: هذا بدلٌ عن دينارك، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب.[2]

و روى المجلسيّ نظير هذه الرواية أيضاً عن «تفسير العيّاشيّ».[3]

يقول المجلسيّ ـ ذيل الرواية التي أوردناها ـ: قال الزمخشريُّ في «الكشّاف» عند ذكر قصّة زكريّا و مريم عليهما السلام، و عن النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أنّه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رغيفين و بضعة لحم آثرتهُ بها فرجع به إليها فقال: هلمّي يا بنيّة! و كشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً و لحماً، فبهتت و علمت أنّها نزلت من الله، فقال لها: أنّى لكِ هذا؟ قالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه السّلام: الحمد لله الذي جعلكِ شبيهةَ سيّدةِ نساء بني إسرائيل، ثمّ جمع رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّ بن أبي طالب و الحسن و الحسين و جميع أهل بيته عليهم السلام شبعوا و بقي الطعام كما هو و أوسعت فاطمة عليها السلام على جيرانها.

بلى! إنّ الصورة الملكوتيّة للجوع و العطش في سبيل الله و تقرّباً إليه عزَّ وجلَّ هي المائدة السماويّة و الماء العذب المَعين اللذان سيكونان من نصيب هذا السالك.

مثلما روى المقرّم عن «مقتل الخوارزميّ» ج ٢، ص ٣١، و عن

١ـ لم يرد لفظ «أميرالمؤمنين» في عبارة المجلسيّ التي ينقلها عن «الخرائج»؛ بَيد أنّه يتّضح أنّ لفظ عليّ بن أبي طالب قد سقط من قلم النسّاخ في هذه الرواية التي نقلناها، و ذلك يُستفاد أوّلاً من قرينة أنّ مُخاطَب رسولِ الله كان أميرالمؤمنين عليه السلام، و ثانياً من قرينة روايةٍ أُخرى يرويها المجلسيّ في البحار، ج ١٠، ص ١٨ من الطبعة الكمباني، و في ج ٤٣ ص ٥٩ طبعة الآخوند. نقلاً عن «تفسير فرات بن إبراهيم» ورد فيها لفظ عليّ بن أبي طالب.

٢ـ «بحار الأنوار»، الطبعة الكمباني، ج ١٠، ص ١٠؛ و طبعة الآخوند، ج ٤٣، ص ٢٩.

٣ـ «بحار الأنوار»، الطبعة الكمباني، ج ١٠، ص ١١؛ و طبعة الآخوند، ج ٤٣، ص ٢٩.

«مقتل العوالم» ، ص ٩٥ :

[و لمّا قَتل عليٌّ الأكبر سلام الله عليه في الدفعة الأُولى مائة و عشرين فارساً عاد من المعركة] **وَ قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ فَرَجَعَ إِلَىٰ أَبِيهِ يَسْتَرِيحُ وَ يَذْكُرُ مَا أَجْهَدَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَبَكَىٰ الْحُسَيْنُ** عليه السلام **وَ قَالَ : وَاغَوْثَاهُ مَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى بِجَدِّكَ فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا ، وَ أَخَذَ لِسَانَهُ فَمَصَّهُ وَ دَفَعَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ لِيَضَعَهُ فِي فِيهِ .**[1]

لكأنّ عليّ الأكبر أراد أن يُعْلِمَ أباه بأنّ رسول الله قد سقاه في الدفعة الثانية حين حاربَ فقطّعوه إرباً إرباً . لذا فقد :

وَ نَادَى رَافِعاً صَوْتَهُ : عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ أَبَا عَبْدِاللّهِ ، هَذَا جَدِّي قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهَا وَ هُوَ يَقُولُ إِنَّ لَكَ كَأْساً مَذْخُورَةً .[2]

لقد حقّ للأبّ ؛ من أجل هكذا شهادة ،مظهر للقدس و التقوى ؛ أن يرفع أنينه فيقول : على الدنيا بعدك العفا .

حيث يروي الطبريّ بسنده عن حميد بن مسلم قال :

سِماعُ أُذُنِي يومئذٍ مِنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : قَتَلَ اللّهُ قَوْماً قَتَلُوكَ يَا بُنَيَّ ! مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ ، وَ عَلَىٰ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ ! عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ .

قَالَ : وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مُسْرِعَةً كَأَنَّهَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ تُنَادِي : يَا أُخَيَّاهُ ؟ وَيَابْنَ أُخَيَّاهُ !

قَالَ : فَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ : هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةُ فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللّهِ

١ـ «مقتل الحسين» للمقرّم ، ص ٢٩٨ ؛ و نقلها في كتاب «عليّ الأكبر» للمقرّم ، ص ٨٠ عن «اللهوف» بهذه العبارة : العطشُ قتلني و ثقلُ الحديد أجهدني فهل إلى شربةِ ماءٍ أتقوّى بها على الأعداء ؟

٢ـ «مقتل المقرّم» ، ص ٣٠٠ .

صَلَى ٱللَّهُ عَلَيهِ [و آله] وَ سَلَّمَ ، فَجَاءَتْ حَتَّىٰ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، فَجَاءَهَا الْحُسَيْنُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَرَدَّهَا إِلَىٰ الْفُسْطَاطِ.[1]

١ـ «تاريخ الطبريّ» ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، المجلّد الخامس ، ص ٤٤٦.

المجلس الثالث عشر

مُفترق طريقي السّعادة والشّقاء يصبح في البرزخ طريقاً واحداً



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

(مطالب ألقيت في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لاحول و لاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم

و صلّى ٱللهُ على محمّد و آله الطاهرين

و لعنة ٱللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ[1] * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ .[2]

يقول عليّ بن إبراهيم في تفسيره : فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة مادامت السموات و الأرض . و قوله «**وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا**» يعني في جنّات الدنيا التي تُنقل إليها أرواح المؤمنين «**مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**» يعني

١ـ يمكن أن يُقال إنّ الزفير و الشهيق عائد لجهنّم ، أي تلك الشُعل الملتهبة و الألسنة الناريّة المتأجّجة ،كما يمكن أن يقال إنّ زفير و شهيق جهنّم من نفس الجهنميّين ،كما يدلّ عليه لفظ «لهم» .

٢ـ الآيات ١٠٥ ، إلى ١٠٨ ، من السورة ١١ : هود .

غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنّة بل يكون متّصلاً به ، و هو ردٌّ على مَن يُنكِر عذاب القبر و الثواب في الدنيا ، في البرزخ قبل يوم القيامة .[1]

و كما يظهر من كلام هذا الرجل الجليل ، فإنّ المراد من جنّة و جهنّم الدنيا ، جنّة و جهنّم البرزخ . و قد عُبّر عن عالم البرزخ بالدنيا باعتباره تتمّةً لعالم الدنيا ، و لأن فيه وجوداً من الصورة و الكمّ و الكيف .

كما يقول عليّ بن إبراهيم في مقدّمة تفسيره :

و امّا الردّ على من أنكر الثواب و العقاب ، فقوله :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ .

و أمّا قوله «**مَادَامَتُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**» إنّما هو في الدنيا ، فإذا قامت القيامة تبدّل السموات و الأرض ، و قوله :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَ عَشِيّاً .[2]

فالغدوّ و العشيّ إنّما يكون في الدنيا في دار المشركين ، و أمّا فيالقيامة فلا يكون غدّواً و لا عشيّاً . و قوله :

وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيّاً .[3]

يعنى في جنان الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين ، فأمّا في جنّات الخلد فلا يكون غدوّاً و لا عشيًّا . و قوله :

وَ مِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ .[4]

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٣١٤ و ٣١٥ .

٢ـ الآية ٤٦ ، من السورة ٤٠ : غافر

٣ـ الآية ٦٢ ، من السورة ١٩ : مريم

٤ـ الآية ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون

فقال الصادق عليه السلام : البرزخ القبر ، و فيه الثواب و العقاب بين الدنيا و الآخرة . و الدليل على ذلك أيضاً قول العالِم عليه السلام :

وَٱللَّهِ مَا نَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا ٱلْبَرْزَخَ .

(و أمّا في القيامة فالشفاعة هناك بأيدنيا فنحن أولى بالشفاعة لكم) .

و قوله تعالى :

وَ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ .[1]

قال الصادق عليه السلام :

يَسْتَبْشِرونَ وَاللَهِ فِي الْجَنَّةِ بِمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ مِنَ الْمُؤمِنِينَ فِي الدُّنْيَا . (أي أنّ الدنيا لا تزال قائمة ، فالقيامة لم تقم بعدُ ، و لم يحن حين جنّة القيامة بعدُ ؛ و عليه فإنّ المراد بالجنّة في هذه الآية الكريمة المباركة الجنّة البرزخيّة التي تتلائم و بقاء الدنيا.)

و مثله كثير ممّا هو ردّ على من أنكر عذاب القبر .[2]

و قد روى سماحة العلاّمة الطباطبائيّ مدّ ظلّه[3] في رسالة المعاد «الإنسان بعد الدنيا» نظير هذا الاستدلال في دلالة الآيات على الجنّة البرزخيّة عن تفسير النعمانيّ عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام .[4 و 5]

١ـ الآيتان ١٦٩ و ١٧٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» الطبعة الحجريّة ، ص ١٨ .

٣ـ أُلّف هذا الكتاب في حياته (قدّه) ، و آثرنا الإبقاء على تعبير المصنّف . (م)

٤ـ رسالة «الإنسان بعد الدنيا» ، ص ١١ .

٥ـ و يقول في «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، ص ٤١٢ ، ذيل الآية الشريفة **«و لهم رزقهم فيها بكرةً و عشيًّا»** : ⇦

و الخلاصة ، فإنّ الاستدلال بهذه الآيات التي فيها دلالة على عالم البرزخ و الثواب و العقاب البرزخيّ يعتمدُ و يستند إلى آياتٍ أُخرى صُرّح فيها بأنّ وجود السموات و الأرض و النجوم و الجبال و غيرها سيضمحل و يتلاشى عند قيام القيامة ، فآنذاك ستتناثر السموات و تتفرّق عن بعضها ، و ستنشقّ الأرض ، و تنكسف الشمس ، و تتساقط النجوم ، و يستحيل العالم عالماً آخر .

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ .[١]

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْفَطَرَتْ * وَ إِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنْتَثَرَتْ .[٢]

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَ إِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنْكَدَرَتْ .[٣]

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ .[٤]

⇦ ذلك في جنّات الدنيا قبل القيامة . و الدليل على ذلك قوله «بُكرةً و عشيّاً» ، فالبكرة و العشيّ لا تكون في الآخرة في جنّات الخلد ، و إنّما يكون الغدوّ و العشيّ في جنّات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين و تطلع فيها الشمس و القمر .

و يقول أيضاً في نفس التفسير ، ص ٥٨٦ ذيل الآية المباركة «النار يُعرضون عليها غدّواً و عشيّاً» :

ذلك في الدنيا قبل القيامة ، و ذلك أنّ في القيامة لا يكون غدوّاً و لا عشيّاً ، لأن الغدوّ و العشيّ إنّما يكون في الشمس و القمر ، ليس في جنان الخلد و نيرانها شمس و لا قمر .

قال : و قال رجل لأبي عبدالله [الصادق] عليه السلام : ما تقول الناس فيها؟ فقال : يقولون إنّها في نار الخلد و هم لا يعذّبون فيما بين ذلك . فقال عليه السلام : فهم من السعداء ؟ فقيل له : جُعلتُ فداك فكيف هذا ؟ فقال : إنّما هذا في الدنيا ، و أمّا في نار الخلد فهو قوله : «**و يوم تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب**» .

١ـ الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

٢ـ الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

٣ـ الآيتان ١ و ٢ ، من السورة ٨١ : التكوير .

٤ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ * وَ تَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ .[1]

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَ تَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ .[2]

فهذه الآيات تبيّن القيامة الكبرى و مقام تجلّي النفس هناك ، و لأنّ النفس أعلى من الصورة و المثال ، و لأنّ حقيقتها غير متعيّنة أو محدّدة بالكمّ و الكيف ، فليس هناك من سماء و لا أرض و لا نجم و لا جبل ، بل ستكون السماء و الأرض في صورة أُخرى غير السماء و الأرض .

و على ذلك فإنّ جميع الآيات التي قدّرت فيها نِعَمُ الجنّة أو نِقَمُ جهنّم وحُدّدت ببقاء و دوام السموات والأرض ، و اعتبرت فيها دائمة بدوام وجودها ؛ ستكون عائدة إلى الجنّة المثاليّة و البرزخيّة [و إلى جهنّم المثاليّة و البرزخيّة].

و لأنّ البرزخ عالم الصورة ، فإنّ فيه سماء و أرض ،كما أنّ الموجودات و النفوس البرزخيّة لها اطّلاع على الدنيا و على السموات و الأرض ، و بالطبع فإنّ حياة أُولئكم في ملكوت السموات و الأرض .

و أمّا تلك الآية المباركة :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَ عَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ .[3]

فيمكن الإفادة منها من جهات عديدة بأنّها عائدة إلى عالم البرزخ لا إلى عالم القيامة الكبرى .

الجهة الأُولى : من عنوان «الغدوّ و العشيّ» ، لأنّه ـ و لما ذُكر ـ ليس

١ـ الآيتان ٤ و ٥ ، من السورة ١٠١ : القارعة .

٢ـ الآيتان ٨ و ٩ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣ـ الآية ٤٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

هناك ليل أو نهار في القيامة الكبرى .

الثانية : من عنوان «يُعرضون عليها» ، لأنّ معناه أنّ المشركين يعرضون على النار ، و معنى العرض ليس الإبقاء في النار ، بل المرور إلى جانبها ، و الوضع في جوارها ، فتُعرض عليهم النار بحيث لا يشملهم لهبها و شعلتها ، و لكنّ شيئاً من حرارتها يصلهم إجمالاً ، فيتألّمون و يتأثّرون من منظرها المُذهل المحيّر . و كما قلنا سابقاً فليس هناك في البرزخ جنّة و لا جهنّم للقيامة ، بل إنّ البرزخ ممرّ القيامة و نافذة عليها :

يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ ، أَوَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ .

الثالثة : قوله بعد الآية :

وَ يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ .

فبعد أن يُعرض هؤلاء على النار غدّواً و عشيّاً ، يستمرّ هذا المعنى حتّى تصل ساعة القيامة فيأتي الخطاب إلى ملائكة العذاب أن أدخلوا آل فرعون في الحال «في» أشدّ العذاب . فيتضّح إذن أنّهم كانوا في العذاب قبل القيامة ، إلّا أنّ ذلك العذاب لم يكن في غايته و درجته القصوى ، و ها هو العذاب الغائيّ و النهائيّ ينالهم ؛ فذلك المحلّ و العالم الذي كان فيه آل فرعون معذّبون بغير العذاب النهائيّ ، يُقال له عالم البرزخ .

أمّا علّة اختصاص آية **لَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ بُكْرَةً وَ عَشِيّاً**[1] بالبرزخ ، فهي أنّ هناك صباحاً و مساءً و تدريجاً زمانيّاً ينشأ من حركة الشمس و القمر و الأرض ، أو فلك الأفلاك و النِسَب الخاصّة بينها ، أو من امتداد الحركة الجوهريّة التي تظهر في باطن الموجودات و ذواتها ، بينما ليس هناك في القيامة أرض و لا سماء ، لذا فلا وجود بينها للنسبة التي يُنتزع منها الزمان .

١ـ الآية ٦٢ ، من السورة ١٩ ، مريم .

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَايَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَ لَا زَمْهَرِيراً .[1]

فليس هناك من شمسٍ لتُشاهَد ، و لا لزمهرير ليؤذي برده الأبرار أو يزعجهم .

إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ .[2]

إنّ أُولئك الذين يُجادلون في آيات الله و يكذّبون بآياته و بما أرسل به أنبياءَهُ ، سرعان ما يحصل لهم العلم ، حين تعلّق السلاسل و الأغلال في أعناقهم فيجرّون إلى الحميم ثمّ يُسجرون و يُحرقون في النار .

و الحميم يُقال للشيء الحارّ ، كالماء الحارّ ، و الهواء الحارّ و أمثال ذلك ؛ و السحب بمعنى الجرّ ؛ و السَجْر بمعنى الإحراق ، سَجَر التنور : أشعله .

كما أنّ «ثُمّ» تفيد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ التراخي و الانفصال ، أي بعد مدّة و زمن ما . لذا فإنّ معنى هذه الآية سيكون :

إنّ هؤلاء المجادلين و المكذّبين سيجرّون أوّلاً في الهواء الحارّ أو الماء الحارّ ، ثمّ يُلْقَون في النار فيُسجرون و يُحرقون .

و من المعلوم أنّ المراد من السحب في الحميم هو عالم البرزخ ، حيث يعانون هناك من الحرارة ؛ و المراد بالسَجْر : في نار عالم القيامة ، حيث يحترقون هناك بكلّ ما في الكلمة من معنى ، و يرون جزاءهم الأخير .

و يمكن أيضاً الاستدلال بهذه الآية :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ

١ـ الآية ١٣ ، من السورة ٧٦ : الإنسان (الدهر) .

٢ـ الآيتان ٧١ و ٧٢ ، من السورة ٤٠ : غافر .

رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ .[1]

فحين يحين زمن موت أحدكم فإنّ ملائكتنا الموكّلين بقبض الأرواح سيقبضون روحه و لا يفرّطون أو يقصرّون في عملهم هذا ، ثمّ إنّهم يردّون إلى الله مولاهم الحقّ .

و «ثمّ» بمعنى الفاصلة ، و هذه الفاصلة بمعنى البرزخ ، و ذلك لأن قيام الناس للعرض على الله سبحانه ليس في عالم البرزخ ؛ لأنّ البرزخ كمثل الدنيا إلّا أنّ له تجرّداً أكثر و هو التجرّد عن المادّة . بل إنّ قيامَ الإنسان عند الحقّ تعالى و عالَم السؤال و الميزان و الحساب و مقام العرض يحصل في عالم القيامة الذيهو مقام قيام حقيقة النفس بذاتها و واقعها ، لا بصورتها و مثالها فقط .

لذا فقد عبّر بـ«ثُمَّ» فقال «ثُمَّ رُدُّوا» و لم يقل «فَـرُدُّوا» ؛ أي أنّ هناك فاصلة بين قبض الأرواح من قبل الملائكة و بين القيامة الكبرى ، و ينبغي بعد طيّ هذه الفاصلة أن يُردّوا إلى الله مولاهم الحقّ .

و الخلاصة ، فإنّ الآية التي ذكرت في مطلع الحديث :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

لها دلالة على أنّ أحداً لايمكنه الكلام في عالم البرزخ إلّا بإذن الباري عزّ وجلّ ، و أنّ الاختيار يُسلب من الإنسان من بداية شروع عالم البرزخ ، و هو انتهاء عالم الدنيا و نقطة الموت الحائل و الفاصل بين نشأتي الدنيا و البرزخ ، فلا ينفعَنّ الإنسانَ بعد ذلك اختلاقُ الأكاذيب و الأفكار المصلحيّة التي كان يتوسّل بها في هذه الدنيا لنيل المنافع الوهميّة ، لأنّ ملائكة قبض الأرواح و الملائكة الآخرين الذين سيلتقون بالإنسان بعد

١ـ الآيتان ٦١ و ٦٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

ذلك و يصادفونه سيتكلّمون مع باطنه و حقيقته ، و يتحدّثون مع روحه الملكوتيّة و صورته المثاليّة ، لا مع لسانه الظاهريّ أو أفكاره المموّهة المشوّهة .

سيسلب ملائكة الموت روحه ، أمّا بدنه فسيأخذه أهله الباقون إلى المكفن و المغتسل و المصلّى و المدفن ، و ستتحرّك الروح التي لها في الجملة علاقة و ارتباط بالبدن وراءه و تُشرف عليه .

ثمّ تحلّ الليلة الأُولى للقبر ، فيتكلّم الملائكة مع القالب المثاليّ و الصورة الملكوتيّة ، لا مع البدن المادّيّ .

و على كلّ حال ، فإنّ الإنسان يتكلّم في هذه الدنيا و يسير و يتحرّك و يقوم بهذه الأعمال بهذه الصورة المثاليّة ، غاية الأمر أنّ هناك للبدن نوعاً من الاتّحاد مع الصورة المثاليّة ، لذا يتصوّر الإنسان أنّ الكلام و السير و الحركة كانت بإرادة البدن و سيطرته .

و بعد أن يرحل الإنسان و يُهاجر من هذا العالم و يرد عالم البرزخ ، و بعد أن تبتعد الصورة المثاليّة عن البدن ، فيرى الإنسان حقيقته و وجوده في القالب المثاليّ و الصورة المثاليّة ، فإنّه سيفهم آنذاك أنّ كلّ ما قام به و أنجزه في عالم الدنيا قد حصل بالصورة المثاليّة و القالب الملكوتيّ .

إنّ الملائكة يتكلّمون في عالم المثال مع تلك الصورة الملكوتيّة ، فذلك العالم ليس بعالم الخيال و التفكير المصلحيّ ، و ليس بعالم الاعتبار و ترتيب المقدّمات التخيّليّة لنيل النتائج الموهومة ؛ ذلك العالم عالم الحقيقة و عالم الحقّ .

إنّ الكذب يتعلّق بعالم الدنيا هذا ، العالم الذي امتزج فيه الحقّ و الباطل ، و الشهوة و الوهم ، و الغضب و العقل ، و السعادة و الشقاء ، بينما العالم هناك عالم الحقّ ، و الأمر منجّز هناك دفعة واحدة ؛ هذا من جهة .

و من جهة أُخرى فإنّ الملائكة يتحدّثون هناك مع باطن الإنسان ، فيجيبهم الإنسان بباطنه و واقعه ، و لذلك فلا يمكنه أن يموّه الأمر على الملائكة باختلاق الكذب و الافتراء .

و إذا ماكذب أحد في هذه الدنيا ، فإنّ واقعه و وجدانه سيحكي شيئاً ، بينما سيحكي لسانه شيئاً آخر ، و الكذب هو الوليد لهذا الاختلاف في الزاوية بين الحقيقة وبين القول باللسان؛ الكذب هو التوافق بين المحتوى القلبيّ وبين المقولة اللسانيّة.

أمّا هناك ، حيث تفتح الأبصار على الحقيقة و الواقع ، و حيث يسلب طريق الانحراف و الالتواء الذي تمثّله الغرائز المختلفة ، و حيث الحقيقة و الواقعيّة المحضة ؛ فإنّ كلام الملائكة سيكون مع باطن الإنسان و حقيقته ، أي أنّ جهة الحديث ستكون مع قلب الإنسان فقط ، و لن يكون هناك عالم للرياء و الخداع و المكر و الحيلة و النظر المصلحيّ الموهوم الاعتباريّ ، حتى يحاول الإنسان التثبت بهذه الوسائل لجعل عمله موافقاً للحقّ ومنطبقاً عليه ، و ليموّه بنحوٍ ما أفعاله السابقة و ينكّرها بلباس التمويه و التشويه فيبدلها إلى صورة الحقّ .

إنّ من الممكن للإنسان ألّا يرتكب ذنباً في هذه الدنيا ، ليس من أجل رضا الله سبحانه أو من أجل الموافقة بين عمله و بين الحقّ و الواقع ، بل لجهاتٍ أُخرى غيرها . فقد لا يكذب لأنّ رفيقه سيفهم و يُدرك أنّه قد كذب ، و قد لا يسرق لأن سرقته ستتّضح و تنفضح ، و قد لا يخون و لا يظلم لئلّا تسقط شخصيّتهُ و مكانته في المجتمع .

إلّا أنّ من المسلّم أنّ فرداً كهذا لو واجه وضعاً و ظروفاً أُخرى بحيث يتيقّن بشكل أكيد أنّ أحداً لن يطّلع على كذبه أو اختلاسه أو ظلمه أو خيانته، و أنّ كرامته و ماء و جهه لن يهدرا ، فإنّه سيفقد الرادع و المانع

الذي يحول بينه و بين ارتكاب هذه الجرائم .

إنّ هذا الاختلاف في الأساليب مسبّب عن اختلاف الظاهر و الباطن الذي يرى الإنسان نفسه مواجهاً له في الدنيا .

أمّا في عالم البرزخ ، فليس هناك اختلاف بين الظاهر والباطن ، و مهما كان باطن الإنسان فإنّه سيتجلّى هناك على تلك الصورة ، الباطن الحسن سيتجلّى حسناً ، و الباطن السيّء سيّئاً ، و ما يقوله قلب الإنسان و يعتقده و يُذعن به ، فإنّ لسانه الملكوتيّ سيقرّه أيضاً و يشهد على صحّته و صوابه .

سيُقال للإنسان هناك : **مَنْ ربّك** ؟ فيردّ الإنسان و يذكر الربّ والمقصود الذي كان له في هذه الدنيا ، و الذي كان يتوسّل به و ينشده .

و معنى «الإله» مَن يتوجّه إليه قلب الإنسان و يكون معه دوماً ، و يطوف حول حرمه ، و الذي يملأ القلب في مواقع الخلوة و الجلوة ، و مَن يكون الإنسان في ذكره دوماً فلا تخلو منه خواطره، فهذا هو مقصود الإنسان و معبوده ، و هذا هو مألوه الإنسان و معبوده .

هناك مَنْ معبوده و مقصوده امرأته ، مهما سعى و جدَّ فلها ؛ وهناك مَن معبوده ولده ، أي أنّ السماء و الأرض و النبيّ و القرآن جميعاً لاتعدل لديه شيئاً مقابل محبّة ولده ، فهو يتعشّقه بكلّ وجوده وكيانه ، و يقدّم حبّه في مجال رغباته و طلباته على ذكر الله و النبيّ و القرآن .

و هناك مَن معبوده تجارته ، و مَن معبوده ثروته ، و مَن معبوده شخصيّته و سيادته ، و مَن معبوده علمه و فكره ، و مَن معبوده إيمانه و دينه ،كما أنّ هناك مَن معبوده نفسه و روحه .

هؤلاء هم الآلهة التي تجلّت في الدنيا بشكل مشتّت و متفرّق بعنوان مقصود و معبود لبني آدم ، فاختار كلّ امرئ واحداً منها فخصّصه للعبادة

تبعاً لذوقه و طبيعته .

لقد خاطب النبيّ يوسف على نبيّنا و آله و عليه الصلاة و السلام صاحبيه في السجن : **يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ** .[1]

«أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ» أي أصحاب الولاية في قلب الإنسان ، الذين أسّسوا و أقاموا حكومتهم التخيّليّة في قلب الإنسان على أساس عالم الكثرة و الاعتبار و التفرّق . «أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ» يعني هؤلاء الحكّام الجائرين و الرؤساء المستبدّين و طواغيت العصر الذين يدعون الإنسان إلى طاعتهم و العبوديّة لهم .

من الممكن للإنسان أن يصلّي و أن يصوم و أن يبني مسجداً أيضاً ، إلّا أنّ ذلك يمتلك قدراً و قيمة حين يكون له دلالة على العلاقة و الارتباط بالله سبحانه ، أي حين يكون كذلك في المنزل وحيداً فيغتسل غسل الجنابة و لا يترك صلاته ، و حين يكون كذلك خلف الميزان فلا يجحف و لا يظلم في بيعه على مشترٍ جاهل قرويّ لا يعلم شيئاً عن الحساب ، فلا يتقاضى منه أكثر ممّا يجب عليه أو يُعطيه أقلّ ممّا يجب له ؛ لأنّ الله موجود . الله موجود في منتصف الليل و المرء راقد في فراشه ، و الله موجود حين ينهض المرء من النوم . كما أنّ العلاقة بالزوجة و الولد و الثروة و الاعتبار يجب أن تكون في طول العلاقة و المحبّة مع الله لا في عرضها و آنذاك فإنّه إذا ما سُئل : **مَن رَّبُّكَ** ؟

فسيجيب : **اَللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ رَبِّي** .

فيقول له الملائكة : **قَدِمْتَ خَيْرَ قُدومٍ ، نَزَلْتَ خَيْرَ مَقَامٍ ، أَهْلاً**

١ـ الآية ٣٩ ، من السورة ١٢ : يوسف .

وَ سَهْلاً .

أمّا أُولئكم الذين يقولون في الظاهر : إنّ ربّنا ربّ السماوات و الأرض ، إلّا أنّهم لا يعتقدون به عملاً ، و الذين لا تعدو شهادتهم أن تكون مجرّد لقلقة لسان ؛ أُولئك الذين يتشدّقون دوماً بالكلام عن الإيمان و الشرف و التقوى و العدالة ، إلّا أنّهم يبيعون ـ في مقام العمل ـ جميع هذه الأُمور بفلسٍ واحد ، ذلك لأنّ ربّهم و آلهتهم في ميزان الواقع و تقييم الحقيقة هو الدرهم و الدينار و الذهب و الفضّة و البطن . كما قد أخبر الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله عن أهل آخر الزمان :

ءَالِهَتُهُمْ بُطُونُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ قِبلَتُهُمْ وَ شَرَفُهُمْ الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ .

و هؤلاء إن سئل أحدهم في عالم البرزخ : **مَنْ رَبُّكَ** ؟ لأجاب بحقيقة الأمر ، و لقال أحدهم : **بَطْني** ، **بَطْنِي** .

فيقولون له : الويل لك ! فتوسّل بإلٰهك ، و اطلب من بطنك لتنجيك من عذابنا !

و يسألون الآخر : **مَنْ رَبُّكَ** ؟ فيجيب : امرأتي !

فيقولون : فاسئل امرأتك أن تغيثك و تُعينك !

و يسألون الآخر : **مَنْ رَبُّكَ** ؟

فيجيب : ولدي ؛ لقد كنتُ رجلاً عجوزاً فسعيتُ و جهدتُ حتّى أعددتُ النقود فأعطيتها لولدي فذهب إلى الخارج ليصبح مهندساً أو طبيباً ، إلّا أنّه كان بعيداً عن الإنصاف ففقد إيمانه و تلبّس بنهج الكفّار و آثارهم ، و مهما حاولنا أن نعيده إلى صوابه فإنّه لم يرعو و لم يستجب . ثمّ يغالط في كلامه و يقول : إنّ البلد يحتاج إلى الطبيب و المهندس ، فهؤلاء ضروريّون للمجتمع . بَيد أنّه يكذب ، فالطبيب و المهندس ليس من أجل خدمة المجتمع ، بل لتفريغ جيوب الفقراء و الضعفاء ، و لكنز الثروات التي

لا تُحصى .

فيُقال : فاذهب الآن و اجلب ابنك الطبيب و المهندس لينقذك من براثن أفكار الندم التي تجلّت في هذا العالم في هيئة ملائكة العذاب .

كما يجيب البعض الآخر على سؤال (**مَنْ رَبُّكَ ؟**) فيقول : تجارتي ، صكوكي ،كمبيالاتي ، عنواني و اعتباري ، جاهي ورئاستي، غرور علمي و فهمي ؛ فهؤلاء ، جميعاً آلهة معبودون .

إنّ عالم طلوع الحقائق و بروز السرائر لَعالمٌ عجيب ! لقد قال الله سبحانه إنّنا سنشاهده يوماً ما ، لكنّ علينا أن نكون في مستوى السؤال فنجيب كما ينبغي . و الأمر الآن كذلك ، غاية الأمر أنّ النفس لم تطّلع ، و **ما اختفىٰ عليها** لم يَظهر بعد ، و سيظهر و يبرز آنذاك .

وَ بَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ .[1]

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ .[2]

فمن أجاب كما ينبغي ، فقال : ربّي الله الواحد الأحد الصمد خالق السماوات و الأرضين . فإنّه سيقال له : **نَمْ قَرِيرَ العَيْنِ ، نَمْ نَومَةَ العَرُوسِ .**

يحدّث الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ في كتابه «الأماليّ» بسنده المتّصل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف مَلَك إلى قبره ، فإذا أُدخل قبره أتاه منكر و نكير فيقعدانه و يقولان له : **مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟** فيقول : ربّي الله و محمّد نبيّ و الإسلام ديني . فيفسحان له في قبره

١ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢ـ الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

مدّ بصره و يأتيانه بالطعام مـن الجـنّة و يُـدخلان عـليه الرَوح و الرَيـحان ، و ذلك قوله عزّوجل : «**فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ**» ، يعني في قبره ، «**وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ**» يعني في الآخرة .

ثمّ قال عليه السلام : إذا مات الكافر شيّعة سبعون ألفاً من الزبانيّة إلى قبره ، و إنّه ليناشد حامليه بصوتٍ يسمعه كلُّ شيء إلّا الثقلان و يقول لو أن لي كرّةً فأكون من المؤمنين ، و يقول : «**رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**»[1] ، فتجيبه الزبانية : **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ أَنْتَ قَائِلُهَا** .[2]

و يناديهم مَلَك : **لَوْ رُدَّ لَعَادَ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ** .

فإذا أُدخل في قبره و فارقه الناس أتاه منكر و نكير في أهول صورة ، فيُقيمانه ثمّ يقولان له : **مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟**

فيتلجلج لسانه و لا يقدر على الجواب ، فيضربانه ضربةً من عـذاب الله يذعر لها كلّ شيء ، ثمّ يقولان له : من ربّك ، و ما دينك ، و من نبيّك ؟ فيقول : لا أدري ! فيقولان له : **لَا دَرَيْتَ وَ لَا هُدِيْتَ وَ لَا أَفْلَحْتَ** .[3]

ثمّ يفتحان له باباً إلى النار و يُنزلان إليه الحميم من جهنّم ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ : «**وَ أَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**» يعني في الآخرة .[4]

روى المرحوم العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «كشف اليقين» للعلّامة الحلّيّ رحمة الله عليه ، عن تفسير الحافظ محمّد بن مؤمن

١ـ الآيتان ٩٩ و ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٢ـ هذه الجملة مقتبسة من الآية ١٠٠ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون . «كلاّ إنّها كلمة هو قائلها» .

٣ـ و هو دعاءٌ بالسوء و لعن ، بصيغة الإثبات .

٤ـ «الأمالي» للصدوق ، الطبعة الحجريّة ، ص ١٧٤ و ١٧٥ .

الشيرازيّ ، بسنده مرفوعاً قال : أقبل صخر بن حرب (أبوسفيان) حتّى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال : يا محمّد هذا الأمر لنا بعدك أم لمن ؟ قال : يا صخر الأمر بعدي لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ» يعني يسألك أهلُ مكّة عن خلافة عليّ بن أبي طالب «عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» منهم المصّدق بولايته و خلافته و منهم المكذّب «كَلَّا» و ردّ عليهم «سَيَعْلَمُونَ» سيعرفون خلافته بعدك إنّها حقّ يكون «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» سيعرفون خلافته و ولايته إذ يُسألون عنها في قبورهم ، فلا يبقى ميّت في شرق و لا غرب و لا في برّ و لا في بحر إلّا و منكر و نكير يسألانه عن ولاية أميرالمؤمنين بعد الموت ، يقولان للميّت : **مَنْ رَبُّكَ ؟ وَ مَا دِينُكَ ؟ وَ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَ مَنْ إمَامُكَ** .[١]

و هناك تتمّة للرواية التي نقلناها في المجلس الحادي عشر عن أحد الكتب الأربعة في شأن السؤال في عالم القبر واستجواب منكر و نكير . فقد كانت في رواية «العيّاشيّ» و «الكافي» التي ينقلانها بسندهما المتّصل عن جابر ، تتمّة في ذيلها نوردها هنا مجدّداً للمناسبة :

قال جابر : قال أبوجعفر [الباقر] عليه السلام : قال النبيّ صلّى الله عليه و آله : إنّي كنتُ أنظرُ إلى الإبلِ و الغنمِ و أنا أرعاها ، و ليسَ مِن نَبيّ إلّا و قد رعى الغنَم ، و كُنتُ أنظُر إليها قبلَ النبوّة و هي متمكّنة في المكينة ما حَوْلها شيءٌ يهيّجها ، حتّى تذعَرُ و تطيرُ ، فأقول : ما هذا ؟ و أعجبُ ، حتّى حدّثني جبرئيلُ عليه السّلامُ أنّ الكافرَ يُضربُ ضَرْبةً ما خلقَ ٱللّهُ شَيئاً إلّا سمعها و يذعرُ لها إلّا الثقلين ، فقلتُ :

ذلك لضربة الكافرِ فنعوذُ بٱللّهِ من عذابِ القبرِ .[٢]

١ـ «بحار الأنوار» ، الطبعة الحروفيّة ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

٢ـ «فروع الكافي» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٦٣ ؛ و الطبعة الحيدريّة ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

و ترون أحياناً أنّ الكلاب تبدأ بالنباح فجأة ، و أنّ الطيور تصخب ، و الديكة تصيح ، و الخيول تصهل ؛ و ذلك لارتباطها الكبير بعالم الصورة و المثال . فهي لا ترتبط بصورة الإنسان الواقعيّة ، التي هي مقام تجلّي النفس و الروح ، بل ترتبط بالإنسان في عالم الخيال .

يقول الملائكة : لقد جاء بك الله إلى الدنيا و سخّر لك الشمس و القمر و الليل و النهار ، و خلق ما على الأرض لأجلك ، ثمّ قضيتَ عمرك ، فما الذي جئتَ به معك ؟

لقد وردتَ الدنيا بالفطرة الإلـٰهيّة ، فلِمَ خرجتَ منها أعمى ؟ أيّ غفلةٍ أعقبت لك هذه الحياة الشاقّة التي ترزح تحتها ؟

وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ .[1]

و قد ورد في بعض الروايات أنّ المراد بالمعيشة الضنك عذاب عالم البرزخ .

يقول المجلسيّ رضوان الله عليه ذيل خبر مرويّ عن الإمام السجّاد عليه السلام في شأن عذاب القبر ، عدّ فيه المعيشة الضنك من جملة أنواع ذلك العذاب .

قال : هذا الخبر يدلّ على أنّ المراد بالمعيشة الضنك في الآية هو عذاب القبر ، و يؤيّده ذكر القيامة بعدها ، و إليه ذهب كثير من المفسّرين ، و لا يجوز أن يُراد بها سوء الحال في الدنيا ، لأنّ كثيراً من الكفّار في الدنيا في معيشة طيّبة هنيئة ، و المؤمنين على العكس من ذلك .[2]

١ـ الآية ١٢٤ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢ـ «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢١٥ ، الطبعة الحيدريّة .

كما قال [الطبرسيّ] في «مجمع البيان» : و قيل هو (أي المعيشة الضنك) عذاب القبر ، عن ابن مسعود و أبي سعيد الخدري و السدّيّ . و رواه أبوهريرة مرفوعاً .[١]

و يذكر الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» رسالةكتبها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لأهل مصر و أرسلها مع محمّد بن أبي بكر ، و هي رسالة مفصّلة و حاوية لمطالب قيّمة في التعليم و التوعية و الوعظ ، و قد ورد فيها الكلام عن الموت و عواقبه مفصّلاً ، إلى أن ذكر لهم عليه السلام :

وَ إِنَّ ٱلْمَعِيشَةَ ٱلضَّنْكَ ٱلَّتِي حَذَّرَ ٱللَّهُ مِنْهَا عَدُوَّهُ عَذَابُ ٱلْقَبْرِ .[٢]

و الخلاصة ، فقد يستطيع امرؤ أن يتجنّب الإجابة الصحيحة و يُعرض عن حقيقة الأمر صفحاً ، و يلجأ إلى الكذب و الافتراء ، إذا ماكانت الجهات المختلفة من القوى الطبيعيّة و الاختيار قد بقيت لديه ، و إذا ما لجأ إلى الكذب على أساس التفكير المصلحيّ فراراً من العقاب أو الفضيحة .

ولكن هيهات ؟ فالشخص الميّت الذي فقد هذه الجهات بموته ، و الذي سُلب منه الاختيار ، لن يكون بميسوره التخلّف عن إظهار متن الواقع و الحقيقة ، و سينطق بالصدق و الحقّ و يصدع به جبلّة و اضطراراً .

إنّ البعض يصدُقون حال سُكرهم فيبيّنون حقائق الأُمور الواقعة بلا زيادة أو نقصان ، فإنكانت فطرتهم سليمة نزيهة و عقيدتهم ثابتة راسخة ، فإنّهم سيقومون حال السكر أيضاً بالثناء على الله و على النبيّ و الإمام و الإسلام ؛ أمّا إذاكانت عقيدتهم منحرفة و ضمائرهم فاسدة ، فإنّهم سيتكلّمون بالسوء حال سكرهم على الله و الكائنات و الإمام و النبيّ

١ـ نفس الموضع من كتاب البحار .

٢ـ «الأمالي» للشيخ الطوسيّ ، طبع النجف ، المجلّد الأوّل ، ص ٢٧ .

وسيقذفونهم بأقذع الأقوال. على الرغم من أنّ هذين الصنفين من السكارى يقفان حال الوعي في صفٍّ واحد، و يتكلّمان بنمط واحد بسبب مراعاة الظاهر. لكنّ هذا الاختلاف في الزاوية قد نشأ إثر السكر و إثر فقدان الاختيار، و إثر ظهور الحقائق و تجلّيها.

كما أنّ الإنسان غالباً ما يعمل في نومه وفق رغباته الباطنيّة، مع أنّه لا يفعل ذلك حال صحوه و انتباهه.

و لذا فقد قال الإمام الباقر عليه السلام بأنّ النَّوْمُ وَالْمَوْتُ مِنْ مَقُولَةٍ وَاحِدَةٍ.

إنّ محادثات الملائكة مع الشخص المحتَضَر عند النزع و المتوفّى عند التشييع والتكفين والتغسيل و الدفن ،و في أوّل ليلة في القبر و على مدى عالم البرزخ، تحصل بأجمعها مع الروح الملكوتيّة لذلك المتوفّى، لذا لا يطّلع عليها الآخرون الذين لم تُفتح بصائرهم بعدُ على الملكوت، فلا يدركون تلك المكالمات و المحادثات.

يقول المرحوم جمال الحقّ و آية الله العظمى السيّد جمال الدين الگلبايگانيّ رحمة الله عليه ـ و هو أحد أساتذتنا في الأخلاق ـ:

ذهبتُ يوماً إلى وادي السلام لزيارة أهل القبور في النجف الأشرف، و كان الجوّ حاراً، فجلستُ بعد أداء فريضة الظهر وسط الوادي تحت سقف ظليل ذي أربع طاقات ـ و كان المرحوم السيّد جمال الدين كثيراً ما يذهب إلى وادي السلام فيجلس و يتأخرّ، و كنّا نظنّ أنّ له اتّصالاً بالأرواح الطيّبة، و أنّ تبادلاً كان يحصل بينه و بينهم، قال: ما إن جلستُ و أشعلتُ سيجارتي لأستريح هنيئة، حتّى شاهدتُ مجموعة من الأرواح و قد جاءوا صوبي و هم على أسوأ حال، ملابسهم مهترئة و قذرة و ملوّثة، و كانوا يضرعون: أيّها السيّد، تعال و أغثنا و اشفع لنا؟ و كانت هذه الأرواح متعلّقة بالقبور

التي كنتُ أجلس بينها، وكانوا بأجمعهم من شيوخ العرب وكبارهم، وكان لهم في دنياهم نخوة و تكبّر و جاه و اعتبار، وكانوا يلحّون في توسّلهم و ضراعتهم و يلوذون بي.

فرددتُهم جميعاً و قد تكدّر خاطري و قلتُ: يا من جانبتم الإنصاف و العدل، لقد عشتم في الدنيا فأكلتم أموال الناس ظلماً وارتكبتم الجرائم و الجنايات، و سلبتم حقّ الضعيف و اليتيم وكلّ من لا ملجأ له و لا سند؛ وكنّا مهما صرخنا بكم أعرتمونا آذاناً صمّاء. و ها أنتم تأتون و تقولون: اشفع لنا! فاذهبوا و اعزبوا عن وجهي!

طردتُهم جميعاً فتفرّقوا طرائق قدداً.

إلّا أنّه كان يشفع للبعض بعد تأديبهم في عالم البرزخ، إن كانوا من أهل الإيمان حقّاً، وكان عذاب البرزخ لم يُصفّهم و يُنقّهم بعدُ من التبعات.

و لقد نقل الكثير من تلامذة المرحوم آية الحقّ، آية الله العظمى الحاج الميرزا عليّ القاضي رضوان الله عليه أنّه كان كثيراً ما يذهب إلى وادي السلام في النجف لزيارة أهل القبور، وكانت زيارته تستغرق ساعتين أو ثلاثاً أو أربع ساعات وكان يجلس في زاويةٍ ما ساكتاً، حتى يملّ تلامذته فيعودون و يقولون في أنفسهم: إنّ للأُستاذ عوالمه التي تجعله يجلس ساكناً هكذا لا يملّ و لا يكلّ! وكان هناك عالِم جليل و متّقٍ في طهران، هو المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد تقي آلآمليّ رحمة الله عليه، وكان امرءاً حسناً حقّاً، و هو من تلامذة الدورة الأُولى للمرحوم القاضي في الأخلاق و العرفان.

و قد نُقل عنه أنّه قال: كنت أُشاهد لمدّةٍ أنّ المرحوم القاضي كان يجلس في وادي السلام ساعتين أو ثلاثاً، وكنتُ أقول في نفسي: على الإنسان أن يزور و يدخل السرور بقراءة الفاتحة على أرواح الموتى ثمّ

ينصرف ، فهناك أعمال أكثر أهميّة و ضرورة ينبغي فعلها .

كان هذا الإشكال يعتمل في قلبي ، إلّا أنّني لم أظهره لأحد ، حتّى لأقرب و أخلص رفقائي من تلامذة الأُستاذ .

و مرّت مدّة كنتُ أذهب خلالها إلى الأُستاذ للإفادة من محضره ، ثمّ صممتُ على العودة من النجف الأشرف إلى إيران ، إلّا أنّني كنت متردّداً في مدى صلاح هذا السفر ، وكانت هذه النيّة تعتمل في ذهني أيضاً ، و لم يكن لأحد علمٌ بها . حتّى جاءت ليلة ، وكنت أريد النوم . وكان في الغرفة التي كنت فيها رفٌ للكتب إلى الأسفل من قدمّي ، يضمّ كتباً علميّة و دينيّة . و بالطبع فقد كانت أقدامي ستتّجه عند النوم تجاه تلك الكتب ، فقلتُ في نفسي : هل أنهض و أغيّر محلّ نومي أم أنّ ذلك ليس ضروريّاً ، فالكتب ليست مقابل قدمي تماماً ، و هي أعلى من مستوى قدميّ ، فلا يتحقق هتك ، لاحترام الكتب .

و هكذا بقيتُ في تردّدي و حديثي مع نفسي ، ثمّ إنّني اعتبرت أن لا هتك هناك فنمتُ على تلك الحال .

و حلّ الصباح فذهبتُ إلى محضر الأُستاذ المرحوم القاضي و سلّمتُ فردّ : عليكم السلام ، ليس في صلاحكم أن تذهبوا إلى إيران ، كما أنّ مدّ الأرجل تجاه الكتب هتك للاحترام .

فقلتُ مأخوذاً دون شُعور : من أين عرفتم أيّها السيّد ؟! من أين عرفتم ؟!

قال : عرفته من وادي السلام!

روى المرحوم الكلينيّ في كتاب «الكافي» ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : ما ندري كيفَ نصنعُ بالناسِ ، إن حدّثنا بما سَمعنا من رسولِ الله صلّى الله عليه و آله ضَحكوا ، و إن سكتنا لم يسعنا .

قال : فقال ضمرة بن معيد (سعيد خ ل) : حدِّثْنَا !

فقال : هَلْ تدرونَ ما يقولُ عدوُّ الله إذا حُمِلَ على سريره ؟

قال : فقلنا : لا !

قال : فإنّه يقول لِحَمَلَتِهِ : أَلا تسمعون إنّي أشكو إليكم عَدُوَّ الله خَدَعني و أوردني ثمّ لم يُصْدِرْني ، و أشكو إليكم إخواناً وَ اخَيْتُهُمْ فَخَذَلُوني ، و أشكو إليكم أولاداً حَامَيْتُ عنهم فخذلوني ، و أشكو إليكم داراً أنفقتُ فيها حَرِيبَتِي فصارَ سكّانُها غَيْري ، فارفقوا بي و لا تستعجلوا !

قال : فقال ضمرة : يا أبا الحسن ! إن كان هذا ليتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثبَ على أعناقِ الّذينَ يحملونه ؟

قال : فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : اللهم إن كان ضمرةُ هَزَأَ من حديثِ رسولِ الله صلّى الله عليه و آله فخُذْهُ أخذةَ أسف .

قال : فمكث أربعين يوماً ثمّ مات ، فحضره مولى له .

قال : فلمّا دُفن أتى عليّ بن الحسين عليهما السلام فجلس إليه فقال له : من أين أتيتَ يا فلان ؟ قال : مِنْ جنازةِ ضمرة ، فوضعتُ وجهي عليه حين سُوِّيَ عليه فسمعتُ صوتَهُ واَللّهِ أعرفُه كما كنتُ أعرفه و هو حَيٌّ يقول : وَيْلَكَ يا ضمرة بن معيد ، اليوم خَذَلَكَ كُلُّ خليلٍ و صار مصيرُك إلى الجحيم فيها مسكَنك و بيتُك و المقيلُ . قال : فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : أَسْأَلُ اللهَ العافيةَ . هذا جزاءُ مَنْ يَهزأُ مِنْ حديثِ رسولِ اَللّهِ صلّى الله عليه و آله .[1]

و يروي محمّد بن الحسن الصفّار في كتاب «بصائر الدرجات»[2] ـ

١ـ «فروع الكافي» ، الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٦٤ ؛ والطبعة الحيدريّة ج ٣ ، ص ٢٣٤ و ٢٣٥.

٢ـ كتاب «بصائرالدرجات» موضوعه فقط روايات في فضائل آل محمّد و الأئمّة ⇦

و هو من كتب الشيعة النفيسة و من الأصول المعتمدة للمؤلّفين ، يتقدّم مؤلّفة زمناً على الكلينيّ و الصدوق ، و هو من مشايخ الصدوق في الإجازة ، و كان قد أدرك زمن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و روى عنه ، و كانت سنة مائتين و تسعين للهجرة ـ بسنده المتّصل عن إبراهيم بن هاشم ، عن عليّ بن أسباط ، عن بكر بن جناح ، عن رجل آخر ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أميرالمؤمنين ، جاء عليّ إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله : يا أبا الحسن ما لك ؟

قال : أمّي ماتت .

فقال النبيّ صلّى الله عليه و آله : و أمّي والله ، ثمّ بكى و قال : **وَا أُمَّاهُ** ، ثمّ قال لعليّ عليه السلام : هذا قميصي فكفّنها فيه ، و هذا ردائي فكفّنها فيه ، فإذا فرغتم فآذنوني . فلمّا أُخرجتْ صلّى عليها النبيّ صلّى الله عليه و آله صلاةً لمْ يصلِّ قبلها و لا بعدها على أحدٍ مثلَها ، ثمّ نزل على قبرها فاضطجع فيه ، ثمّ قال لها : **يَا فَاطِمَةُ !**

قالت : **لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ آللَهِ !**

فقال : فهل وجدتِ ما وعد ربُّك حقّاً ؟

قالت : نعم ، فجزاك الله خير جزاء .

و طالت مناجاتُه في القبر ، فلمّا خرج قيل : يا رسول الله لقد صنعتَ بها شيئاً في تكفينِكَ إيّاها ثيابك ، و دخولِكَ في قبرها ، و طولِ مناجاتِكَ ، و طولِ صلاتِكَ ، ما رأيناك صَنَعْتَهُ بأحدٍ قبلها !

قال : أمّا تكفيني إيّاها فإنّي لمّا قلتُ لها : يُعرض الناسُ يوم يُحشرون

⇐ عليهم السلام ، و هو كتاب لا نظير له في طريقته ، و يعدّ من جهة اعتباره من الكتب المعروفة و المشهورة .

من قبورهم ، فصاحت و قالت : **وَا سَوْأَتَاهُ !** فلبّستُها ثيابي و سألتُ الله في صلاتي عليها أن لا يُبلي أكفانها حتّى تدخل الجنّة ، فأجابني إلى ذلك ؛ و أمّا دخولي في قبرها فإنّي قلتُ لها يوماً : إنّ الميّتَ إذا أُدخل قبره و انصرف الناسُ عنه دخل عليه ملكان : مُنكر و نكير يسألانه ، فقالت : **وَاغَوْثَاهُ بِاللهِ** ، فمازلتُ أسأل ربّي في قبرها حتّى فُتح لها بابٌ من قبرها إلى الجنّة فصار روضةً من رياض الجنّة .[1]

و قد أورد العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه هذه الرواية في «بحار الأنوار» ،[2] كما روى مضمونها مفصّلاً عن كتابي «فضائل ابن شاذان» و كتاب «الروضة» و هو كتاب في فضائل أهل البيت عليهم السلام .[3]

و فاطمة بنت أسد من أعلام النساء المسلمات ، و كان لها محبّة زائدة لرسول الله ، و كانت أوّل امرأة تبعت النبيّ في الهجرة إلى المدينة ، و قد وردت المدينة في غاية المشقّة و العسر بينما كان رسول الله لا يزال في مسجد قبا .

و كانت أقدامها قد تورّمت و ملئت جراحات وفقاقيع ، فأمر رسول الله أن تخلد للراحة ، و قدمت عليها نساء المدينة لمعالجة قدميها .

و قبر فاطمة بنت أسد في البقيع مقابل قبور الأئمّة الأربعة عليهم السلام ، و ينبغي الدعاء و التوسّل عند (قبرها) للمنزلة الرفيعة التي تحظى بها أمّ أميرالمؤمنين عند الله سبحانه .

وكان رسول الله يدعو لفاطمة بنت أسد ويستغفر لها ويتصدق عنها كما كان صلّى الله عليه وآله يتصدّق عن خديجة بعد ارتحالها عن دار الدنيا ،

١ـ «بصائر الدرجات» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٨١ .

٢ـ «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، الطبعة الحيدريّة .

٣ـ «بحار الأنوار» ، ج ٦ ، ص ٢٤١ ، الطبعة الحيدريّة .

وكان يذبح الشاة فيُطعمها للفقراء مع أنّه صلّى الله عليه و آله كان أقلّ عمراً من خديجة بخمس عشرة سنة . وكانت عائشة تعترض عليه أن : لماذا تذكر إلى هذا الحدّ امرأةً من قريش رحلت عن الدنيا و مرّ على وفاتها سنين ، و تهب الذبائح لأجلها ؟

فيقول : أتعلمين أيَ امرأةٍ كانت ؟ أنّى لي نسيانها ! لقد ساندتني حين تركني الناس ، و آمنت بي حين أشرك الناس ورفضوا دعوتي ، وكانت معي في المشاكل خطوةً بعد خطوة !

و في السنة العاشرة من المبعث رحل أبوطالب عليه السلام عن الدنيا في أواخر شهر رجب ، ثمّ لحقته خديجة بعد **ثلاثين يوماً** أو خمس و ثلاثين ؛ فغمر الحزنُ النبيّ الأكرم في تلك السنة ، فلم يكن ليخرج من داره . و سُمّي ذلك العام بعام الحزن ، وكان مروره على رسول الله عسيراً شديد الوطأة حقّاً . و لم يكن لفاطمة بنت رسول الله من خديجة من العمر آنذاك الاّ خمس سنوات ، فترعرعت فاطمة بلا أمّ في أحضان رسول الله .

ثمّ إنّ رسول الله هاجر إلى المدينة بعد ثلاث سنوات ، ثمّ ارتحل صلوات الله عليه و آله بعد إقامته في المدينة لعشر سنين ، و لحقته الزهراء عليها السلام . أي أنّ الزهراء عاشت دون أمّ ثلاث عشرة سنة ، و ترعرعت في رعاية النبيّ و عواطفه ، فكانت روحُها روح رسول الله ، و سرُّها سرّ رسول الله ؛ وكان الملكوت مشهوداً لديها ، فكانت تتكلّم مع الموتى ، كما كانت الملائكة تحدّثها ، فدُعيت لذلك بـ(المحَدَّثَة) . وكانت تبيّن لأبيها من أخبار الغيب أحياناً ، كما صارت تبيّن لأميرالمؤمنين من تلك الأخبار .

و لقد رحل رسول الله صلّى الله عليه و آله و فاطمة عليها السلام عالمة حقّ العلم كيف يريد هؤلاء القوم الفاسدون قلب أساس الإسلام و زعزعة أُصوله المسلّمة متلبّسين بلباس اتّباع الحقّ .

كانت فاطمة بنت رسول الله ترزح بين ضغطي الباطن و الظاهر، ثمّ رحلت بعد مدّة يسيرة فكفّنت و دُفنت ليلاً حسب وصيّتها فلم يُعْلَمْ أحد من الناس لمراسم التجهيز و الصلاة و الدفن.

و في دجنّة الليل البهيم كان سبعة نفر فقط هم الذين صلّوا على فاطمة!

و كما يروي الشيخ الكشّي عن جبرائيل بن أحمد الفاريابيّ، عن حسين بن خرذاذ، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِسَبْعَةٍ بِهِمْ تُرْزَقُونَ وَ بِهِمْ تُنْصَرُونَ وَ بِهِمْ تُمْطَرُونَ، منهم سَلْمَانُ الْفَارِسيُّ وَالْمِقْدَادُ وَ أَبُوذَر وَ عَمَّارُ وَ حُذَيْفَةُ رَحْمَةُ اللَهِ عَلَيْهِمْ، وَ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَأَنَا إمَامُهُمْ وَ هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا عَلَىٰ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.[1]

و قد نقل الشيخ الحرّ العامليّ هذه الرواية في رسالته باسم «**مَعْرِفَةُ الصَّحَابَة**» و كذلك يروي الشيخ المفيد بسنده أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

خُلقت الأرض لسبعة بهم تُرزقون ... إلى آخر الرواية المذكورة؛[2] إلّا أنّ الشيخ الصدوق ينقل هذه الرواية في «الخصال»، ص ٣٦٠ و ٣٦١ بهذه الكيفيّة:

حدّثنا محمّد بن عمير البغداديّ الحافظ قال: حدّثني أحمد بن الحسن بن عبدالكريم أبوعبدالله قال: حدّثني عتاب يعني ابن صهيب قال: حدّثنا عيسى بن عبدالله العامريّ قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن

١ـ «رجال الكشّيّ» طبع بمبئي، ص ٤، ضمن ترجمة سلمان الفارسيّ.

٢ـ «الاختصاص»، ص ٥.

عليّ عليه السلام قال : خُلقت الأرضُ لسبعةٍ بهم يُرزقونَ و بهم يُمطرونَ و بهم يُنصرونَ :

أبوذرٍ ، و سلمان ، و المقداد ، و عمّار ، و حذيفة ، و عبدالله بن مسعود . قال عليٌّ عليه السلام : و أنا إمامُهُمْ و هم الَّذين شَهِدُوا الصَّلاةَ على فاطمةَ عليها السلام .

لقد كان لفاطمة عليها السلام ذلك القدر من الحزن الطافح ، إلّا أنّها لم تُشرك معها به أحداً و لم تبح به لأحد .

و حين وضعها أميرالمؤمنين عليه السلام في قبرها و أهال عليها التراب ، شرع يبثّ همّه و شجوه إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي وَ عَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللِّحَاقِ بِكَ ؛ قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَ رَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَ فَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ .

إلى أن يقول :

وَ سَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ، هَذَا وَ لَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَ لَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَ لَا سَئِمٍ فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ وَ إِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ .[1]

---

١ ـ «نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر ، باب الخطب ج ١ ، ص ٤١٧ .



المجلس الرابع عشر

تجلي الإنسان وأعماله في عالم البرزخ في صورتهما الملكوتية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

(مطالب ألقيت في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك)

الحمد لله ربّ العالمين و لاحول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

و صلّى ٱللهُ على محمّد و آله ٱلطّاهرين

و لعنة آللّه على أعدائهم أجمعين من آلآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَ فِي ٱلْأَخِرَةِ وَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ .[1]

لقد ذُكر سابقاً أنّ الإنسان حين يرحل عن الدنيا فإنّ عالمه و نشأته سيتبدّلان ، فهذا العالم عالمٌ تمتزج فيه السعادةُ و الشقاء ، و الحقّ والباطل ، و الصّدق و الكذب ، و الخلوص و التلوّث ؛ أمّا ذلك العالم فعالمُ الصدق المحض و الحقيقة و الواقعيّة المحضة .

و إذا ما حصل هنا أحياناً تدليس و تلبيسٌ في هذا العالم ، فإنّه لن يكون ممكناً هناك ، إذ ستظهر حقيقة الأشياء هناك كما هي ، فلا يمكن

١ـ الآيات ٢٤ إلى ٢٧، من السورة ١٤ : إبراهيم .

لأحد أن يقدّم نفسه أو يُجلّيها بغير ما هي عليه.

إنّ ذوات و ملكات الإنسان و أخلاقه و أعماله التي سار عليها في الدنيا ستتجلّى و تتمثّل هناك في صورتها و هيئتها الواقعيّة، فلا يكون هناك اختلافٌ بين الظاهر و الباطن، لكأنّ البواطن و الخفايا صارت جميعها ظاهرةً لا باطنَ لها، أو كأنّها بواطن لا ظاهر لها، أي أنّها حقيقة واحدة لا غير.

كما أنّ سبيل سعادة أيّ إنسان أو شقائه في هذه الدنيا إلى حين موته ليس مشخّصاً أو محدّداً، ولكن بمجرّد موت الإنسان فإنّ سبيله و طريقه سيصبح مباشراً إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، إمّا إلى السعادة أو إلى الشقاء.

إنّ الموجودات التي سيشهدها الإنسان في ذلك العالم ستتجلّى له في صورها الواقعيّة، و هكذا فإنّ الأعمال التي قام بها الإنسان ستتجلّى له في صورها الواقعيّة الملكوتيّة البرزخيّة، كما أنّ الملكات التي اكتسبها في الدنيا و الأخلاق التي تحلّى بها ستكون مشهودةً له هناك في صورة واقعيّة ملكوتيّة. يُضاف إلى ذلك أنّ أفراد الإنسان أنفسهم سيتمثّلون و يتشكّلون في صورهم الواقعيّة، و سيخرجون في قوالبهم الصوريّة المثاليّة.

و قد علمنا من الروايات التي ذُكرت في العديد من المجالس الأخيرة في شأن أعمال الإنسان التي تتجسّم له في عالم البرزخ، بما فيها أعماله الحسنة أو الخبيثة؛ إنّ صورة جميلة ذات قوام فاتن و حديث جذّاب ستتجسّم له ـ مثلاً ـ فيقول لها الإنسان: من أنت؟ فإنّني لم أرَ من قبلُ صورة أجمل منك و لا أطيب رائحةً و لا أحسن لباساً؟

فتجيبه: أنا عملك الصالح الذي قمتَ به في الدنيا، فأنا معك إلى يوم الجزاء!

و قد تتجسّم له صورة قبيحة كريهة و مُنفّرة تبعث على الاشمئزاز

و التقزّز و الضجر بسبب قبحها و رائحتها الكريهة ، فيقول لها الإنسان : من أنت ؟ فإنّي لم أشاهد من قبلُ صورةً بهذا القبح و الكراهة و النفور ، و لم أشمّ من قبل كمثل رائحة عفونتك ؟

فتجيبه : أنا عملك القبيح الكريه الذي قمتَ به في الدنيا ، فأنا معك إلى يوم القيامة !

إنّ الإنسان يمكنه في هذه الدنيا أن يُدرك أنّ الأعمال التي تصدر منه لها و جهان : الأوّل الوجه الظاهر ، و هو متن العمل و جسده و هيكله ، و الثاني : الوجه الباطن ، و هو روح العمل ؛ أي الاختيار و الخلوص و النيّة الطاهرة و التقرّب إلى الربّ المتعال ، أو ـ لا سامح الله ـ السُمعة و الرياء و حبّ الظهور و التظاهر الخاطئ و التعدّي ؛ تلك النيّات التي يقوم الإنسان بعمله على أساسها .

فيمكن للإنسان أن يصلّي في هذه الدنيا ، إلّا أنّه قد يصلّي لربّه ، كما أنّه قد يصلّي حبّاً للظهور ، و يمكن أن يقوم بذلك بنيّتين مختلفتين ؛ لذا فإنّ روح الصلاة ستكون مزدوجة بينما يبقى هيكل الصلاة ، أي العمل الظاهريّ واحداً .

على أنّه ليس لأحد غير عالِم الغيبِ عِلْمٌ بروح الأعمال و باطنها ، فقد يمكن أن يصلّي الإنسان فلا يُدرك رفيقه الذي يقف إلى جواره هل أدّى هذه الصّلاة خالصةً لوجه الله الكريم ، أو أقامها لباعثٍ وداعٍ آخر .

و قد يصوم أو يزكّي أو يُقيم جسراً أو يبني مسجداً أو ينشر كتاباً ، تلك الأعمال التي تستلفت الأنظار بظاهرها ، إلّا أنّ أحداً لا يعلم بباطنها ، فقد يكون فَعَلَ هذه الأعمال من أجل رضا الله سبحانه ، و قد يكون أنجزها حبّاً للجاه و الشهرة .

لقد كان ظاهر العمل جيّداً و جميلاً ، إلّا أنّ له باطنين مختلفين

و متعارضين ، فإن كان قد فعله لله تعالى و في سبيله ، فإنّه سيكون عملاً مؤدّياً إلى التقرّب و ذا باطن حسن و محبوب ، و سيجعل ذلك الباطن الحَسنُ الممدوحُ روحَه خفيفةً مُبتهجةً ، و سيبعث الراحة في نفسه و سيرفع الحجب الظلمانيّة والنورانيّة عنه ، فيوصله شيئاً فشيئاً إلى حريم أمن الله و أمانه .

أمّا إذا كان قد قام به لغير وجه الله تعالى ، فإنّ باطن هذا العمل سيكون فاسداً و مهلكاً ؛ و بدلاً من أن يسوقه إلى الجنّة فإنّه سيدنيه إلى جهنّم ، لأنّه رياء و الرياء حرام ، الرياء عبادة أصنام و عبادة إنسان و شرك بالله ، و سيبعث هذا العمل الخمولَ في روحه و الملل و التعب في نفسه ، و سيحدّ من قدرته على التحليق في فضاء عالم القُدس ، و يُبعده شيئاً فشيئاً عن حريم القُرب ، ثمّ يجرّه في النتيجة إلى مَظهر عالم البُعد : (جهنّم) .

و بنفس الدرجة التي يحسّ بها الإنسان في هذه الدنيا بالملل و الوهن و الضجر من العمل القبيح ، و بالبهجة و اللذة من العمل الحسن المقبول ؛ فكذلك الأمر في عالم البرزخ ، حيث يزداد ظهور المخفيّات و انكشاف السرائر ، و حيث يسقط قالب المادّة فتظهر الصور البرزخيّة للأعمال التي قام بها الإنسان تبعاً إلى روحها الملكوتيّة ، و حيث يتجلّى للإنسان كلّ عمل بما يتناسب و ذلك العالم ؛ فسيكون أثر بواطن الأعمال أكثر بالآف المرّات

و سيجد الإنسان هذه الآثار القويّة و هي تُمسك بتلابيبه . و لذلك فإنّنا إذا ما أغضينا عن ظاهر الذنب و هيكل العمل ، فإنّ باطن و روح الكذب و الزنا و الغشّ في المعاملة و الغضب و الشهوة في غير موضعها ، و البخل و الحسد و الحقد و العبوديّة لغير الحقّ ستُعلن وجودها بحقائقها و واقعيّاتها . كما أنّ الأعمال الصالحة من الصلاة و الزكاة و إعانة الفقراء و التواضع للحقّ و العزّة و الشرف و الحياء و العصمة و العبوديّة للمعبود المطلق ستكون ـ

هي الأُخرى ـ موجودة بواقعياتها و حقائقها .

لكأنّ العالم يتبدّل و هيكله يتقوّض ، وكأنّ تلك الأعمدة و الأسس التي شُيّدَ عليها ذلك العالم أعمدة عجيبة غير الأعمدة والأسس التي شُيّد عليها هذا العالم ، وكأنّ فضاء ذلك العالم فضاء آخر غير هذا الفضاء .

إنّ الأفراد الذين يعيشون في هذه الدنيا هم جميعاً في هيئة إنسانيّة ، إلّا أنّ أخلاقهم تتباين و تختلف مع بعضها ، و قد أدّى ذلك الاختلافُ في الأخلاق و الملكات ، و التفاوتُ في الغرائز إلى اختلاف في الأشكال و الصور . و هذه المسألة من أدقّ مسائل العلوم الإلهيّة وكيفيّة نزول الوحدة في عالم الكثرة . بحيث أنّنا لو فرضنا أنّ العلوم المادّيّة ستترقّى بحيث يمكنها كشف علاقات المادّة مع المعنى ، فإنّه سيُمكن في تلك الحال ، من ملاحظة الأشكال المختلفة للأنبياء و الأئمّة و أولياء الله ، الوقوف على حقيقة مقام بواطنهم، وسيمكن من الأشكال والسيماء والملامح المختلفة لكلّ فرد من الأفراد ، الوقوفُ على غرائزه و ملكاته و أخلاقه . حيث أنّ هذا المعنى ثابت للأنبياء و الأئمّة و أولياء الله الذين يتعرّفون على أخلاقيّات و ملكات أيّ فرد من ملاحظته و مشاهدته مرّةً واحدة ، و يمكن القول حقّاً إنّ هذه معجزة للقرآن الكريم حيث يقول :

وَ قُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ .[1]

كما أنّ اختلاف أشكال الحيوانات و صورها مبنيّ ـ هو الآخر ـ على اختلاف غرائزها و ملكاتها و صفاتها ، فأحدها على هيئة القطّة ، و الآخر بشكل الكلب ، و آخر بصورة الثعلب ، و آخر بشكل الذئب ، و آخر بشكل الأسد ، و آخر على هيئة الفيل ، و هكذا سائر أصناف الحيوانات من

١ـ الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

الوحوش و الزواحف و الحشرات و الطيور في السماء و الأسماك في البحار، حتّى الذبابة و البعوضة و أمثالها.

و هذا الاختلاف ناشئ من اختلاف كميّة و كيفيّة غرائزها و صفاتها، فقد أدّى اختلاف و كيفيّة نظامها و هيكلها الروحيّ و الملكوتيّ إلى اختلاف كيفيّة صورها و أشكالها و اختلاف الكميّة و الكيفيّة في بدنها المادّيّ وجسمها الطبيعيّ، بحيث تشكّل البدن الطبيعيّ لكلّ حيوان؛ و الذي له نوع من الاتّحاد مع نفس ذلك الحيوان؛ بالشكل النازل لنفس ذلك الحيوان.

فإذا ما ارتقينا بسلّم المعرفة من بدن حيوانٍ ما، فإنّنا سنصل إلى نفسه الملكوتيّة فنلاحظ و نشاهد تلك النفس كما هو حقّه، كما أنّنا لو أُرينا النفس الملكوتيّة لحيوانٍ ما لم يسبق لنا مشاهدة شكله الظاهريّ و بدنه الجسمانيّ والطبيعيّ، لاستطعنا ـ عند وجود قوّة المعرفة ـ أن نرسم و نصف الشكل الظاهريّ لذلك الحيوان كما هو حقّه.

و لربّما كانت أشعار القصيدة المعروفة للفيلسوف و العارف الجليل المرحوم الميرفندرسك تفيد معنىً عامّاً يشمل هذه المسألة مورد البحث حيث يقول:

چرخ با اين اختران نغز و خوش و زيباستى

صورتى در زير دارد آنچه در بالاستى

صورت زيرين اگر بر نردبان معرفت

بر رود بالا همان با أصل خود يكتاستى

اين سخن را در نيابد هيچ وَهم ظاهرى

گر أبونصرستى و گر بوعلى سيناستى

جان اگر نه عارض استى زير اين چرخ كبود

اين بدنها نيز دائم زنده و برپاستى

هر چه عارض باشد او را جوهری باید نخست

عقل بر این دعوی ما شاهد گویاستی

....

هر که فانی شد به او یابد حیاتی جاودان

ور به خود افتاد کارش بی شك از موتاستی

این گهر در رمز دانایان پیشین سفته‌اند

پی برد بر رَمزها هر کسی که او داناستی

زین سخن بگذر که این مهجور اهل عالم است

راستی پیدا کن و این راه رو گر راستی

هر چه بیرونست از ذاتت نیاید سودمند

خویش را کن ساز اگر امروز اگر فرداستی

....

نفس را چون بندها بگسیخت یابد نام عقل

چون به بی بندی رسد بند دگر برجاستی

گفت دانا نفس ما را بعدِ ما حشر است و نشر

هر عمل کامروز کرد او را جزا فرداستی

گفت دانا نفس ما را بعد ما باشد وجود

در جزا و در عمل آزاد و بی همتاستی

گفت دانا نفس را آغاز و انجامی بود

گفت دانا نفس بی انجام و بی مَبداستی

....

نفس را این آرزو در بند دارد در جهان

تا ببند آرزوئی بند اندر پاستی

خواهشی اندر جهان هر خواهشی را در پی‌است
خواهشی باید که بعد از وی نباشد خواستی[1]

١ـ يقول : «إنّ هذا الفَلَك بهذه النجوم الجميلة الرائعة له صورة و نفس مستورة تكمن خلف ظاهره .

و إذا ما ارتقت تلك الصورة السفلى بسلّم المعرفة فإنّها ستكون واحدة مع أصلها .

و هذا الكلام لا يرقى إليه أيّ وَهم ظاهريّ ، سواءً كان من أبي نصر [الفارابيّ] أو أبي علي بن سينا .

إنّ الروح لو لم تكن عارضاً تحت هذا الفلك الأزرق ، لكانت الأبدان حيّةً قائمة دوماً .

لذا فإنّ كلّ عارض يجب أن يُسبق بجوهرٍ ينتهي إليه ، و العقلُ على مدّعاها شاهدٌ ناطق.

....

كلُّ مَن فَنى فيه [في الله] وجد حياةً خالدة ، أمّا من تهاوى في نفسه و داخله فمن الموتى بلا شبهة .

و لقد صاغ العلماء القدامى هذه الجوهرة في صياغة رمزية و سيصل إلى سرّها من كان عالماً .

ودَعْ عنك هذا الكلام الذي هجره أهل العالم ، و جِدِ الحقيقة و اسلك هذا الدرب إن كنت صادقاً .

إنّ كلّ ما تعدّى ذاتك لن ينفعك شيئاً ، فأصلح نفسك إنِ اليومَ أو غداً .

....

إنّ النفسَ حين تكسر القيودَ ستُسمّى بالعقل ، و حيث تتحرّر من القيود فسيبقى هناك قيد آخر .

قال العالم : إنّ نفوسنا ستذهب بعدنا للحشر و النشر ، و إنّ ما عملتْه النفسُ اليومَ سيكون جزاءَها غداً

قال العالم* : إنّ نفوسنا ستوجد و تبقى من بعدنا ، و ستكون طليقة في الجزاء و في العمل و بلا ندّ .

قال العالم : إنّ النفس لها مبدأ و منتهى ، و قال العالم : إنّ النفس لا أوّلَ لها و لا آخر .

....

إنّ هذا الأمل يقيّد النفس في هذا العالم ، و مادمت على قيد الأمل فرجلك مقيّدة ⇦

إنّ القطّة التي تلاحظونها بهذا الشكل و الهيئة ، صارت كذلك بسبب امتلاكها صورة ملكوتيّة خاصّة . بحيث أنّنا لو أردنا أن نلبّس تلك الصورة الملكوتيّة بلباس المادّة لماكانت شيئاً غير شكل القطّة و هيئتها هذه . كما أنّ الصورة الملكوتيّة للكلب هي الافتراس و الغضب و الوفاء، مضافاً إليها احترام الغنيّ و عضّ الفقير ؛ لذا فإنّ لباسه المادّيّ و الجسميّ الطبيعيّ بهذا الشكل و الهيئة . لأنّ الدبّ قد أُهبط من ذلك العالم فإنّه صار في هيئة و صورة كهذه التي يمتلكها .

وانظروا إلى الشاة ، و تطلّعوا في عيني هذا الحيوان ، فإنّهما سيحكيان عالَماً من سلامة نفسه و سريرته ، لذا فإنّ أكل لحمه جائز في الإسلام . أمّا الخنزير ، الحيوان الذي يتبع الشهوات بلا عفّة و لا عصمة ، فإنّ صورته الروحانيّة هكذا ؛ و لأنّ تناول لحمه سيسبّب انتقال تلك الملكات و الأخلاق إلى الشخص الآكل ، فقد حُرّم الاستفادة والأكل من لحمه في الشريعة الإسلاميّة .

و على أساس هذا المعيار و المناط ، فإنّ المحرّمات في الإسلام لايمكن عدّها منوطة فقط بالأشياء التي تسبّب ضرراً جسميّاً ، فالضرر الروحيّ و انتقال الخصائص المعنويّة للمأكول إلى الآكل أعلى من الضرر الجسميّ و أبعد أثراً .

إنّ الجواد يتمتّع بالصفاء و الوفاء روحيّاً ، كما أنّه نجيب في ذاته ، و قد تشكّل في هذا الشكل و الهيئة ؛ فانظروا إلى عينيه فإنّكم ستجدون فيهما عالَماً من المعاني السّكينة و الصبر و التحمّل . أمّا الحرباء و الضبّ الذي قد

⇐ و كلّ طلب في العالم سيعقبه طلب آخر ، و ينبغي أن يكون هناك طلب ليس بعده من طلب !»

* يُشير بقوله (قال العالِم) إلى آراء مختلفة طرحها بعض العلماء . (م)

تكونوا شاهدتموه في الصحارى ، فإنّ الحقد و الحسد و البغضاء تبدو جليّة في عينيه ، و ذلك العِناد الذي يُلاحظ فيه مشهودٌ في عينيه بشكل كامل .

أمّا الإنسان فمعجون بديع أُودع فيه جميع هذه الغرائز و الصفات، فإذا تبعَ العقل و قهر جميع غرائزه و ملكاته و طوّعها لهذه الملكة القدسيّة ، فإنّه سيتصوّر في عالم البرزخ بصورة الإنسان الحقيقيّة .

أمّا إذا قهر عقله و نَكّبَهُ و تبع ميوله و رغباته النفسانيّة ، و إذا ما اقتفى أثر غضبه و شهوته و قواه الوهميّة ، فإنّه سيُحشر على هيئة الحيوان الذي كانت تلك الصفة فصلاً مميّزاً له . و ذلك لأنّ إنسانيّة الإنسان بالعقل و القوّة الناطقة ، و الفصل المميّز للإنسان تلك المَلَكة الإلٰهيّة العاقلة ، و ما لم يصل الإنسان بنفسه إلى هذا المقام ، و ما لم يصل بنفسه إلى مقامه الواقعيّ ، أي الإنسانيّة ، فإنّه سيقف ـ شئتَ أم أبيتَ ـ في صفّ و رتبة أوطأ من الإنسان ، أي في صفّ الشياطين أو الحيوانات ، و سيحرز وجوده في عالم البرزخ في الصورة البرزخيّة لذلك الشيطان أو ذلك الحيوان .

روى محمّد بن الحسن الصفّار في كتاب «بصائر الدرجات» عن محمّد ابن الحسين ، عن عبدالله بن جبلّة ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال:

حججتُ مع أبي عبدالله عليه السلام ، فلمّا كنّا في الطواف قلتُ له : جُعلتُ فداك يا ابن رسول الله **يَغْفِرُ ٱللَّهُ لِهَذَا الْخَلْقِ** ؟

فقال : يا أبا بصير إنّ أكثر مَن ترى قردة و خنازير .

قال : قلتُ له : أرينهم .

قال : فتكلّم بكلمات ثمّ أمرّ يده على بصري فرأيتهم قردةً و خنازير فهالني ذلك ، ثمّ أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الأُولى .

ثمّ قال : **يَا أَبَا مُحَمَّد أَنْتُمْ فِي الْجَنَّةِ تُحْبَرُونَ وَ بَيْنَ أَطْبَاقِ النَّارِ تُطْلَبُونَ فَلَا تُوجَدُونَ ، وَاللَهِ لَا يَجْتَمِعُ فِي النَّارِ مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ لَا وَاللَهِ**

وَ لَا إثْنَانِ لَا وَاللَّهِ وَ لَا وَاحِدٌ. [1 و 2]

نقل أحد أصدقائنا ـ وكان ذا ضمير صاف ـ أنّ شخصاً من أهل المراقبة و التفكّر كان جالساً في زاوية من صحن الإمام الرضا عليه السلام غارقاً في بحر من التفكير و التأمّل ، فانتابته فجأةً حالة فشاهد الصور الملكوتيّة للأفراد الذين كانوا في الصحن المطهّر فرأى عجباً !

كانت صوراً مختلفة قبيحة تبعث على الأذى ، صوراً لبعض أنواع الحيوانات ، وكان بعضها صوراً تحكي عن تركيب من عدد من الحيوانات ؛

١ـ «بصائر الدرجات» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٧٥ ؛ و «بحار الأنوار» ، الطبع الكمباني ، أحوال الإمام الصادق عليه السلام ، المجلّد الحادي عشر ، ص ١٢٦ ؛ و في الطبعة الحروفيّة ج ٤٧ ، ص ٧٩ ، نقلاً عن «بصائر الدرجات» .

٢ـ و قد أورد ابن شهرآشوب نظير هذه الواقعة عن أبي بصير و الإمام محمّد الباقر عليه السلام في «المناقب» ، الطبعة الحجريّة ، المجلّد الثاني ، ص ٢٧٦ :

قال أبو بصير للباقر عليه السلام : ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج ؟ فقال : بل ما أكثر الضجيج و أقلّ الحجيج ؟ أتحبّ أن تعلم صدق ما أقوله و تراه عياناً ؟

فمسح على عينيه ودعا بدعوات فعاد بصيراً فقال : انظر يا أبا بصير إلى الحجيج !

قال : فنظرتُ فإذا أكثر الناس قردة و خنازير و المؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء .

فقال أبوبصير : صدقتَ يا مولاي ما أقلّ الحجيج و أكثر الضجيج . ثمّ دعا بدعوات فعاد ضريراً .

فقال أبوبصير في ذلك ، فقال عليه السلام : ما بخلنا عليك يا أبابصير و إن كان الله تعالى ما ظلمك إنّما خار لك و خشينا فتنة الناس بنا وأن يجهلوا فضل الله علينا و يجعلونا أرباباً من دون الله و نحن له عبيد لا نستكبر عن عبادته و لا نسأم من طاعته و نحن له مسلمون .

و قد نقل المجلسيّ هذه الرواية في «بحار الأنوار» ، ج ٤٦ ص ٢٦١ من الطبعة الحروفيّة عن «المناقب» .

و كان يتفحّص الناس مليّاً فلا يجد بين هذا الجمع ملامح إنسان ، اللهم إلّا لحلّاق كان جالساً في زاوية من الصحن وقد فتح حقيبته و انشغل بحلاقة شعر رأس شخص ما ، فقد شاهد أنّه كان لوحده في صورة الإنسان و هيئته. فعجل له من بين الجمع ، وكان يجلس في الصحن قريباً منه ، فسلّم عليه و قال : ما الأمر أيّها السيّد ؟ ضحك الحلّاق و قال : لا تعجب أيّها السيّد ، خُذ المرآة وانظر إلى نفسك ! فنظر إلى نفسه في المرآة ، و شاهد أنّ وجهه ـ هو الآخر ـ في هيئة حيوان ، فرمى بالمرآة إلى الأرض في غضب .

قال الحلّاق : اذهب أيّها السيّد و أصلح نفسك ، فالمرآة لاذنب لها!

روى فخر الشيعة في علم التفسير و الحديث : عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره الشريف في أوّل سورة الإسراء في مقام بيان كيفيّة المعراج ، مسلسلاً و بسند صحيح عن أبيه إبراهيم[1] بن هاشم ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، روايةً مفصّلة في حدود عشرة صفحات تشتمل على مطالب عالية و تعليميّة ، و نأتي هنا بعدّة فقرات منها لمناسبتها لبحثنا .[2]

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : ... ثمّ مضيتُ فإذا أنا بقومٍ بين أيديهم موائد من لحم طيّب و لحمٍ خبيث يأكلون الخبيث و يدعون الطيّب ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

١ـ كان السابقون يعدُّون الروايات التي تنتهي إلى إبراهيم بن هاشم حسنة كالصحيحة ، و كانوا يعلّلون ذلك بأنّ القمّيّين لم يوثّقوه ، إلّا أنّ المتأخّرين أثبتوا وثاقته و صحّة روايته بالشواهد و الأدلّة ؛ و يراجع لهذا المطلب «قصص العلماء» للتنكابنيّ ، أحوال الشيخ البهائيّ ، ص ١٧٧ من الطبعة الحجريّة .

٢ـ أورد المصنّف ترجمةً لبعض فقرات الرواية ، و قد عمدنا إلى المجيء بنصّ فقرات الرواية .(م)

فقال : هؤلاء الذين يأكلون الحرام و يدعون الحلال و هم من أُمّتك يا محمّد ...

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بقومٍ لهم مشافر كمشافر الإبل يُقرض اللحمُ من جنوبهم و يُلقى في أفواههم ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الهمّازون اللمّازون .

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بقوم تُرضخ رؤوسهم بالصّخور ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء .

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بأقوامٍ تُقذفُ النارُ في أفواههم و تخرج من أدبارهم ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً .

ثمّ مضيتُ فإذا أنا بأقوامٍ يريدُ أحدُهم أن يقوم فلا يقدرُ مِن عِظم بطنه ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبرئيل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ فإذا هم مثل آل فرعون يُعرضون على النار غدوّاً و عشيّاً يقولون : ربّنا متى تقوم الساعة .

قال : ثمّ مضيتُ فإذا أنا بنسوانٍ معلّقات بثديهنّ . فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبرئيل ؟

فقال : هؤلاء اللواتي يورّثن أموالَ أزواجهنّ أولادَ غيرِهم .[1]

و قد وردت في القرآن الكريم آيات لها دلالة واضحة على تجسّم

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٣٧٠ و ٣٧١ .

الأعمال في صورها الملكوتيّة ، إحداها الآية العاشرة من سورة النساء .[١]

والروايات التي وردت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الأئمّة عليهم السلام و العائدة إلى ظهور حقيقة الأعمال وبروزها سواءً في عالم البرزخ أو في عالم القيامة كثيرة و جمّة ، ونكتفي بذكر عدّة روايات قصيرة منها كنموذج علاوةً على ما ذُكر سابقاً .

روى الغزاليّ في «إحياء العلوم» عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ـ الحديث .[٢]

اَلْجَنَّةُ قِيعَانٌ وَ إِنَّ غِرَاسَهَا لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ .

و يروي الغزاليّ أيضاً عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

اَلْغَضَبُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .[٣]

و يروي أيضاً عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

مَنْ شَرِبَ فِي آنِيَةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَكَأَنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ .[٤]

١ـ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً . و قد عُبّر في هذه الآية الكريمة عن أكل مال اليتم ظلماً بأكل النار ، و يقول بتحديدٍ و حصر : إِنَّمَا يَأكلونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً [و إنّما تُفيد الحصر] .

و الموضوع الآخر في سورة التوبة ، الآيتان ٣٤ و ٣٥ :

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ .

و كما يُلاحظ في هذه الآية الكريمة ، فقد عُدّ الذهب و الفضّة المحميّان اللذان يُكوى بهما هؤلاء عينَ تلك الذخائر و الكنوز التي كانوا يكنزونها في الدنيا .

٢ـ «إحياء العلوم» المجلّد ٣ ، ص ٢١٩ .

٣ـ المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

٤ـ المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

و ظاهر العبارة أنّها رواية . و يقول في التعليقة : حديثٌ متّفقٌ عليه ، عن أُمّ سلمة عن رسول الله صلّى الله عليه و آله ، لكنّ المصنّف لم يصرّح بكونه حديثاً في كتاب «المُغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقيّ .

و يروي أيضاً عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

إذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ! قِيلَ : وَ مَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : مَجالِسُ الذِّكْرِ .[1]

و روي كذلك عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه قال لـ (**عبَادَة بن الصَّامِت**) حين أرسله لجمع الصدّقات :

اتَّقِ اللَهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، لَا تجِيء يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٍ لَهَا تُؤَاجٌ!

فَقَالَ : يَا رَسُولَ آللهِ ؟ أَهَكَذَا يَكُونُ ؟

قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إلَّا مَنْ رَحِمَ اللَهُ .

قَالَ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلَىٰ شَيءٍ أَبَداً .[2]

وكان رسول الله يريد إفهام عبادة أنّ أحداً إذا ما ظلم الناس في أخذ الصّدقات فتقاضى منهم أكثر من الحدّ المعيّن ، أو إذا أخذ الصدقة ممّن ليس عليه صدقة ، فإنّ عمله سيكون يوم القيامة على هيئة بعير أو بقرة أو شاة يحملها على رقبته رغاء أو خوار و تؤاج[3] على التوالي .

١ـ المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

٢ـ «إحياء العلوم» ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣ـ و يمكن أن يكون المراد بالبعير أو البقرة أو الشاة الضاجّة بأصواتها في هذه الرواية الأموال التي يأتي بها الناس إلى الحكّام أو العاملين على الصدقات لاستمالة قلوبهم من أجل أن يُخفّفوا عليهم و يتغاضوا عن بعض ما عليهم من الصدقات يشهد على ذلك ⇐

و كذلك يروي عن رسول الله صلّى الله عليه و آله :

رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ .[١]

و أكثر من جميع هذه الروايات وضوحاً و جلاءً، رواية يرويها عليّ بن إبراهيم القمّيّ في مقدّمة تفسيره عن أبيه، عن حمّاد، عن الصادق عليه السلام:

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله :

لَمَا أُسْرِيَ بِي إلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قِيعَاناً يَقَقاً[٢]**، وَ رَأَيْتُ فِيهَا مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لِبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَ لِبْنَةً مِنْ فِضَّةٍ وَ رُبَّمَا أَمْسَكُوا . فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا لَكُمْ رُبَّمَا بَنَيْتُمْ وَ رُبَّمَا أَمْسَكْتُمْ ؟**

فَقَالُوا : حَتَّى تَجِيئَنَا النَّفَقَةُ .

قُلْتُ : وَ مَا نَفَقَتُكُمْ ؟ قَالُوا : قَوْلُ الْمُؤمِنِ فِي الدُّنْيَا سُبْحَانَ اللَهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَ لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَاللَهُ أَكْبَرُ ؛ فَإذَا قَالَ بَنَيْنَا وَ إذَا أَمْسَكَ أَمْسَكْنَا[٣]**.**

كما أنّ اغتياب المؤمن كأكل لحمه ميتاً .[٤]

⇐ الرواية التي وردت في «إحياء العلوم» : روى أبو حميد الساعديّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بعث والياً على صدقات الأزد ، فلمّا جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] أمسك بعض ما معه و قال : هذا لكم و هذا لي هديّة . فقال عليه السلام : ألا جلستَ في بيت أبيك و بيت أُمّك حتّى تأتيك هديّتك إن كنتَ صادقاً ؟ ثمّ قال : مالي أستعمل الرجلَ منكم فيقول هذا لكم و هذا لي هديّة ، ألا جلس في بيت أمّه ليُهدى له ! والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحدٌ شيئاً بغير حقّه إلّا أتى الله يحمله . فلا يأتينّ أحدكم يوم القيٰمة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة بعير . ثمّ رفع يديه حتّى رأيت بياض أُبطيه ثمّ قال : اللّهمّ هل بلّغتُ ؟

١ـ «إحياء العلوم» ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

٢ـ اليقق : البيضاء الناصعة البياض .

٣ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ، الطبعة الحجريّة ، ص ٢٠ .

٤ـ هناك رواية في تفسير آية سورة النبأ : «يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» عن البراء بن عازب تقول :كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله ⇐

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ.[1]

و لنأتي الآن إلى تفسير الآية التي عنونّاها في مطلع البحث :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

⇐و سلّم فسأل معاذ رسول الله عن آية «يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» و عن باقي الآيات ، فأجابه رسول الله : يا معاذ سألتَ عن عظيمٍ من الأمر . ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال : تحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين و بدّل صورهم ، فبعضهم على صورة القردة ، و بعضهم على صورة الخنازير ، و بعضهم منكّسون أرجلُهم من فوق و وجوهُهم من تحت ثمّ يُسحبون عليها ، و بعضهم عميٌ يتردّدون ، و بعضهم بُكمٌ لا يعقلون ، و بعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع ، و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم ، و بعضهم مصلّبون على جذوع من نار ، و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف ، و بعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم ؛ فأمّا الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس ، و أمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السُّحت ، و أمّا المنكّسون على رؤوسهم فأكلة الرِّبا ، و العمي : الجائرون في الحكم ، و الصمّ البكم : المُعجبون بأعمالهم ، و الذين يؤذون الجيران ، و المصلّبون على جذوع من نار فالسعاةُ بالناس إلى السلطان ، والذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات و اللذّات و يمنعون حقَّ الله في أموالهم ، و الذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر و الخُيلاء .

و قد جرى في هذه الرواية الشريفة بيان خصائص الصور الملكوتيّة لأهل الكبائر ، و خاصّة أُولئك الذين يحضرون في المحشر على هيئة القردة و الخنازير .

و قد أورد غالبيّة المفسّرين هذه الرواية في تفسير آية (فتأتون أفواجاً) ؛ و من جملتهم الزمخشريّ في «الكشّاف» ج ٢ ، ص ٥١٨ ؛ و الطبرسيّ في «مجمع البيان» ، ج ٥ ، ص ٤٢٣ ؛ و أبوالفتوح الرازيّ ، طبع مظفري ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ ؛ و الإمام الفخر الرازيّ ، ج ٨ ، ص ٤٢٣ و ٤٣٤ ؛ و «الدرّ المنثور» ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ ؛ و تفسير «الصافي» ص ٥٥٥ ؛ و تفسير «البرهان» ج ٢ ، ص ١١٦٩ ؛ و تفسير «روح البيان» ، ج ١٠ ، ص ٢٩٩ ؛ و أورده المرحوم المجلسيّ في «البحار» ، الطبعة الحروفيّة ، ج ٧ ، ص ٨٩ ، في باب صفة المحشر ، نقلاً عن «مجمع البيان» .

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .

وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ .

فانظر كيف يضرب الله مثل الكلمة الطيّبة للروح المنزّهة الطاهرة و لروح المؤمن !

إنّ جميع الموجودات هي كلمة الله ، غاية الأمر أنّها تختلف و تتباين باختلاف سعة أو ضيق ماهيّة وجودها .

به نزد آنكه جانش در تجلّى است
همه عالم كتاب حقّ تعالى است

عَرَض إعراب و جوهر چون حروفست
مراتب همچو آيات وقوفست

از و هر عالمى چو سورۀ خاص
يكى زان فاتحه ديگر چو اخلاص[1]

فالموجود الواحد هو كلمة حسنة ، كلمة طيّبة ، و كلمة رفيعة ، و هذه الكلمات هي أسماء و صفات ذى الجلال التي تجلّت في أفراد الإنسان بحسب سعتهم و ظرفيّتهم المختلفة ، فصار كلُّ فرد من أفراد الإنسان مظهر اسم أو أسماء منه . و مثل المؤمن الطاهر المنزّة المطهّر الطيّب الذي طوى مرحلة عالَم الإخلاص ، و وضع قدمه في عالم الخلوص فصار من المخلَصين ، كمثل الشجرة الطيّبة أصلُها و جذورها راسخةٌ ضاربةٌ في الأرض ، إلّا أنّ فرعها و أفنانها مترامية في عنان السماء .

١ـ يقول : «إنّ العالَم بأرجائه عند مَن نفسه و ذاته في تجلٍّ و ظهور ، يمثّل كتاباً للحقّ تعالى .

العَرَض فيه كالإعراب ، و الجوهر كحروف الكتاب ؛ كما أنّ المراتب و الدرجات كآيات الوقوف و علاماته .

كلّ عالمٍ فيه كمثل سورة معيّنة ، أحدهما كالفاتحة ، و الآخر كالإخلاص» .

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .

فالمؤمن الذي وصل درجة الإيقان ، و الذي تجلّت فيه حال الطمأنينة و السَكينة ، أصله ثابت و هو الارتباط بربّه ، ذلك لأنّ المؤمن له عهد مع الله ، و عهده هو ارتباطه ، و هو أصالته و جذوره .

أمّا فروعه التي طبّقت آفاق المُلك و الملكوت و التي تؤتي ثمارها كلّ حين ، فتفيض من عالم القدس على هذا العالم ، و تصبح واسطة للخير و الرحمة و البركة ، فتُروي فواكُهُها المعطّرة اللذيذة جميع ذوات الإمكان المستقّرين في درجات الكثرة و تُشبعهم و تُبهجهم .

إنّ المؤمن سيطوي بقدمٍ راسخة جميع المنازل في جميع مراحل العبور من هذا العالم ، عند سكرات الموت ، و عند سؤال منكر و نكير و مبشّر و بشير ، و خلال إقامته في عالم البرزخ ، و في الحشر و مواطن القيامة من العَرْض و السؤال و الحساب و الميزان و الصراط و الجزاء و تطاير الكتب و غيرها ؛ و سيستقرّ في طمأنينة **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** .[1] و ما ذلك إلّا لارتباطه بالله سبحانه ، و لأنّ ينبوع قلبه يرتوي من مركز ينبوع العلوم و الأسرار الإلهيّة ، فيهب جميع الموجودات الخير و الرحمة و البركة من ينابيع الحكمة التي يجريها الباري المنّان من قلبه على لسانه .

وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

و ليس المؤمن شجرةً في الحقيقة ، بل إنّ الله سبحانه يمثّله بهذه الشجرة الثابتة الأصيلة المحمّلة بالثمار و الطافحة بالفائدة ، و هذا المثال من أجل أن يُدرك الناس مقام عظمة المؤمن الذي حظي بهذا الفوز العظيم إثر

١ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

الطاعة للأوامر الإلـهيّة .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ .

أمّا مثل الإنسان الكافر المنكر المُعاند ، الإنسان الظالم المتعدّي المتجاوز ، الذي لم يُحرم لوحده من وجوده فقط ، بل أوجب كذلك محروميّة أبناء نوعه من الماء المعين لنبع الحقيقة الزلال ؛ فهو كالشجرة الخبيثة المنكرة التي اجتثّت و اقتُلعت من الأرض ، فجذورها ملقاة على الأرض لا ارتباط لها بأصلها و مبدئها ، و لا مسند لها تستند عليه .

إنّ الرجل الكافر الظالم الذي لا ارتباط له بعالم السرّ و الخفيّات كمثل هذه الشجرة اليابسة بلا فائدة و بلا ارتباط بمصدر الغذاء و الارتواء .

و هؤلاء هم الأفراد الذين لم يطهّروا بواطنهم ، و الذين تتلوّن أعماقهم بأنواع الرذائل و الصفات القبيحة الذميمة ، و هم المتردّدون المتلوّنون في الأمور ، المتردّدون في شكّهم و ريبهم بشأن ذات القيّوم ، و المتكبّرون المغرورون المُعجبون بأنفسهم مقابل أبناء نوعهم ، الشاكّون في الحقائق و الأمور الأصيلة ، و المعتمدون على الأمور الواهية التي لا أساس لها.

و هؤلاء مهما كان لهم في دنياهم و أُمورهم الاجتماعيّة من شخصيّة و اعتبار و جاه و شوكة و نفوذ كلمة و قدرة ، إلّا أنّهم في عالم الواقع و في ميزان تقييم الحقائق و الواقعيّات تافهون فارغون لا وزن لهم و لا فكر و لا أصالة .

أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ .[1]

لأنّهم فصموا حبل ارتباطهم بربّهم ، فلم يلجأوا إلى ركنٍ مكين

١ـ «نهج البلاغة» ، باب المواعظ و الحكم ، ص ١٧٢ من ج ٢ ، طبعة عبدة ، مصر .

يعتمدون عليه ، و لم تشرق قلوبهم بنور العلم ، فهم ـ لذلك ـ سيميلون مع كلّ ريح حيث مالت .

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ .

إنّ الله جلّت عظمته يثبّت بالقول الثابت أُولئك الذين آمنوا ، أي الذين وجدوا حبل ارتباطهم بربّهم ، و الذين صار لهم نزوع إلى تلك الذات المقدّسة ؛ يثبّتهم في الحياة الدنيا و في العليا ، أي دار الجزاء .

و القول الثابت هو الكلمة الطيّبة ، و هو الارتباط بالربّ الودود . فالله سبحانه يثبّت هؤلاء بالقول الثابت في جميع العوالم ؛ في الدنيا ، و في سكرات الموت ، و في النشئات التي تلي ذلك ؛كي يطووا هذا الطريق بقدم ثابتة و إرادة راسخة و قلب قويّ و فكر مُضاء .

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَ ٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُ .[1]

و الكلم الطيّب هو الروح الطاهرة المنزّهة ترتفع إلى الخالق سبحانه ، و العمل الصالح هو الذي يرفعها إلى حيث مقام العزّة ، إلى حيث العزّة المطلقة ؛ إذ يقول قبل هذه الجملة :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً .

على طالب العزّة أن يعلم أنّ جميع درجات العزّة و مراتبها منحصرة اختصاصاً بالربّ سبحانه ، إنّ الكلمة الطيّبة في الآية مورد البحث ، و التي كان لها أصل ثابت و فاكهة و أُكل دائم ، هي الكلم الطيّب الذي يرتفع إلى الله سبحانه فيَصل إلى مقام العزّة المطلقة ،كما ورد في المناجاة الشعبانيّة :

إلـٰهي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأبْهَج فَأَكُونَ لَكَ عَارِفَاً وَ عَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفاً .[2]

١ـ الآية ١٠ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢ـ «الإقبال» الطبعة الحجريّة ، ص ٦٨٧ .

العمل الصالح كالوقود الذي يسبّب حركة طائرة الروح إلى فضاء عالم القدس ، العالم الذي فيه حياة بلا موت ، و عزّة بلا ذلّ ، و غنىً بلا فقر .

و إذن فالقول الثابت الذي ثبّت الربّ العليّ الأعلى المؤمنين به هو النزوع و الارتباط الذي أقرّه بينهم و بين ذاته المقدّسة ، و هو موجب للعمل الصالح ، والعمل الصالح بدوره موجب لحركة الكلمة الطيّبة و روح المؤمن الطاهرة إلى عالم القدس ، و هذه الحركة هي حركة الإنسان في صورة إنسان واقعيّ ؛ والله يعلم كم يبلغ لذّة و بهجة و نور و سرور و حبور ، هذا الإنسان الذي يذهب في صورته الإنسانيّة تلك إلى مضيّفه الباري تعالى شأنه .

كما أنّ من آثارها المعيّة و الرفقة مع الأرواح المقدّسة لأولياء الله و الأبرار الأخيار و الصالحين و الشهداء والأنبياء ، و ستكون حقيقتها التحقّق بمقام :

لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَ لَا سَمَآئِي بَلْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ بِي .[1]

وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَ يَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ .

أمّا الظالمون فإنّ الله سبحانه لا يهديهم في نهجهم إلى عالم النور و السرور ، بل إنّ سبيل أُولئكم وفق رغباتهم و ميولهم النفسيّة باتّجاه الظلمة و الضلال . لأنّ نفوسهم لا تحكي عن صورة النفس الإنسانيّة ، فإنّه لا سبيل لها إلى مقام الإنسانيّة بل ينحصر طريقها بذلك العالم الذي وضعت نفسها الهيولائيّة على صورته ؛ فإن كانت أنفسهم صورةً للشيطان فإنّها ستتّجه إلى عالم الشيطان ، أو كانت صورة للحيوان فإنّها ستتّجه إلى ذلك العالم ، و سيضيع اسمها و ينطمس و تبطل صفاتها و موجوديّتها و فعليّتها

١ـ و قد وردت في رسالة «مرصاد العباد» ، طبع (بنگاه ترجمه و نشر كتاب) ، الصفحات ٢٠٨ و ٢٧٤ و ٦١٣ بهذه العبارة : لا يسعني أرضي و لا سمائى و إنّما يسعني قلب عبدي المؤمن .

في مقام الإنسان و في عالم الإنسان .

وَ مَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .[1] و في سورة آل عمران ، الآية ١١٧ بهذه العبارة : وَ مَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ .[2]

ثمّ إنّ هؤلاء يُخاطبون بأنّ هذه النتائج السلبيّة ، و جهنّم الموقدة ، و تغيّر الصورة الإنسانيّة و مسخها إلى صورة إبليس وحيوان كانت مسبّبة عن ذلك النهج و الأسلوب القبيح و السلوك اللامرضيّ الذي قدّمتموه معكم ، و ليس الله سبحانه بظلّام لعباده .

لقدكانت المحادثات التي وردت في كثير من الروايات التي تطرّقت إلى أمر الحديث مع الأفراد بعد موتهم ؛ سواءً أُولئكم الذين شاهدهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام بأنفسهم و تحدّثوا معهم ، أو الذين أروهم للآخرين ، أو الأفراد الآخرون الذين حدث أن شاهدوا الموتى و تحدّثوا معهم أحياناً ؛ بأجمعها محادثات مرتبطة بعالم البرزخ المثال ، وكانت لقاءات و مصادفات حدثت في مكاشفات صوريّة و مثاليّة ، وكانوا قد شاهدوا أُولئكم الموتى في صور عاديّة أحياناً ،كما شاهدوهم في صور برزخيّة نورانيّة أو ظلمانيّة أحياناً أُخرى .

روى الشيخ المفيد في «الاختصاص» بسنده المتّصل عن إدريس بن عبدالله قال : سمعتُ أبا عبدالله [الصادق] عليه السلام يقول : بينا أنا و أبي متوجّهين إلى مكّة و أبي قد تقدّمني إلى موضع يُقال له ضجنان،[3] إذ جاء

١ـ الآية ٣٣ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢ـ الآية ١٨٢ ، من السورة ٣ : آل عمران ؛ و الآية ٥١ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٣ـ ضَجَنان ـ بالتحريك ـ جبل بتهامة . (م)

رجل في عنقه سلسلة يجرّها فأقبل عليّ فقال : اسقني اسقني ، فصاح به أبي : لا تسقه لا سقاه الله .

قال : و في طلبه رجلٌ يتبعه ، فجذب سلسلته جذبةً طرحه بها في أسفل دركٍ من النار .[1]

و قد روى الشيخ المفيد في «الاختصاص» مضمون هذه الرواية بأربع أسناد أُخرى عن الإمام محمّد الباقر و الإمام جعفر الصادق عليهما السلام ، و يتّضح من إحدى هذه الروايات أنّ نظير هذه القضيّة قد اتّفقت للإمام الباقر حين كان ذاهباً مع أبيه زين العابدين عليهما السلام إلى مكّة .[2]

و قد روى الشيخ محمّد بن الحسن الصفّار في «بصائر الدرجات» عن محمّد بن عيسى ، عمّن أخبره ، عن عباية بن ربعة الأسديّ قال : دخلتُ على أميرالمؤمنين عليه السلام و عنده رجل رثّ الهيئة و أميرالمؤمنين عليه السلام مُقبلٌ عليه بكلمة (يكلّمه خ ل) ، فلمّا قام الرجل قلتُ : يا أميرالمؤمنين عليه السلام ، مَن هذا الذي يشغلك عنّا ؟

قال : هذا وصيّ موسى عليه السلام .[3]

و روى الشيخ المفيد في «المجالس» بسنده المتّصل عن قيس غلام أميرالمؤمنين عليه السلام قال :

إنّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام كان قريباً من الجبل بصفّين ، فحضرت صلاة المغرب ، فأمعن بعيداً ثمّ أذّن ، فلمّا فرغ من أذانه إذا رجل مقبل نحو الجبل ، أبيض الرأس و اللحية والوجه، فقال : السلام عليك يا أميرالمؤمنين و رحمة الله و بركاته، مرحباً بوصيّ خاتم النبيّين ، و قائد

---

١ و ٢ ـ «الاختصاص» ، الطبعة الرصاصيّة ، ص ٢٧٥ إلى ٢٧٧ ؛ و «بصائر الدرجات» الطبعة الحجريّة ، ص ٨٠ و ٨١.

٣ـ «بصائر الدرجات» الطبعة الحجريّة ، ص ٨٠.

الغرّ المحجّلين ، و الأغرّ الميمون ، و الفاضل الفائز بثواب الصِّدّيقين ، و سيّد الوصيّين .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : **وَ عَلَيْكَ السَّلَامُ** كيف حالك ؟

فقال : بخير ، أنا منتظر روح القدس ، و لا أعلم أحداً أعظم في الله عزّ وجلّ اسمُهُ بلاءً ، و لا أحسن ثواباً منك ، و لا أرفع عندالله مكاناً . اصبر يا أخي على ما أنت فيه حتّى تلقى الحبيب ، فقد رأيت أصحابنا ما لا قوا بالأمس من بني إسرائيل ، نشروهم بالمناشير ، و حملوهم على الخشب ، و لو تعلم هذه الوجوه التّربة الشّايهة ـ و أومأ بيده إلى أهل الشام ـ ما أُعِدَّ لهم في قتالك من عذاب و سوء نكال لأقصروا ، و لو تعلم هذه الوجوهُ المبيضّة ـ و أومأ بيده إلى أهل العراق ـ ماذا لهم من الثّواب في طاعتك لودّت أنّها قرّضت بالمقاريض ، **وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**. ثمّ غابَ من موضعه .

فقام **عَمَّارُ بْنُ يَاسِر** ، **وَ أَبُو الهَيْثَم بْنِ التَّيِّهَان** ، **وَ أَبُو أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ**، **وَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِت وَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِت** ، **وَ هَاشِمُ الْمِرقَال** . في جماعة من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام ـ و قد كانوا سمعوا كلام الرجل ـ فقالوا : يا أميرالمؤمنين من هذا الرجل ؟

فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام : هذا **شَمْعُون** [بن حمون الصفا] وصيّ عيسى عليه السلام ، بعثه الله يصبّرني على قِتال أعدائه .

فَقَالُوا له : فِدَاكَ ءَابَاؤُنَا وَ أُمَّهَاتُنَا وَاللهِ لَنَنْصُرَكَ نَصْرَنَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ وَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إلَّا شَقِيٌّ !

فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام معروفاً .[1]

---

١ ـ «المجالس» للمفيد ، الطبعة الرصاصيّة ، النجف ص ٦٠ الى ٦٢ .

وكان لهؤلاء الأفراد مجاهدات عظيمة في حرب صفّين ، حيث قُتل معظمهم فيها ، مثل عمّار ، و هاشم المرقال ، و خزيمة ، و عبادة ، و أبو أيّوب ، الذين كانوا من خواصّ أصحاب الإمام وأنصاره الأوفياء .

و هؤلاء الأفراد من جملة أُولئك النفر المائة الذين بايعوا أميرالمؤمنين عليه السلام و عاهدوا على أن لا يُغمدوا سيوفهم عن قتالٍ حتّى يُقتلوا . وكان آخرهم أويس القرنيّ . و حكاية شهادة هؤلاء الطيّبين الطاهرين وا لعاشقين الذين أعطواكلّ ما لديهم ، وهؤلاء العُبّاد الناسكين الذين يُعدّون من حواريي الإمام ، وجميعهم من أصحاب رسول الله ؛ حكاية عجيبة إلى الحدّ الذي يبهت و يحيّركلّ إنسان ذي وجدان و حميّة .

و يرفع معاوية المصاحف على رؤوس الرماح في منتهى الحيلة و المكر بمعونة من عمرو بن العاص و إشارةٍ منه ، و يعدّ نفسه مسلماً تابعاً للقرآن ، فيحكّم القرآن في الأمر . و يُثير تلك الفتنة و الاضطراب في جيش العراق ، و يوقع ذوي الظواهر المقدّسة في الحيرة و يجعلهم أحياناً أسرى سوء الظنّ .

أمّا عمّار بن ياسر فقدكان من أُولئك الذين لم تتزلزل عزائمهم ، وكان ينادي: و الله لو هزمونا حتّى بلغنا **سَعَفَات هَجَر**،[1] و لو سيطروا على جميع هذه البلاد العريضة، لبقينا على يقيننا بأنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل.

لقد رسخ الإيمان بالله في سويداء قلب عمّار و رفقائه في الجهاد ، بحيث أنّ الدنيا لو تظافرت بأجمعها و شاءت إسقاط أو زعزعة أمثال هؤلاء الرجال الصادقين ، ليوث التوحيد ، بالأجواء المفتعلة و بالخدع التي تنطلي على العوامّ ، فإنّها لن تحصد إلّا الخُسران المبين .

١ـ المُراد بسعفات هجر بساتين النخيل في المدينة أو اليمن . و ذكر في القاموس (هَجَر) بفتحتين .

لذا يأتي قطب عالم الإمكان و محور الولاية و مركز الحقّ و الحقيقة : أميرالمؤمنين عليه السلام فيذرف دموع الرحمة في عزائهم و مأتمهم ، و يتأوّه حين يتذكّر أبطال عالم اليقين أُولئكم و يتمنّى الموت لِلُقياهم و رؤيتهم .

ففي خطبة خطبها في مسجد الكوفة قبل أسبوع من شقِّ مفرقه المبارك بضربة ابن مُلجم المُراديّ ، يقول في آخرها :

اَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً وَ أَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَهِ الْأَخْيَارُ وَ بَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَىٰ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخِرَةِ لَا يَفْنَىٰ . مَا ضَرَّ إِخْوَانُنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً !

إلى أن يقول :

أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوا عَلَىٰ الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارُ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيِّهانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَىٰ الْمَنِيَّةِ وَ أُبْرِدَ بِرُؤُسِهِمْ إِلَىٰ الْفَجَرَةِ .

ثمّ وضع يده على لحيته المقدّسة الشريفة و بكى طويلاً ثمّ قال :

أَوَّهْ عَلَىٰ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوا الْقُرآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوا السُّنَّةَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ؛ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .[1]

و على كلّ حال فإنّ هؤلاء الرجال الكرام الذين يخاطبهم الإمام بـ« أوّه على إخواني» قد كانوا هم الكلمة الطيّبة التي تؤتي أُكلها كلّ حين

١ـ «نهج البلاغة» عبدة ، طبع مصر ـ ص . ٣٤٣ و ٣٤٤ و الملّا فتح الله ، الطبعة الحجريّة ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

بإذن ربّها ؛ و هم الذين ينثرون على الدوام الثمار اللذيذة الطريّة للحياة المعنويّة في عالم الوجود على جميع المستعدّين ، و ذلك بنظر رحمة الله سبحانه و الفيض الذي كان يُفيضه عليهم ، و هو ما عُبّر عنه «بِإِذْنِ رَبِّهَا» .

كما أنّهم بالنسبة لنا الكلمة الطيّبة ، لأنّ ذكرهم و فكرهم و تأريخهم و نهج حياتهم ، و زهدهم و عبادتهم و انقيادهم و تسليمهم لإمامهم ، و محبّتهم و ودّهم و إيثارهم كان كلّه ـ بعد قرون أربعة عشر ـ المحيي و المُلهم لحياتنا و نهجنا ، كما أنّهم كانوا النماذج البارزة و المضيئة لطريقتنا و خطّ سيرنا ، و أخيراً فهم الهادون لوجودنا إلى الوطن الأصلّي للإيمان و إلى مقرّ الإيقان .

إنّ قطرات الدموع هذه التي تنساب الآن على وجناتكم قد ارتبطت ببرزخ أُولئكم ، فهي ترى سرّها متّصلاً و مرتبطاً بهم ، و هي تلك الثمرة التي أُوتيت في سمائهم الملكوتيّة بإذن ربّهم فتنعّمنا بها ، و ها نحن جالسون على مأدبتهم ننعم بهذه المائدة السماويّة .

و لقد كان كلّ واحد من أنصار سيّد الشهداء عليه السلام كلمةً طيّبة أضاءت بقدرها و سعتها سماء التوحيد و الإيثار ، فملأتها نوراً و حرارة بثمرات حياتهم الطافحة بالبركة .

و كان من أصحابه عليه السلام **مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَة** ، الشيخ القارئ للقرآن و فقيه أهل الكوفة ، و كان رجلاً شجاعاً و فاضلاً فقيهاً قارئاً ، و كان وكيل مسلم بن عقيل في الكوفة ، و كان مولهاً بمقام الولاية ، فأعطى روحه و كلّ ما لديه لهذه المدرسة المباركة .

و كان يوم عاشوراء أحد أبطال جيش الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام ، ثمّ يستشهد **الحُرُّ بْنُ يَزِيدِ الرِّيَاحِيّ** ، **وَ عَبْدُ اللهِ بن وَهَبْ** ، **و بُرَيْر بن خُضَيْر** و رجلان آخران ، فيتقدّم أحد أصحاب سيّد الشهداء إلى

الميدان ، و اسمه **نَافِعُ بنُ هِلَال** ، وكان رجلاً شجاعاً ، فخرج لمبارزته أحد قادة جيش عمربن سعد ، و اسمه مزاحم بن حريث ، فأرداه نافع بضربة واحدة من سيفه .

و عندما شاهد هذا المنظر **عَمْرو بنُ الحَجَّاج الزُّبَيْدِيّ** ، و هو أحد قادة جيش عمر بن سعد ، وكان مأموراً مع أربعة آلاف نفر بالمحافظة على شريعة الفرات ، صرخ بأعلى صوته ، لايبرزن إلى هؤلاء أحد ، فهم ليوث الآجام الشجعان ، و قد وضعوا قلوبهم على أكفّهم و وطنّوا أنفسهم على الموت .

أولم تروا كيف قضى هذا على صاحبنا بضربةٍ واحدة ؟ إنّكم لو بارزتموهم رجلاً لرجل لأفنوكم جميعاً ، ولكن إذاكنتم عليهم يداً واحدة فأحطتم بهم فإنّكم ستقتلونهم جميعاً بغير قتالٍ بسيف أو برمح ولكن رمياً بالحجارة . فكونوا يداً واحدة و حاصروهم من كلّ صوب !

فقال **عُمَرُ بنُ سعد** : صدقتَ ! الرأيُ ما رأيت . و أرسلَ إلى الناس يعزم عليهم : ألّا يبارزنّ رجلٌ منكم رجلاً منهم .

ثمّ دنا عمرو بن الحجّاج في أربعة آلاف فارس من ميمنة سيّد الشهداء ، و تقدّم عمر بن سعد بقلب جيشه ، فصار متعيّناً على أصحاب الإمام أن يواجهوا هجوم ثلاثين ألف نفر ؛ و حسب قولهم فإنّهم لو رموا بالحجارة لسحقوا جميع الأنصار .

و لقد دافع أصحاب الإمام دفاعاً لا نعلم عن خصوصياته ، إلّا أنّهم إجمالاً ترجّلوا عن جيادهم فصاروا صفّاً فولاذيّاً مرصوصاً فأوقعوا برماحهم فقط الفزع و الرعب في نفوس الأعداء . ثمّ إنّهم اقتتلوا ساعة ، فثارت لشدّة الجِلاد غبرة طبّقت الآفاق فلا يرى فيها أحدٌ أحداً ، ثمّ عاد عمر بن سعد إلى مقرّه و رجع عمر بن الحجّاج ، فما انجلت الغبرة إلّا و **مُسْلِم بنْ عَوْسَجَة**

صريعاً على الأرض و به رمق ، فأسرع الحسين إليه و التفت إليه و قال له :
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَ مِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً .[1]

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٣٣ الأحزاب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس التأليفات



بسم الله الرّحمن الرّحيم

تُعلن مؤسّسة ترجمة و نشر

(دورة العُلوم و المعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهرانيّ

أنّ الكتب المؤلّفة لسماحته كالآتي :

دورة **المعارف**، و تشمل أقساماً ثلاثة :

١ ـ معرفة الله (١)

٢ ـ معرفة الإمام (٢)

٣ ـ معرفة المعاد (٣)

دورة **العلوم**، و تشمل أقساماً أربعة :

١ ـ الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

٢ ـ الأبحاث التفسيريّة (٥)

٣ ـ الأبحاث العلميّة و الفقهيّة (٦)

٤ ـ الأبحاث التأريخيّة (٧)

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(١)

معرفة الله

١ ـ معرفة الله (الله شناسى)

أصل هذه الأبحاث دورة تفسيريّة جرى فيها المذاكرة و التحرير من الآية المباركة «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ» إلى «وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

و قد جرى البحث و المذاكرة في هذه الأبحاث عن مسألة التوحيد الذاتي و الأسمائي و الأفعالي للذات المقدّسة للحقّ تعالى، و عن كيفيّة نشوء عالم الخلقة، و ربط الحادث بالقديم، و نزول نور الوجود في مظاهر الإمكان، و حقيقة الولاية و ربط الموجودات بذات الباري تعالى، و عن لقاء الله و الوصول إلى ذاته المقدّسة بفناء الوجود المجازي المُعار و اندكاكه في الوجود المطلق الأصيل الحقيقي.

و لم تُطبع هذه المجموعة حتّى الآن.

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٢)

معرفة الإمام

١ ـ معرفة الإمام (امام شناسى ـ انتشارت حكمت)

مجموعة من البحوث التفسيريّة، الفلسفيّة، الروائيّة، التأريخيّة و الاجتماعيّة في الإمامة و الولاية بشكل عامّ، و في إمامة و ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب و الأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين بشكل خاصّ؛ و ذلك في هيئة دروس استدلالية علميّة متّخذة من القرآن الكريم و الروايات الواردة عن الخاصّة و العامّة، و أبحاث حليّة و نقديّة عن الولاية.

و تضمّ هذه المجموعة (٢٧٠) درساً في ثمانية عشر مجلّداً، طُبع منها حتّى

الآن اثنا عشر مجلداً بالفارسيّة ؛ و قد جرى فيها مناقشة و بحث مطالب من قبيل : العصمة ، الولاية التكوينيّة ، لزوم الإمام الحيّ ، لزوم متابعة الأعلم ، ضرورة وجود الإمام للمجتمع ، معنى الولاية ، شرح حجّة الوداع ، شرح واقعة غدير خمّ ، أحاديث الولاية ، حديث المنزلة ، شرائط القيادة ، علم الغيب و مجموعة علوم و قضايا و محاكمات أميرالمؤمنين عليه السلام ، معيّة الإمام للقرآن في جميع العوالم ، حديث الثقلين ، تقدّم الشيعة في جميع العلوم ، كتب الشيعة المؤلّفة ، مباحث عن الصحيفة السجّادية ، سير علوم الشيعة و تأريخهم من صدر الإسلام ، عظمة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام و مقامها العلمي ، الرّد على نظريّات و عقائد المذاهب المختلفة لأهل السنّة في الأُصول و الفروع ، العلوم العالمية للإمام الصادق عليه السلام ، العلوم الإسلاميّة للإمام الصادق عليه السلام ، خلود مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، و قيام معاوية لإفناء آثار النبوّة و تبديلها إلى سلطنة و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٣)

معرفة المعاد

١ ـ معرفة المعاد (معاد شناسی ـ انتشارت حكمت)

تشمل ٧٥ مجلساً في كيفيّة سير الإنسان و حركته في الدنيا و عالم الغرور ، و كيفيّة تبدّل نشأة الغرور إلى عالم الحقائق و الواقعيّات و ارتحال الإنسان إلى الله و غاية الغايات .

و تقع هذه المجموعة في عشر مجلّدات طُبعت بأجمعها بالفارسيّة ؛ و قد جرى فيها على نحوٍ وافٍ و مستفيض طرح مباحث من قبيل : عالم الصورة و البرزخ و كيفيّة ارتباط الأرواح هناك مع هذه العوالم ، كيفيّة خلقة الملائكة و وظائفهم ، النفخ في الصور و موت جميع الموجودات ثمّ إحياؤها و قيام الإنسان في ساحة الحضرة الأحديّة ، عالم الحشر و النشر و الحساب و الكتاب و الجزاء و العرض و السؤال و

الميزان و الصراط و الشفاعة و الأعراف و الجنّة و النار؛ و ذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة و أخبار المعصومين و من الأدلّة العقليّة و الفلسفيّة و المطالب الذوقيّة و العرفانية .

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة
(٤)
الأخلاق و الحكمة و العرفان

١ ـ رسالة السّير و السلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالهٔ سير و سلوك منسوب به بحرالعلوم ـ انتشارت حكمت)

جرى في هذه الرسالة ، إضافةً إلى شرح حال المرحوم بحر العلوم و صحّة انتساب هذه الرسالة له ، بيانُ حقيقة و مقصد السلوك إلى الله سبحانه ، كيفيّة السلوك إلى الله و آثاره ، و طريقة ذكر العلّامة بحرالعلوم ، و ذلك بشرحٍ مفصّل من قبل العلّامة آية الله مُدّ ظلّه .

٢ ـ رسالة لُبّ اللباب في سير و سلوك أُولي الألباب

(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير و سلوك أُولى الألباب ـ انتشارت حكمت)

أصل هذه الرسالة أُسّ و مخّ أوّل دورة من الدروس الأخلاقيّة و العرفانية للعلّامة المفسّر و الحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائي قدّس سرّه في الحوزة العلميّة في قم ، و قد دوّنت من قبل سماحة العلّامة آية الله مُدّ ظلّه بعنوان تقريرات ، ثم طُبعت مع تنقيحات و إضافات لسماحته .

و قد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفيّة السير و السلوك إلى الله بشكل إجمالي و تفصيليّ ، و شرح تفصيليّ للعوالم المقدّمة على عالم الخلوص ، و طرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك ، مراتب المراقبة ، لزوم الأُستاذ ، و الطرق المختلفة لنفي الخواطر ، و ذلك بأُسلوبٍ جامع و جميل .

٣ ـ التوحيد العلميّ و العينيّ (توحيد علميّ و عينيّ ـ انتشارت حكمت)

سلسلة رسائل حكميّة و عرفانيّة بين آيتين عَلَمين هما : الحاج السيد أحمد الكربلائي و الحاج الشيخ محمد حسين الاصبهاني (الكمباني) حول بيتٍ واحد من الشعر للعطّار النيسابوري ، حيث فسرّ كلٌّ من هذين العلمينْ ذلك البيت وفق مذاقه في العرفان و الحكمة .

و بسبب اشتمال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيديّة عرفانيّة و فلسفيّة برهانيّة ، فقد كتب سماحة العلّامة الطباطبائي قدّس سرّه ضمن دروسه في الحوزة العلميّة في قم تذييلات و محاكمات من ستّة أقسام على الرسائل الثلاث الاولى المتبادلة بين المرحومين الشيخ و السيّد ، ثمّ حرّر سماحة العلّامة آية الله مدّ ظله ثمانية تذييلات على الرسائل الأربع الأُخرى للمرحومين المذكورين بعنوان تتمّة لتذييلات العلّامة الطباطبائي .

و قد جيء في هذه المجموعة بمقدّمة حول هويّة أصل الرسائل و العرفاء الأجلّاء الذين جرى التطرّق إلى أسمائهم فيها .

٤ ـ الشّمس الساطعة (مهر تابان ـ انتشارت باقر العلوم عليه السلام)

يمثّل هذا الكتاب تأبين و محاورات التلميذ مع العلّامة العارف بالله و بأمر الله السيد محمّد حسين الطباطبائي التبريزي قدّس الله تربته ، و يشمل قسمين يتطرّق سماحة العلّامة آية الله المؤلّف مُدّ ظلّه في أوّلهما لبيان تأريخ حياة العلّامة الطباطبائي قدّس سرّه و أُسلوبه العلمي و الفلسفي و العرفاني و التفسيري و لبيان أحوال ثلّة من الأجلّاء ، في حين يتطرّق في القسم الثاني إلى ذكر بعض محاوراته مع العلّامة الطباطبائي التي تشمل أبحاثاً قرآنيّة و فلسفيّة و عرفانيّة و أخلاقيّة و علميّة و تأريخية .

٥ ـ الرّوح المجرد (روح مجرّد ـ انتشارت حكمت)

في تأبين الموحّد العظيم و العارف الكبير الحاج السيّد هاشم الموسوي الحدّاد أفاض الله علينا من بركات تربته ، من أقدم و أفضل تلامذة الأخلاقي الكبير العارف بالله و بأمرالله آية الله العظمى الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي نفعنا اللهُ و المسلمين من بركات علومه .

و قد ذكر في هذا الكتاب كيفيّة تشرّف سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه بالحضور في محضر سماحة الحدّاد ، و عن كيفيّة حياته و سيرته العملية و حالاته و مقاماته التوحيديّة و أحوال تلامذته . و تطرّق ضمن بيان أسفار سماحته إلى ذكر المباحث التوحيديّة الدقيقة ، و السلوك إلى الله ، و لزوم متابعة الأُستاذ ، و إلى الدفاع عن العرفان و العرفاء بالله ، و إلى ردّ التُهم غير اللائقة التي وُجّهت إلى محيي الدين ابن عربي ، و إلى معنى وحدة الوجود و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٥)

الأبحاث التفسيريّة

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ (انتشارت حكمت و صدرا)

أُلّفت هذه الرسالة بالعربية في تفسير آيـة «**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ**» و تتضمّن دروساً استدلاليّة في مورد جهاد و قضاء و حكومة المرأة ، و بحثاً في فلسفة حقوق المرأة و الرجل ، و معنى تساوي حقوق المرأة و الرجل ، و حدود مشاركة النساء في الجهاد ، و روايات و إجماع الفقهاء في عدم جواز تصدّي المرأة لمناصب الحكومة و القضاء و عدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى .

و تضمّ هذه المجموعة مطالب تفسيريّة ، روائيّة ، فقهيّة ، علميّة و اجتماعيّة ؛ كما جرى البحث فيها ـ للمناسبة ـ عن ولاية الفقيه .

و قد تُرجمت هذه الرسالة من قبل عدّة من الفضلاء إلى الفارسيّة لاستفادة العموم منها .

٢ ـ رسالةٌ في الأشهر القمريّة و الشمسيّة (رسالهٔ نوین ـ انتشارت صدرا)

بحث تفسيريّ ، روائيّ ، فقهيّ و تأريخيّ حول بناء الإسلام على السنة و الشهور القمرية ، جرى خلاله البحث في تفسير آية «**إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ**» و الخطبة المعروفة لرسول الله في مِنى ، و في تفسير آية «النسيء» .

و من الأبحاث الأُخرى لهذا الكتاب ، عدم مشروعيّة تبديل الأشهر القمريّة إلى الشمسيّة ، التدخّل المباشر للأجانب في تغيير تأريخ المسلمين على يد مجلس الشورى الوطني الاستعماري خلال ثلاث مراحل تدريجيّة ، انقراض العائلة البهلويّة أثر إعلان نسخ التأريخ المحمّدي ، و فوائد السنة القمريّة و مضارّ السنة الشمسيّة .

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٦)

الأبحاث العلميّة و الفقهيّة

١ ـ رسالةٌ حول مسألة رؤية الهلال (انتشارت علّامهٔ طباطبائی)

مجموعة مراسلات و مكاتبات سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه مع أحد أساتذته في علم الأُصول : المرحوم آية الله الحاج السيّد أبي القاسم الخوئي تغمّده الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الأشهر القمريّة . و يضمّ هذا الكتاب بحوثاً علميّة ، فقهيّة ، فنيّة و حليّة موسوعيّة تتضمّن خمس رسائل للطرفين و باللغة العربيّة .

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام

(وظيفهٔ فرد مسلمان در احیای حکومتِ اسلام ـ انتشارت علّامهٔ طباطبائی)

مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على أساس الحقائق التأريخية على هيئة دروس ستّة ، من إنشاء سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه للفضلاء من طلّاب مدينة

مشهد المقدّسة ، و بجمع و تنظيم أحد الفضلاء .

و بعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن : لزوم تشكيل الحكومة و إعداد مقدّماتها ، العلاقات الأكيدة للمؤلّف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخميني قدّس سرّه في تشكيل حكومة الإسلام ، سجن آية الله الخميني و النشاط الحثيث للمؤلّف في تخليصه من الإعدام ، جريان معاهدة النقض القنصلي (كاپيتولاسيون) ، نصّ رسالة سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه حول مسودة القانون الأساسي إلى آية الله الخميني و اقتراحاته العشرون إلى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد آية الله الشيخ مرتضى المطهّري ، مع صورة كيفيّة تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة الأثر في الجمعيّة الإسلاميّة لمسجد القائم في طهران .

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام

(ولايت فقيه در حكومت اسلام ـ انتشارات علّامهٔ طباطبائى)

تتحدّث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الإسلام ، و قد جرى بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، حيث جُمعت و نظّمت من قبل اثنين من الفضلاء في مجلّدات أربعة تضمّ ٤٨ درساً .

و قد جرى في هذه المجموعة البحث و التحقيق في مطالب من قبيل : دلائل ولاية الفقيه و شرائطها و موانعها ، حقيقة ولاية الإمام و الفقيه العادل الجامع للشرائط و حدودها و ثغراتها ، و أُسلوب الحكم في الإسلام و واجب الناس تجاهه ، و ذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة و الروايات و الأبحاث الفقهيّة و العلميّة و الشواهد التأريخية و الاجتماعيّه .

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن ـ انتشارات علّامهٔ طباطبائى)

هذه المجموعة في القسم الأول من دورة أنوار الملكوت (الشاملة لنور ملكوت القرآن ، نور ملكوت المسجد ، نور ملكوت الصلوة ، نور ملكوت الصيام ، و

نور ملكوت الدعاء) .

و قد دوّنت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في أربعة مجلّدات ، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن إلى أفضل مناهج و سُبل السلام ، خلود أحكام القرآن ، عدم نسخ القرآن ، التطبيق العملي لآحاد آيات القرآن في كلّ عصر ، الردّ على نظريّة تحديد النسل ، دور القرآن و موقعه بعنوان كتاب سماويّ ، نقد و مناقشة بعض الأفهام الخاطئة للآيات القرآنية الكريمة ، و الإشكالات الواردة على مقالة «بسط و قبض تئوريك شريعت =بسط و قبض نظريّة الشريعة» وكتاب «دانش و أرزش = الفكر و القيم» .

و من العناوين الأُخرى لهذه المجموعة : منطق القرآن توحيديّ ؛ بيان القرآن لأخطاء التوراة و الإنجيل ؛ أحكام القرآن في الجهاد ، القتل ، الاستعباد ، و الفدية ؛ سير القرآن في آيات الأنفس و الآفاق ؛ بيان محكمات القرآن و متشابهاته ؛ كيفيّة قراءة القرآن في الصلاة و غيرها ؛ تأثير القرآن في تربية الإنسان الكامل ؛ عظمة أخلاق القرآن ؛ بيان كيفيّة خلقة الإنسان و السيّارات في القرآن ؛ دعوة الآيات الآفاقيّة إلى التوحيد و مكارم الأخلاق ؛ العربيّة و إعجاز القرآن ؛ لزوم التكلّم بالعربيّة لجميع المسلمين و الردّ على مسألة إحياء اللغات الفارسيّة القديمة ؛ عظمة القرآن الكريم و أصالته ؛ تأثير القرآن في الحضارة العظيمة الإسلاميّة ، تفوّق علوم الإسلام على اليونان ؛ بيان كيفيّة كتابة القرآن و طباعته ؛ تأريخ التوراة و الإنجيل الحاليّين ؛ قاطعيّة القرآن و شموله ؛ عموميّة القرآن الكريم و امتناعه على التغيير ؛ كيفيّة جمع القرآن و تدوينه .

و قد طبع من هذه المجموعة مجلّدان حتّى الآن بالفارسيّة .

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط و قبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش

(نگرشی بر مقالهٔ بسط و قبض تئوريک شريعت دکتر عبدالکريم سروش)

قام سماحة آية الله العلّامة مدّ ظلّه العالي في هذا الكتاب ـ ضمن بيانه لعشرة

إشكالات مهمة من إشكالات مقالة «بسط و قبض نظريّة الشريعة» للدكتور عبدالكريم سروش ـ بالإجابة على أحسن وجهٍ و أتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجيّة القرآن و خلوده و على جميع مقدّسات العالم و حقائقه .

و كان هذا الكتاب في الأصل يشكّل القسم الأعظم من المجلّد الثاني للكتاب «نور ملكوت القرآن» ، و سيُطبع مستقلّاً دون تصرّف نظراً لأهميّة الموضوع ، و بناءً على اقتراح بعض العلماء ، و لتسهيل أمر تناوله من قبل الأساتذة و طلبة الجامعات و المحقّقين ، فيُهدى إلى مَن ينشدون سبيل الحقيقة و سُبل السلام .

و إليك بعض عناوين الكتاب :

أصالة و خلود الدين الإلهيّ و محدوديّة الفهم البشري ، عظمة العلوم الإسلاميّة و تفوّقها على العلوم الحاليّة ، أساس الحوزات العلميّة قائم على القرآن و العرفان ، إعراض دعاة الانفتاح عن المباني الإسلاميّة بتأثير من الثقافة الأجنبيّة ، بُرهان العلّامة الطباطبائي في استناد العلل الطبيعيّة إلى العلل المجرّدة ، منطق القرآن حجّية العقل و اليقين لا الفرضيات الوهميّة .

و الكتاب تحت الطبع في الوقت الحاضر بالفارسيّة .

٦ ـ الرسالة النكاحيّة : الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين

(رسالة نكاحيّة: كاهش جمعيّت، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين ـ انتشارات حكمت)

أصل هذه الرسالة قسمٌ من المجلّد الأول للكتاب «نور ملكوت القرآن» ، جرى فيه البحث في تفسير آية «**وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ**» . و نظراً لأهميّة المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب و طُبعت بشكل مستقلّ باسم «**الرسالة النكاحيّة**» . و بالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلفت الأنظار في وقت طبع هذه الرسالة ـ حيث تنقضي سنواتٌ خمس على ارتحال الفقيد المعظّم القائد الكبير للثورة الإسلامية ـ تحت عنوان تنظيم العائلة و الحدّ من السكّان ، فقد عمد سماحة آية الله العلّامة إلى كتابة تذييلات على هذه الرسالة ، و فسّر اسم الرسالة النكاحيّة بعطف جملة «**الحدّ**

من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين» ، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمّت ثلاثة عشر مطلباً ، تحليل مسألة الحدّ من السكّان من وجهة نظر القرآن و الإسلام ، كما أزيح الستار فيها عن السياسات الاستعمارية الخادعة الرامية إلى تقليل قوّة المسلمين .

و بعض العناوين التي تتصدّر هذه التذييلات هي :

الهجوم العنيف للاستكبار العالمي بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للثورة ؛ عدم الرجوع إلى رأى المجتهدين و الفقهاء حتّى إلى فتوى آية الله الخميني (ره) ؛ وجهة نظر سماحة آية الله الخامنئي في مسألة تقليل السكّان ؛ احصائيات خسائر النساء و الرجال في خصوص مسألة إغلاق الأنابيب ؛ حُرمة إغلاق الأنابيب و تعلّق الدية الكاملة بها ، تضادّ فلسفة الإسلام و روح الإيمان مع تقليل السكّان .

٧ ـ رسالة مسودّة القانون الأساسي

(نامۀ پیش نویس قانون أساسی ـ نشر انجمن إسلامی مسجد قائم طهران)

تبدأ هذه الرسالة بالآية الكريمة «**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**» ، و تعكس وجهات نظر سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه الحاكية عن دقّة نظره و تبصّره في المسائل الدينيّة و السياسيّة . و قد جرى في تلك الرسالة نقد و إصلاح أُصول مسودة القانون الأساسي و فقاً للموازين و المعايير الإسلاميّة .

دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة

(٧)

الأبحاث التأريخيّة

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام (انتشارات باقر العلوم عليه السلام)

حاوية لبعض كلمات و مواعظ و خطب سيّد الشهداء أبى عبدالله الحسين عليه السلام مع ترجمتها و ذكر مصادرها من الكتب المعتبرة ، و هي ـ لاختصارها و

بساطتها ـ قابلة للحفظ من قبل العموم ، و خاصّة طلّابِ العلوم الدينيّة و طلبة الجامعات الملتزمين .

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة و مشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه و سپيد)

و تشمل هذه الكرّاسة رسالة من أمير أهل الخلاف في بخارا و جوابها من قبل أمير أهل الولاء في خراسان ، حول ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و خلافته بلافصل ، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن ؛ و يمكن عدّها لإنشائها الرائع و منطقها المتين و بُرهانها السديد و خطّها الجميل الظريف من بدائع التحريرات . و قد طُبعت هذه المجموعة مع مقدّمة و تحقيق من قبل سماحة العلّامة آية الله مدّ ظلّه ، و اُهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير خمّ إلى الإخوة المؤمنين و الطلبة المتتبّعين لمعارف أهل اليقين .

* * *

هذه هي مجموعة الكتب التي اُلّفت حتّى الآن من قِبل المؤلّف زيد عزّه ، و التى بادرت «مؤسسة ترجمة و نشر دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة» إلى ترجمتها و تقديمها تدريجياً إلى القرّاء المحترمين .











